اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْعِشْرُونَ

إلهي مخلصي من الموت والفساد!

يمثل هذا المزمور صرخة شخص يئن من الغربة، وقد شعر كأن الغش والخداع يحوطان به من كل جانب، صارت نفسه أسيرة روحيًا، يحتاج إلى من يحرر نفسه، يسنده داخليًا وخارجيًا.

يشعر المرتل أن الله وحده قادر أن يخلصه من الأكاذيب وقوتها المدمرة، وهو وحده قادر أن يدين الكذبة، لاسيما إبليس الكذاب وأب الكذاب. "يمدون ألسنتهم كقسيهم للكذب، لا للحق قووا في الأرض. لأنهم خرجوا من شرٍ إلى شرٍ، وإياي لم يعرفوا يقول الرب" (إر 9: 3).

تبدأ مزامير المصاعد من الدرجة الدنيا الأولى حيث يكتشف المؤمن أنه غريب على الأرض، يعاني المرارة بسبب عدو الخير الكذاب، والسليط اللسان في اتهاماته له. يشعر القادم إلى أورشليم أنه لا يستطيع ان يدخل المقادس الإلهية بسبب أعدائه الروحيين الذين يسخرون منه، فهو في حاجة إلى الله مخلصه ومعينه.

والعجيب أن المرتل يمزج أنينه ومرثاته لحاله بالشكر لله واهب السلام، الذي جاء به إلى أورشليم العليا، مدينته الأبدية حيث السلام الفائق، في صحبة السمائيين والقديسين، عوض إحاطته بالأعداء المقاومين له.

1. صرخة طفل إلى أبيه المخلص 1.

2. الحوار المفسد مع إبليس 2-3.

3. الشعور بالغربة والاشتياق إلى السماء 5-6.

4. مرارة معاشرة الأشرار 7.

1. صرخة إلى طفل إلى أبيه المخلص

إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِي صَرَخْتُ،

فَاسْتَجَابَ لِي [1].

هذه الصرخة تشبه صرخة إشعياء النبي القائل: "ويل لي إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين" (إش 6: 5). مع مرارة نفسه وضيقه من الداخل والخارج، لكنه كان مملوءًا رجاء، إذ يقول: "فاستجابني، صرخت من عمق الهاوية،

فجاءت إليك صلاتي" (يون 2: 2-3). إنه كطفل يثق في حنان أبيه وقدرته على خلاصه. "في ضيقي صرخت إلى الرب، فاستجاب لي، وأخرجني إلى الرحب" (مز 118: 5).

❖ يُنتج الحزن الصراخ إلى الله، والتضرع بشدة العزم والهمَّة، ويجلب إليه استجابة الله وإغاثته. لأن إليشع النبي عندما رأى المرأة الشونمية تقترب إليه بغمٍ وحزنٍ شديد لم يترك خادمه يطردها، بل سمح لها بالدخول إليه، وقضى أمرها (2 مل 4: 17)، **ليعرفنا أن الله لا يطرد الصارخين إليه في حزنهم**.

وأنت أيها الأخ المسيحي عند حزنك لا تيأس، بل أُصرخ إلى الرب.

الأب أنسيمُس الأورشليمي

❖ إنساننا (الداخلي) هذا، الذي بلغ الآن الدرجة الأولى ليس في ضيقة، فقد وضع قدمه فعلاً على الخطوة الأولى.

❖ لقد جعلني أقف على الدرجة الأولى، لكن بالمقارنة بالدرجات الخمس عشرة، فأي ظفر أناله ببلوغي الخطوة الأولى؟ لقد نبذت أمور العالم، لكنني لم أبلغ بعد القمة. لهذا يلزمني ألا أشعر بالأمان، **فمع صعودي كل درجةٍ يلزمني أن أتوسل إلى الله ليعينني**[1].

القديس جيروم

❖ كيف تحرروا من السبي؟ برغبتهم في أورشليم. على أي الأحوال الذين لم يبقوا أمناء في هذا الأمر لم ينتفعوا شيئًا من نعمة الله، واستمروا عبيدًا وماتوا هكذا. إننا سنعاني من نفس المصير إن كنا نتمثل بهم، إن كنا لا نقتني محبة السماويات، والرغبة في أورشليم العليا، فنبقى ملتصقين بالحياة الحاضرة، متمرغين في وحل الاهتمامات الأرضية، ولن ننجح في اقتناء وطننا .

❖ لكي تعرفوا أن الصلوات التي يُنطق بها في وقت الضيق هي أفضل فرصة لكي تكون مسموعة، اسمعوا ما يقوله النبي: "**إلى الرب في ضيقي صرخت فاستجاب لي**" (مز 120: 1). لذلك لنحث ضمائرنا نحو الالتهاب؛ لنُحزن نفوسنا بتذكر خطايانا، لا لكي تتحطم بالقلق، وإنما لكي نتهيأ أن يُسمع لنا؛ لكي ما نجعلها تحيا في وقارٍ وحذرٍ واستعدادٍ لاقتناء السماء عينها.

---

[1] *Homily 4 on Psalms.*
[2] *On Ps 120.*

ليس من شيء يجعل الإهمال والتراخي يهربان إلى الطريق الذي يقيمه الحزن والضيق. إنهما يجلبان أفكارنا معًا من كل جانب ويردا فكرنا إلى التأمل في داخله. من يصلي هكذا فإنه في حزنه، ينال بعد صلواته بهجة في نفسه[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ عندما يبدأ إنسان ما في المصاعد، وفي أكثر وضوح عندما يبدأ إنسان مسيحي أن يفكر في الإصلاح الروحي يبدأ يعاني من ألسنة المقاومين. من لا يعاني بعد منهم لا يكون ساعيًا في التقدم.

هل يريد أن يعرف معنى ما نقوله؟... ليبدأ في الإصلاح. ليبدأ الرغبة في المصاعد، يستخف بالأرضيات والأمور التافهة الزمنية، ولا يبالي بالسعادة العالمية، بل يفكر في الله وحده، ولا يفرح بالمكسب ولا يرتبك بالخسائر، يود أن يبيع كل شيء ويوزعه على الفقراء ويتبع المسيح، لنرَ كيف يعاني من ألسنة الساخرين والمقاومين على التواصل، والخطر العظيم الصادر من المتظاهرين كمشيرين، الذين يقودونه بعيدًا عن الخلاص... عندئذٍ هذا الذي يصعد يبدأ أولاً وقبل كل شيءٍ بالصلاة إلى الله ضد هذه الألسنة عينها، إذ يقول: "**إلى الرب في ضيقي صرخت، فاستجاب لي**" [1] .

القديس أغسطينوس

❖ كثرة الضيقات تجعل الصلاة مستجابة. "**إلى الرب في ضيقي صرخت ، فاستجاب لي**" (مز 120:1). وأيضًا: "لا تضطهد الغريب ولا تضايقهُ... فيكون إذا صرخ إليَّ أني أسمع، لأني رءوف" (خر 21:22، 27).

الأب إسحق

2. الحوار المفسد مع إبليس

يَا رَبُّ نَجِّ نَفْسِي مِنْ شِفَاهِ الْكَذِبِ،
مِنْ لِسَانِ غِشٍّ [2].

سقطت حواء في الخطية خلال الحوار مع الحية بلسانها الغاش. وتهلك نفوس كثيرة

---

[1] *On the Incomprehensible Nature of God, 5:6.*
[2] *On Ps 120 (119).*
[3] *Cassian, Conferences 9:34.*

من خلال ألسنة الهراطقة الغاشة كما يقول **القديس أثناسيوس الرسولي**.

يقول **القديس أغسطينوس** حينما يبدأ المؤمن في التفكير في ارتقاء السلم أو الإصلاح الروحي، يبدأ يعاني متألمًا من ألسنة المعاندين الخصوم، وعليه أن يضرع إلى الرب ليضعه على درجات المصاعد. الخصم الحقيقي ليس إنسانًا، بل الحية القديمة وهي سامة. لذا يطالبنا بالصلاة ضد إبليس إن رغبنا في المصاعد.

❖ ألا ترون قيمة المحن؟ ألا ترون تأهب الحنو؟ قيمة المحن هي أنها تقود إلى صلاة غير ملومة، وتهيئ لنوال الرأفة فور سؤالها، كما حدث قبلاً في مصر، إذ يقول: "إني قد رأيت مذلة شعبي، وسمعت أنينهم، فنزلت لأنقذهم" (راجع خر 3: 7-8). وأنتم أيضًا أيها الأعزاء الأحباء، عندما تعانون من محنة لا تيأسوا ولا تتراخوا، بل في ذلك الوقت حِثوا أنفسكم، لأن صلاتكم ستكون أكثر نقاوة ومقبولة بالأكثر لدى الله...

السبب الذي لأجله قال الكاتب الموحي إليه: "**إلى الرب في ضيقي صرخت، فاستجاب لي**"، هو لكي ما تتعلموا أن تتسلقوا بالتدريج، وتهبوا صلواتكم أجنحة، حتى لا ترتبكوا وتفقدوا قلوبكم في محنكم عوض أن تحصدوا المكسب منها. أقصد إن كان إليشع النبي الإنسان لم يسمح لتلميذه أن يصد المرأة عن الاقتراب منه، قائلاً: "دعها، لأن نفسها مرة فيها" (2 مل 4: 27)، ليشير أنها بسببٍ صالحٍ تطلب وهي في المحنة، كم بالأكثر لا يصدكم الله عندما تقتربون إليه بروح مضطربة...

لا تتأخروا ولا تؤجلوا، بل ابدأوا الرحلة بقوة بقصد المصاعد في يومٍ واحدٍ درجتين أو ثلاث درجات أو عشر أو عشرين [1].

❖ "**يا رب نج نفسي من شفاه الكذب، من لسانٍ غشٍ** " [2]. لاحظوا هنا التوجيه الإنجيلي يشرق: "صلوا لئلا تدخلوا في تجربة" (مر 14: 38).

قبل كل شيء أيها الأعزاء المحبوبون، ليس شيء مثل هذه التجربة، فإن السقوط كضحية لشخصٍ مخادعٍ، أخطر من الحيوان المفترس. فالحيوان المفترس كما تعلمون هو كما يظهر عليه، أما هؤلاء (أصحاب الشفاه الغاشة)، فغالبًا ما يخفون طبيعتهم وراء حجاب يبدو حلوًا حتى يصعب اكتشاف خداعهم، ويسقط ضحيتهم في الفخ دون أن يدري. لهذا

---

[1] *On Ps 120.*

يطلب (المرتل) من الله، يومًا فيومًا لأجل هذا النفع ألا وهو التحرر من مثل هذه المكائد[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ما هو اللسان الغاش؟ اللسان الغادر، الذي له مظهر المشورة، وفيه سم الأذية الحقيقية .

القديس أغسطينوس

❖ ينطبق هذا على كل جماعات الهراطقة.... خطيرة بالحري هي جراحات اللسا ن أكثر من التي يسببها السيف. فالسيف يقتل الجسم لا النفس؛ أما اللسان فيقتل النفس. اللسان أداة رديئة وشر مستطير. "هكذا اللسان أيضًا هو عضو صغير ويفتخر متعظمًا" (يع 3: 5).

أنصتوا إلى ما يقوله سليمان: "الموت والحياة في يد اللسا ن" (أم 18: 21). نحن لا نصنع (لمن نسيء إليه بلساننا) شيئًا، إنما نقتل نفوسنا، لأننا نكذب. "الفم الكاذب يذبح الإنسان" (حكمة 1: 11)...

القديس جيروم

❖ اقترب يهوذا أب كل الكذب، وأعطى سلامًا به يُسكب الدم البريء.

بالاسم هي قُبلة، وعندما تُفحص فهي سكين، سلام في الظاهر ، أما في الخفية فسيف مسلول.

من الخارج كان يشبه حمامة وديعة، ومن الداخل كان حية تلسع وتتحايل.

كان يمد له بجسارة السم في العسل، وكان يعطيه بالإثم السيف في الأمان.

لا يقبّل أحد كما قبَّل ذاك القاتل، ولا يخفِ أحد المكر في كلماتٍ لطيفةٍ.

لا يوجه أحد أبدًا كلمة ماكرة إلى رفيقه، ولا ينصب أحد فخًا في الخفية لمن يعرفه.

يهوذا علّم فعلاً بغيضًا في كل العالم، لا يتعلّم أحد ذلك التعليم المملوء موتًا[2].

القديس مار يعقوب السروجي

مَاذَا يُعْطِيكَ،

وَمَاذَا يَزِيدُ لَكَ لِسَانُ الْغِشِّ؟ [3]

يقف المرتل في دهشة، إذ لا تستطيع لغة أن تعبرَّ عن العقوبة التي يستحقها صاحب

---

[1] *On Ps 120.*

[2] *On Ps 120 (119).*

[3] ميمر 53.

اللسان الغاش. ليس من إنسان يقدر أن يُوقع عقوبة على صاحب اللسان الغاش تليق به، إنما الله وحده له حق إصدار العقوبة التي تليق بالغش. ومع هذا فإن صاحب اللسان الغاش يسقط تحت العقوبة، لأن الغش يحمل عقوبته فيه. ليس من عقوبة أمر من الشر نفسه!

❖ أية عقوبة يمكن أن تكون لائقة بهذا الشر؟ هذه التي قال عنها أيضًا إشعياء لليهود: "على مَا تُضربون بعد؟" (إش 1: 5)

هذا في الحقيقة ما يقوله أيضًا المرتل: "**ماذا يعطيك، وماذا يزيد لك لسان الغش؟**"

هكذا يعني هذا أن (لسان الغش) نفسه في ذاته عقوبة... **الشر، في الحقيقة، هو في ذاته عقوبة مرعبة للنفس** ، حتى قبل أن تحل العقوبة عليها. لهذا أية عقوبة يمكن أن تليق بمثل هذا؟ ففي تعبيرات هذا العالم لا توجد (عقوبة مرعبة مثل الشر نفسه)، إنما ستأتي الضربة من قِبل الله، بينما لا يقدر إنسان ما أن يفرض عقوبة تليق بالجريمة، فإن الجريمة تفوق العقوبة، لكن الله سيقدم الضربة [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

سِهَامَ جَبَّارٍ مَسْنُونَةً مَعَ جَمْرِ الرَّتَمِ [4].

من هو صاحب اللسان الغاش إلا إبليس الذي يُدعى المُضل، والكذاب وأب الكذاب (يو 8: 44)، يلقي بغشه سهام نارية يهلك بها البشر. يحذرنا منها الرسول بولس باستخدام سلاح الله الكامل (أف 6: 13).

إن كان عدو الخير يحاربنا باللسان الغاش كسهام نارية، فإن الله من جانبه يمدنا بكلمته كسهام تحطم إبليس وكل قواته.

الرتم هو نبات صحراوي، وهو نوع من الشيح، يعرف علميًا باسم *Retama retem* من العائلة البقولية *leguminosae*. تستخدم جذوره وجذوعه في إنتاج نوع جيد من الفحم يعطي طاقة حرارية كبيرة، لذلك يشبَّه اللسان الغاش بجمر الرتم. توجد شجرة الرتم بوفرة في جنوبي فلسطين وشبه جزيرة سيناء.

يرى **القديس أغسطينوس** أن سهام الجبار هي كلمات الله، وأن جمر الخراب أو البرية هي أمثلة لكثير من الخطاة الذين رجعوا إلى الرب.

هؤلاء جرحوا بكلمات الله كسهامٍ قويةٍ، بددت ما فيهم من شر، ونزعته عنهم. إنهم

---

[1] *On Ps 120.*

كالمشرط في يد طبيب ماهر محب، يجرح لكي يزيل الفساد، فيهب الجسم صحة.

كلمة الله تحول الخطاة إلى جمرة نارٍ ملتهبٍ بالحب الإلهي، لا تقدر مياه الخطية أن تطفئها.

لقد كُرس المزمور السابق (119) لكلمات الله التي هي سهام إلهية جرحت قلوبنا، هذه التي نحتاج إليها لكي بالجراحات الإلهية نبرأ من الجراحات التي سببتها كلمات الناس الغاشة كسهامٍ مسنونة تقتل النفس. الجراحات الإلهية صحية تقودنا إلى طريق الحب العملي، أما الجراحات الأخرى فغاشة ومهلكة.

❖ "**سهام جبار مسنونة مع جمر الخراب**" [4].

لقد انتفخ لساني كله، امتلأ سمًا، فإن لم تخترقه سهامك وترشقه لا ينفذ منه السم. يجب أن نقدم لكم مثالاً لهذا. إن كان بالجسم عضو قد أعطب، وأصابه داء السرطان، وامتلأ بالصديد، فإن لم يُفتح (بالمشرط) فلا سبيل لإزالة الصديد... ولأن لساني ينتفخ بالصديد والسم فلتجرحه أولاً بسهامك حتى تحرره من الصديد، ثم مسه بجمر نيرانك الملتهب حتى تحترق كل الشرور، فيصير خربًا مهجورًا...

هاكم مثال آخر... لأن شفتي إشعياء كانتا دنستين أرسل شاروب، أخذ جمرة نار مشتعلة من المذبح، ولمس بها شفتي إشعياء ولسانه وطهر فمه (إش 6: 5) .

القديس جيروم

❖ هنا أيضًا يدعو العقوبة سهامًا... أيضًا الأسفار المقدسة تبرز عقوبات الله وتدعوها سهامًا ونارًا .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أولاً لتفهموا أيها الأحباء الأعزاء ما هي السهام. " **سهام جبار مسنونة** " هي كلمات الله... وما هو **جمر البرية؟** لا يكفي أن تزُد بالكلمات على اللسان الغاش وشفاه الإثم... بل يلزم أن ندافع بأن نكون نماذج أيضًا.

تُستخدم كلمة "**جمر**" لتعبر عن أمثلة خطاة كثيرين رجعوا إلى الرب.

إنك تسمع عن أناس يندهشون، ويقولون: "إني أعرف هذا الإنسان الذي كان مدمنًا في

---

[1] *Homily 41 on Psalms.*
[2] *On Ps 120.*

الشرب، كن دنيئًا، محبًا للمسارح والسيرك، محتالاً، كيف صار الآن يخدم الله، كيف صار الآن بريئًا! لا تدهش، إنه جمر حيّ. لتفرح أنه حيّ ذاك الذي كنت حزينًا عليه كميتٍ. ولكن عندما تمتدح الحيّ – إن كنت تعرف كيف تمدحه – هذا الذي لازال بطيئًا في إتباعه الله، انكب عليه بالجمر الملتهب. لديك سهم كلمة الله، جمر البرية، بهذا تواجه اللسان الغاش وشفاه الكذب [1].

❖ عندما يرسل الرب جمره (الملتهب نارًا)... يتحطم ما قد بُني فينا للشر. وإذ يتطهر هذا الموقع يقوم بناء الهيكل، المسكن، حيث يفيض فيه نوع من السعادة تنبع عن الأبدية. لكنني لست أريد أن تفقدوا ما يعنيه المرتل بالحديث عن "**الجمر**" (مز ١٢٠: ٤).

الرجوع إلى الرب هو عبور من الموت إلى الحياة. قبل أن يشتعل **الجمر**، يلزمنا القول بأن الفحم ميت، وإذ يلتهب بالنار ندعوه حيًا. هذه صورة رائعة للتغير الذي يحدث حين يعود رجل أو امرأة إلى الرب بعد أن كان ميتًا.

أحيانًا نسمع الناس يقولون بتعجب: "يلزمك أن تراه كما كان عليه قبلاً، لقد كان سكيرًا، وكانت حياته مخجلة". أو يقولون: "لقد أحب الحياة الصالحة". أو "كان أكبر مخادع التقيتُ به". ثم يضيف القائلون بعد ذلك: "لسنا نصدق ما هو عليه الآن. إنه يخدم الله بكل غيرة، وها أنت تعلم أنه يعيش في جو من البراءة. كأن كل ما قد حدث قبلاً لم يكن له وجود". ما هو وجه العجب؟ فقد كان الخاطئ ميتًا، والآن هو جمر حيّ. الروحيون الذين يعرفون تلك الحقائق الروحية يبكون على مثل هذا كمن كان ميتًا، والآن إذ يرونه حيًا يُبتلعون بالفرح!

يوجد شيء في هذا المثال أود أن تطبقوه على أنفسكم. لقد صرنا مبتهجين نسبح الله، إذ نرى قطعة الفحم قد أمسكت بها النار. لكننا إن كنا حكماء يلزمنا أن نبحث في غيرة عن ما في داخلنا، وقد انطفأ...

كونوا مستعدين ومتسلحين بكلمة الله. لكي تتحولوا إلى الله، يلزمكم أن تحاربوا طريقكم القديم، الصوت المخادع في داخلكم [2].

القدِّيس أغسطينوس

---

[1] *On Ps 120 (119).*
[2] *Hom. on Ps. 5.*

3. الشعور بالغربة والاشتياق إلى السماء

وَيْلِي لِغُرْبَتِي فِي مَاشِكَ،

لِسَكَنِي فِي خِيَامِ قِيدَارَ! [5]

ماشك: هو أحد بني آرام (تك 10: 23)، يُدعى ماش أو ماشك (1 أي 1: 17).

اختلف الدارسون عن موضع ماشك. فكما يظهر من نقوش الأشوريين ومن المؤرخ هيرودوت أن بلاد ماشك كانت في شرق تركيا. ويرى البعض أن ماشك سكن جبل ماسيوس، وهو طور عابدين في سوريا.

يئن المرتل من **سكناه في خيام قيدار** . **قيدار** هو أحد أحفاد إسماعيل (تك 5: 20)، رأس قبيلة عربية تعيش في خيام.

يرى **القديس أغسطينوس** أن الذين يريدون أن يطيروا ويصعدوا إلى الله، فيقطنون في أورشليم السماوية، حيث لا يوجد أصحاب شفاه الكذب واللسان الغاش يعيشون لله في حالة تغرب عن مدينتهم السماوية، يعيشون كما كان إسحق مع إسماعيل.

أما دور الأشرار فهو تثبيط هِمَم الأبرار ومقاومتهم، ومحاولة نتف ريش أجنحتهم بشفاه الغش ولسان الكذب، حتى يهبطوا إلى أسفل، ولا يصعدوا إلى فوق.

- "**ويلي لغربتي، قد صارت بعيدة**". لقد رحلت عنك، صارت غربتي بعيدة. لا أبلغ تلك المدينة التي سأعيش فيها دون وجود شخص شرير. لم أبلغ بعد إلى صحبة الملائكة حيث لا أخشى أية معاصٍ... هناك (في أورشليم السماوية) الكل أبرار وقديسون، يتمتعون بكلمة الله دون قراءة، ودون حروف، لأن ما هو مكتوب لأجلنا على صفحات سيدركونه هناك خلال وجه الله.

  أية مدينة هذه؟ مدينة عظيمة بالحق، بائسون هم التائهون عنها [1].

- "**قيدار**" على ما أذكر تُفسَّر في العبرية بمعنى "ظلمة"... أنتم تعرفون أن إبراهيم له ابنان، أشار بالحق إليهم الرسول (غل 4: 22 الخ)، وأظهر أنهما يشيران إلى نوعين من العهود... إسماعيل كان في ظلمة، وإسحق في نورٍ. فمن يطلب السعادة الأرضية في الكنيسة من الله ينتمي إلى إسماعيل... إسحق مع إسماعيل، أي الذين ينتمون إلى إسحق يعيشون بين الذين ينتمون إلى إسماعيل. هؤلاء يطلبون أن يصعدوا، وأولئك يريدون أن يضغطوا عليهم

---

[1] *On Ps 120 (119).*

لكي يهبطوا. هؤلاء يريدون أن يطيروا إلى الله، وأولئك يسعون أن ينتِفوا أجنحتهم[1].

❖ لم أبلغ بعد هذه المدينة حيث لا أعيش مع أشرارٍ؛ لم أبلغ بعد إلى صحبة الملائكة حيث لا أخشى أذية...

جميعهم هناك أبرار وقديسون ينعمون بكلمة الله بدون قراءة، بدون أحرف، لأن ما كتب لنا على الصفحات، يتلقنونه هم خلال وجه الآب.

إنها حقًا لمدينة عظيمة، وتعساء هم الغرباء عينها!

القديس أغسطينوس

❖ حياتنا الحاضرة كما ترون هي رحلة. ولماذا أدعوها رحلة إن كانت بالحقيقة هي شيء أقل من أن يكون رحلة؟ لذلك دعاها المسيح أيضًا: "ما أضيق الباب، وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة" (مت 7: 14)... بولس أيضًا أشار إلى ذلك في رسالته: "لذلك لا يستحي الله أن يُدعى إلههم"، لماذا؟ أخبِرني! لأنهم أقروا بأنهم غرباء ونزلاء" (عب 11: 16، 13). هذا هو أصل كل فضيلتهم وأساسها: ذاك الذي هو غريب هنا سيكون مواطنًا هناك. ذاك الذي هو غريب هنا لا يسعد أن يحيا بين الأمور الحاضرة، ولا ينشغل بالسكنى والمال والطعام وأي شيءٍ آخر شبيه بذلك. عوض هذا، فإن الذين يعيشون في أماكن غريبة يفعلون كل شيءٍ ويهتمون بالعودة إلى وطنهم، ويجاهدون يوميًا أن يروا الأرض التي تحتضنهم، هكذا أيضًا الذين في محبتهم للأمور العتيدة لا يكتئبون بسبب الأحزان الحاضرة، ولا يتعلَّقون بالنجاح (الزمني)، بل يستخِفون بكليهما كمسافرين على الطريق .

❖ "**لسكني في خيام قيدار** ". إنهم جنس فظ، عنفاء جدًا نحو الذين هم مستعبدون لهم، يستخدمون الخيام والأكواخ وينزلون إلى عنف الحيوانات الشرسة[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ بالحقيقة إن المتغربين في هذه الخيمة يعيشون في ظلمة. لذلك يتنهد (داود) من طول غربته، قائلاً: "ويل لي، فإن غربتي قد طالت عليّ"، وأوضح أن سبب ضيقه هو الظلمة، لأننا نعرف أن كلمة **قيدار** في اللغة العبرية تعني الظلمة. " **وسكنت في مساكن قيدار**"

---

[1] *On Ps 120 (119).*
[2] *On Ps 120.*
[3] *On Ps 120.*

(راجع مز 120).

إنها ظلمة حقًا كظلمة الليل التي تطمس عيني الإنسان وتعيقه عن اكتشاف العثرات، ومعرفة ما هو الغرض الحقيقي لوجوده. وفي هذه الظلمة أيضًا كل شيء يبدو معكوسًا، والوجود مؤقتًا، والنفس لا قيمة لها. لا يرى الحق واضحًا، لأن الظلمة أعمت عينيه[1].

القديس غريغوريوس النيسي

- ❖ هذه هي شكوى محب المسيح الذي لا يريد شيئًا من الجسد الذي تغرَّب عن العالم واشتاق إلى السماء...

كلما نبقى في خيمة جسدنا الأرضي، فنحن متغربون عن الرب...

"**غربتي**"، لأننا في العالم الحاضر ليس لنا وطن باق دائم، فنحن غرباء (حجاج) (1 بط 2: 11)...

"**قيدار**"، في لغتنا تعني "الظلمة"... كلما طالت سكناي في الظلمة، ظللت في هذا الجسد المائت[2].

- ❖ بالنسبة لقطيعنا ينتمي إليه الحزانى والشاحبون ومن يرتدون ثيابًا بسيطة، كغرباء في العالم، فإنهم وإن كانت ألسنتهم صامتة لكنهم يتكلمون بملابسهم وطريقة مشيهم[3].

- ❖ "**قيدار**" معناها "ظلمة" والظلمة تمثل العالم الحاضر، فقد قبل لنا إن النور يشرق في الظلمة، والظلمة لم تدركه (يو 1: 5)[4].

القديس جيروم

- ❖ يقول داود في نصٍ لاحق "ويلٌ لي. فإن غربتي قد طالت" (مز 120 :5). ومن ثمَّ فهو يضرع إلى الرب ليعجِّلَ انطلاقةَ نحو الخيرات، ولهذا ففي وسط آلام العالم، كانت ثمة تعزية عظيمة في الأمور الحاضرة ورجاء في الأمور العتيدة (المستقبلة). لهذا من ذا الذي لا يرفع قلبه حينما يترجَّى نصيبًا مباركًا في المظال السماوية المدَّخر له هناك؟

لكن لأن الأمور العتيدة تسبب لنا عمومًا قلقًا في حالتنا الضعيفة هذه، وأن الذين هم الآن حاضرون يسببون ضيقًا بوجهٍ عام، فإن النفسَ أيضًا، نفس المرنم القديس قد انزعجت،

---

[1] دير السريان: البتولية، 1966، ص 77-78.

[2] *Homily 41 on Psalms.*

[3] *Against Jovinianus, Book 2: 36.*

[4] *Letter 39 to Paula, 3.*

بسبب ذلك الجيشان، الذي يشتعل في جسده[1].

القديس أمبروسيوس

❖ أتوق إلي عطية واحدة أصارع من أجل مجدٍ واحدٍ وحده، مجد ملكوت السماوا ت"... كلما أشرق هذا الجمال الإلهي علي أحد القديسين يترك فيه حافزًا لرغبة لا تُحتمل، فيصرخ مضطربًا من جهة الحياة الحاضرة: "ويل لي فقد طالت غربتي علي، متي أتراءى أمام حضرة الله؟" (مز 120: 5؛ 42: 2)[2].

القديس باسيليوس الكبير

❖ **تأتي الدموع الصادرة عن التأمل في الأمور الصالحة والاشتياق إلى المجد المق بل.** إذ تتدفق دموع غزيرة نابعة عن فرح لا يمكن كتمانه وتهليل بلا حدود. فإذ تتعطش أنفسنا إلى الله الحي القدير تقول: "متى أجيء وأتراءَى قدام الله. صارت لي دموعي خبزًا نهارًا وليلاً" (مز 42:2، 3)، معلنة ذلك ببكاء يومي ونحيب قائلة: "ويل لي فإن غربتي قد طالت" (مز 120:5)[3].

الأب اسحق

طَالَ عَلَى نَفْسِي سَكَنُهَا مَعَ مُبْغِضِ السَّلاَمِ [6].

كلما أدرك المؤمن حقيقة موقفه كغريبٍ على الأرض التهب شوقه للسكنى مع السمائيين والرغبة في الانطلاق من بين مبغضي السلام.

في رسالة **القديس جيروم** لأوستاخيوم يعزيها في والدتها يتحدث عنها كيف تركت أرض غربتها لتلتصق بالله في الفردوس بكونها من أهل بيت الله، كتب: [كل الذين يعيشون حسب الله، والذين يرجعون إلى الرب لا يزالوا يُحسبون أعضاء أسرته. لقد فقدناها، هذا حقيقي، لكن المواضع السماوية كسبتها. فإنها إذ كانت في الجسد كانت متغربة عن الرب (2 كو 5: 6)، وتشتكي دومًا بدموعٍ "ويلي لغربتي في ماشك لسكنى في خيام قيدار؛ طال على نفسي سكنها (كسائحة)" (راجع مز 120: 5-6)[4].]

يرى **القديس أغسطينوس** أن المرتل يئن من حالة التيه الداخلية.

---

[1] *Prayer of David 4:3:10.*

[2] *Reg. Feus 2: 1.*

[3] مناظرات يوحنا كاسيان مع مشاهير آباء البرية، 29:9.

[4] *Letter 108 to Eustachium,, 1.*

❖ الجسم تائه في أماكن، والنفس تائهة في انفعالاتها. إن كنت تحب الأرض، فأنت تائه عن الله. إن كنت تحب الله، فأنت صاعد إلى الله. لنختبر بحب الله وقريبنا العودة إلى المحبة. إن كنا نسقط نحو الأرض، نجف ونفسد [1].

القديس أغسطينوس

❖ "**طال على نفسي سكنها** ". بالحقيقة ليست حياة طويلة، إنها مجرد سبعين عامًا (راجع 2 صم 5: 4)، إنما دعاها طويلة لا بسبب كثرة السنين وإنما بسبب صعوبة الموقف. فإنها حتى وإن كانت لمدة قصيرة تبدو طويلة لمن هم في محنة. نحن أيضًا يلزمنا أن نكيِّف أنفسنا أنه حتى إن كنا نعيش هنا لسنوات قليلة يلزمنا أن نحسبها طويلة بسبب شهوتنا نحو الحقائق العتيدة. بقول هذا لست أفتري على الحياة الحاضرة... إنني فقط أثير فيهم حب المستقبل [2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

4. مرارة معاشرة الأشرار

أَنَا سَلاَمٌ،

وَحِينَمَا أَتَكَلَّمُ فَهُمْ لِلْحَرْبِ [7].

يشعر أولاد الله بالغربة في هذا العالم، مع رغبة ملتهبة نحو السلام، بينما يقدم لهم العالم البغضة والكراهية.

هنا نجد نبوة عن السيد المسيح رئيس السلام.

❖ السلام هو قدرة المسيحيين وعظمتهم، سلام المسيح الذي يفوق كل عقل (فهم) (في 4: 7). طوبى لصانعي السلام، ليس فقط الذين يستعيدون السلام وسط الحروب، بل والذين يؤسسون سلامًا في أنفسهم... طوبى لصانعي السلام الذين يقدمون سلامًا لمن يبغضون السلام [3].

القديس جيروم

❖ "**مع مبغض السلام كنت (إنسان) سلام**" [7].

---

[1] *On Ps 120 (119).*
[2] *On Ps 120.*
[3] *Homily 41 on Psalms.*

لكن ما تسمعونه أيها المحبوبون جدًا الأعزاء، لا تقدرون أن تبرهنوا كيف بالحق تسبحونه ما لم تبدأوا بالعمل بما تسبحون به... ابدأوا بالعمل وانظروا إلى ما تنطقون به... تفيض الدموع مع كل كلمة، وعندئذٍ يُسبح بالمزمور، ويمارس القلب ما يُسبِّح به في المزمور... مَنْ هم أولئك الذين يبغضون السلام؟ الذين يمزِّقون الوحدة. لو لم يبغضوا السلام لسكنوا في الوحدة... يلزمنا القول: أحبوا السلام، فتحبوا المسيح. لماذا؟

لأن الرسول يقول عن المسيح: "لأنه هو سلامنا، الذي جعل الاثنين واحدًا" (أف 2: 14)[1].

القديس أغسطينوس

❖ من هم الذين يبغضون السلام؟ إنهم الذين يمزقون الوحدة. هذا نقوله نحن أيضًا لهم: حبوا السلام، حبوا المسيح، لأنهم إن أحبوا السلام يحبون المسيح... يقول الرسول عن المسيح إنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا (أف 2: 14).

القديس أغسطينوس

❖ من الجلي أن حياتنا تصير حياة نشاز مع الله الذي هو فائق البرّ، لكون أوتارنا قد تناغمت في وفاق مع الأشرار.

ينبغي أن نعظ المسالمين بأن لا يخشوا الاضطرابات التي تعصف بسلامهم الأرضي، وليكسروا حاجز الصمت بكلمات التوبيخ. ثم عليهم أن يحتفظوا بحبهم الداخلي دون شائبة، حتى ولو حدث اضطراب خارجي للسلام الخارجي بسبب التوبيخ. ويعلن لنا داود أنه استطاع أن يرعى بحكمة كِلا الأمرين: "**أنا سلامٌ، وحينما أتكلمُ فَهُمْ للحربِ**" (مز 120: 7) لنلاحظ انه عندما تكلم قام عليه معارضوه ومع ذلك كان مسالمًا. **إنه لم يتوقف عن التوبيخ، ولا عن محبة الذين يوبخهم**[2].

الأب غريغوريوس (الكبير)

❖ لم يقل: "مع الذين ليس لهم سلام"، بل قال: "**مع مبغضي السلام، كنت أنا سلام**". ألا ترون قيمة المحن؟ ألا ترون ثمر السبي؟ على أي الأحوال، من منا في هذه الأيام في وضع يمكنه أن يقول هذا؟ إنه جدير بالثناء أن تكون في سلامٍ مع الذين يحبون السلام، ولكن

---

[1] *On Ps 120 (119).*
[2] *Pastoral Care, 3:22.*

الأمر مختلف مع الذين يبغضون السلام. فكيف يمكننا أن نبلغ هذا؟ إن كنا نعيش كغرباء... إن كنا لا نلتصق بالحياة الحاضرة! ليس شيء يسبب صراعات وعداوة مثل محبة الحاضر، والرغبة في الشهرة والمال والترف...

لهذا يأمرنا الكتاب المقدس أن نعيش كحملانٍ بين ذئاب (مت 10: 16)... هذا وذاك شخص شرير وفاسد، لكنك أنت لك سلطان أن تغلب حتى الشرير. من هو أكثر وداعة من الحمل؟ ومن جانب آخر، من هو أعنف من الذئب؟ ومع هذا الأول يغلب الثاني، كما ثبت ذلك في حالة الرسل، **ليس شيء أكثر سلطانًا من اللطف**، ليس شيء أقوى من طول الأناة[1].

❖ "**حينما أتكلم معهم يعادونني بلا سبب** "... في الوقت المعين أقدم شهادة عن الحب؛ في الوقت المناسب أنطق بكلمات الحنو ... ومع هذا لم يكن لهذا أثره عليهم. لقد استمررت أن أقدم البرهان على الفضيلة من جانبي بالرغم مما هم عليه في فكرهم .

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 120

من ينقذني من سهام العدو سواك؟

❖ تسبحك نفسي يا من تخرج من الضيق بركات لا تُحصى.
في وسط ضيقي صرخت إليك،
فانفتح أمامي باب الرجاء!
شاهدت يديك مبسوطتين لتحتضني.
وثقت في معونتك وأنا في وسط الآلام.
أشرق نور قيامتك عليّ وأنا بين الأموات.

❖ عدو الخير يتربص ليّ،
إنه الكذاب، وأب الكذاب،
يلقي بكلماته في فكري كسهامٍ قاتلة.

---

[1] *On Ps 120.*
[2] *On Ps 120.*

من ينقذني من سهامه سوى سهام كلمتك النارية.
جراحاتها شافية،
عوض جراحات الخطية يمتلئ قلبي بجراحات الحب.
تلتهب نفسي بنار روحك القدوس.
تصير كجمرةٍ نارٍ ملتهبة،
لا يقدر العدو أن يطفئها.

❖ أعماقي تشتهي الانطلاق إليك.
هوذا الأشرار يقاومونني،
الظلمة تود أن تحوط بي.
الكل يثور ضدي،
لكن سلامك يملأ قلبي.
أعماقي تحب حتى المقاومين!
سلامك عجيب يا ملك السلام!
إلهي، أنت مخلصي الفريد.
تنقذني من إبليس وكل قواته،
تهبني ذاتك حياة أبدية عوض الموت.
فيك أجد سلامي الداخلي.
بك يُنتزع عني كل فسادٍ،
وتتجدد حياتي يومًا فيومًا.

الْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْحَادِي وَالْعِشْرُونَ

سرّ سلامي: الالتصاق بالمخلص كلمة الله

رأينا في المزمور السابق القادمين إلى أورشليم ليتمتعوا بالعبادة في هيكل الرب، يبدأون رحلتهم بالشعور بالتغرب في وادي الدموع. لن يكف عدو الخير – السليط اللسان– عن مقاومتهم حتى يمرر حياتهم فلا يصعدون. بدأ المرتل باسم كل المتغربين في هذا العالم بصرخة إلى الرب المخلص الكلي الحنو، لينقذه من سهام إبليس النارية، وختمه بظهور المخلص القائل: "**أنا سلام**" (مز 120: 7). الآن إذ عبروا الخطوة الأولى يرفعون أعينهم إلى الرب المخلص الفريد معين الغرباء.

تكررت كلمة " **يحفظ** " ومشتقاتها ست مرات، حتى يمكننا أن ندعو هذا المزمور: **مزمور الحفظ والأمان.**

الآن في هذا المزمور تُمتص كل أفكار المرتل وعواطفه نحو هذا المخلص الفريد في قدراته الإلهية وحنوه الأبوي وسماته الأبدية!

يقدم لنا المرتل صورة رائعة عن المخلص الفريد **الذي يعينني ويحفظني ويهبني سلامه العجيب:**

1. **كلمة الله جبال مقدسة 1-2.**
2. **الالتصاق بالحارس السماوي 3-5.**
3. **التمسك بالمسيح وكنيسته 6.**
4. **السلوك المقدس 7.**
5. **الشعور بالحضرة الإلهية 8.**

1. كلمة الله جبال مقدسة

يتطلع القادمون إلى أورشليم، فيرون الجبال المحيطة بمدينتهم المحبوبة، فترتفع قلوبهم إلى الجبل الإلهي الآمن. كان اليهود يتطلعون إلى جبل صهيون كأروع ما في الطبيعة، حيث تُقام أورشليم مدينة الله على الجبال المقدسة، ويُقام الهيكل المقدس فيها. الآن يتقدم المخلص رب الطبيعة نفسه كجبلٍ فريدٍ يخلصنا من الشرور ويرفعنا إلى مدينة الله السماوية.

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

أَرْفَعُ عَيْنَيَّ إِلَى الْجِبَالِ،
مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي [1].

في العهد القديم وجد نوح راحته إلى حين على **جبل أراراط**، حيث استقر الفلك به. ووجد موسى وإيليا راحتهما بالحديث مع الله على **جبل سيناء** أو حوريب، وسكن إيليا إلى حين على **جبل الكرمل**، ووجد اليهود سعادتهم المؤقتة على **جبل صهيون** حيث أُقيم هيكل سليمان. أما المرتل فيتطلع هنا إلى جبل فريد هو **الإيمان بالمسيَّا المخلص** ، القادر وحده أن يهب القيامة من الأموات وأمجاد الحياة الأبدية. في تهليل مع دهشة يقول زكريا النبي: "من أنت أيها الجبل العظيم" (زك 4: 7)

ما هي هذه الجبال القادرة أن تعين الإنسان وتخلصه من الموت الذي حلّ به سوى ذاك الحجر الذي رآه نبوخذنصر: "الحجر الذي ضرب التمثال، فصار جبلاً كبيرًا وملأ الأرض كلها" (دا 2: 35).

هذا الجبل القدوس يقيم من مؤمني العهد القديم والعهد الجديد جبالاً مقدسة، تحمل نوره. يتطلع إليها البشر الجادون في التمتع بالحق الإلهي، فيجدون العون الإلهي، ليس من الجبال ذاتها، إنما من الرب الساكن فيهم، والعامل في حياتهم.

يرى **العلامة أوريجينوس** أنه من محبة الله لنا أنه يظهر لنا فوق الجبال، حتى لا يجهدنا في التفتيش عنه، إذ نراه طافرًا على الجبال (نش 2: 8).

مسيحنا المخلص الحقيقي يتحدث عن نفسه أنه الجبل الذي ينتقل كما من السماء ليُطرح في البحر (مت 21: 21؛ مر 11: 33)، لكي يخلصنا من بحر الهاوية ويرتفع بنا إلى سماواته.

يرى **القديس جيروم** أن الجبال هنا تشير إلى **أنبياء العهد القديم** التي قدمت لنا نبوات عن مجيء المسيح المخلص، والرسل والتلاميذ الذين كرزوا به في العهد الجديد.

ويعلن **القديس أغسطينوس** أن التلال والجبال المقدسة هي **الأسفار الإلهية** التي بها نستنير بالشمس ذاته، فيحفظها من الظلمة.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه من بركات التجارب والمحن إذ تشعر النفس بالفقدان والارتباك فتشتاق أن تطلب الراحة من عند الرب المطَّلع على الخفيات، حيث تدرك عجز البشرية عن تقديم العون لها.

❖ النفس الزانية – راحاب التي فينا – تصرخ: "رفعت عينيّ إلى الجبال من حيث يأتي عوني"

[1]. حقاً إن رئيس هذا العالم لا يقدر أن يصعد إلى هذه المناطق ويصل إلى ربنا يسوع في المرتفعات، مع أنه في التجربة أخذه إلى موضعٍ عالٍ، وقال له: "اطرح نفسك إلى أسفل". (مت 6:4) فإنه لا يحب إلا الساقطين إلى الأعماق السفلية، إذ هناك يملك وهناك يقيم مسكنه، ومن هناك يهبط إلى جهنم.

العلامة أوريجينوس

- يليق بنا أن نطرح جلد (نعل) الحرف، ونصعد على جبل صهيون حفاة مع موسى، قائلين: "أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم" (خر 3: 3).
- إنهم الجبال التي نلجأ إليها عندما تحل رجسة الخراب في الموضع المقدس (مت 24: 15).

القديس جيروم

مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ،
صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ [2].

في حرفية قاتلة، كان اليهود يتطلعون إلى معونتهم من الهيكل المقام في أورشليم على جبل صهيون، دون الاهتمام بالرجوع إلى الله نفسه. لكن الله سمح بهدم الهيكل، وأسرهم في بابل، لكي يدركوا أن معونتهم تصدر عن التصاقهم بالله صانع السماء والأرض. فمع اهتمام الله ببيته الذي في وسط شعبه، إلا أنه يود أن يقيم منهم هيكلاً يقدسه ويسكن فيه.

- "**معونتي من عند الرب**": وليس من كائنات بشرية، ولا من الخيول، ولا من الممتلكات، ولا من المتحالفين. ولا من متاريس. معونتنا من عند الرب، هذا العون لا يُقهر، هذا العون لا يُغلب، وهو ليس فقط لا يُقهر، بل وأيضًا عون بسيط وسهل. أعني، أنه لا حاجة لنا إلى السفر طريقًا طويلاً، ولا إلى مداهنة الحجَّاب، ولا إلى إنفاق أموال باهظة... ولا إلى حفظ الأعين في الأعالي[3].

القديس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] *In Jos. , hom 1:5.*
[2] *Letter 121: 4.*
[3] *Homilies on Psalms, 60.*
[4] *On Ps 121.*

❖ شمس البرّ قد أشرق فعلاً، والإنجيل كُرز به بواسطة الرسل، والأسفار الإلهية (للعهد القديم) بُشِّر بها، الأسرار انكشفت، والحجاب تمزق، وأعلن المكان الخفي الذي في الهيكل، لهذا فليرفعوا أعينهم إلى التلال حيث يأتي العون... يقول: "من ملئه نحن جميعًا أخذنا" (يو 1: 16). العون هو من عنده الذي من ملئه أخذت التلال، وليس من التلال نفسها[1].

القديس أغسطينوس

❖ يقدم المزمور الثاني للمصاعد (مز 120: 2) تطويبًا للرجل الذي يأخذ معونة من الرب صانع السماوات والأرض، فلن تضربه الشمس في النهار (عدد 6)، وإشعياء التي إذ يتنبأ بإقامة الكنيسة (إش 60: 4؛ 66: 12) يصفها بموكب خاص. وتزداد القصة إشراقًا إذ يقول: إن البنات يُحملن على الأيد ي، والأطفال في مركبات مغطاة، **وتحميهم مظلات من حرارة الشمس المحرقة**[2].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

2. الالتصاق بالحارس السماوي

إذ يتطلع اليهود إلى التاريخ لن ينسوا خروجهم من مصر بيدٍ قوية وذراعٍ رفيعة، وكيف كان الله نفسه يحفظهم نهارًا وليلاً في البرية.

لاَ يَدَعُ رِجْلَكَ تَزِلُّ.

لاَ يَنْعَسُ حَافِظُكَ [3].

ليس من يقدر أن يحفظ أرجلنا من الزلل سوى ذاك الذي يقول عنه المرتل: "ينتزع من الفخ رجلي" (مز 25: 15).

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** في هذه العبارة أن الله هو مصدر راحتنا وطمأنينتنا حيث لا يسمح لأرجلنا أن تتعثر، ويسهر علينا ليهبنا الطمأنينة والأمان.

❖ "**لا يدع رجلك تزل** "، بمعنى أنك لا تتعثر، بل يمد الله يده إليك، ولا يتخلَّى عنك، ولا يتركك... عن هذا ينشأ أيضًا أن حتى ما نساهم فيه نحتاج إلى نعمته حتى نبقى في أمان ونستمر دون اضطراب[Ñ].

---

[1] *On Ps 120 (119).*

عظة 2 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.

[3] *On Ps 121.*

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لاحظوا أولاً ذاك الذي كان بين الملائكة وقد زلت رجله، هذا الذي لما زلت رجله سقط، وتحوَّل من ملاك إلى شيطان... لقد سقط بالكبرياء. ليس شيء يجعل الرجل تزل مثل الكبرياء. الحب يجعل الرِجْل تمشي وتتقدم وتصعد، والكبرياء يجعلها تسقط[1].

❖ اختر لنفسك ذاك الذي لا ينعس ولا ينام، عندئذٍ لا تزل رجلك. الله لن ينام. إن أردت لك حافظًا لن ينام، اختر لكَ الله حافظًا لك .

القديس أغسطينوس

إِنَّهُ لاَ يَنْعَسُ وَلاَ يَنَامُ،
حَافِظُ إِسْرَائِيلَ [4].

لا يخضع الخالق، حارس النفس، للزمن، فبالنسبة له لا يوجد ليل يطلب فيه نعاسًا وراحة، فكيف عن حراسة المؤمن؟ إنه يرى الكل في كل حين، ويعرف كل شيء ولا يخفي عليه شيء حيث لا توجد ظلمة بالنسبة له، وهو القادر على كل شيءٍ.

لقد نام السيد المسيح بالجسد في مؤخرة السفينة لكي ما يوقظ إيمان التلاميذ ويدركوا أنه حافظ حياتهم ونفوسهم، ينتهر الرياح فتهدأ عنهم (مر 4: 35-40).

إنه لا ينعس ولا ينام، مشغول بخلاصنا وراحتنا نهارًا وليلاً. يظلل علينا في النهار كسحابة لا تفارقنا، ويقودنا وسط ظلمة الليل كعمود نور يتقدمنا حتى لا نتعثر.

إن كان قد قيل عن السيد المسيح: "لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل" (مز 121: 4)، فإن الكنيسة عروسه تتغنى: "أنا نائمة وقلبي مستيقظ" (نش 5: 2). وكما يقول **القديس جيروم**: [كان يوجد رعاة ساهرين في ذلك الموضع (لو 2: 8)، فإنهم لن يجدوا المسيح ما لم يكونوا ساهرين، لأنه هذا هو التزام الراعي. لا يُوجد المسيح إلا بواسطة الساهر[2].]

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** في هذا القول أن الله لا يتخلى عن دوره في الرعاية، فلا يتركنا بل يبقى حافظًا لنا في أمانٍ عظيمٍ.

في المثل الخاص **بالسامري الصالح** يرى كثير من آباء الكنيسة أن السيد المسيح عني بالسامري شخصه هو، لأن كلمة سامري معناها "حارس" أو "حافظ". فالسيد المسيح هو حارس

---

[1] *On Ps 121 (120).*
[2] *On Ps 121 (120).*
[3] *St. Jerome: Homily 88, on the Nativity of the Lord.*

النفس الذي لا يأتمن آخر غيره عليها. هذا السامري الصالح والمهتم بالحراسة الإلهية للنفس يهتم بالمؤمن شخصيًا، إذ يقول المرتل : "حافظك" وهو لا ينعس ولا ينام، بل يسهر عليك ويحفظك حتى لا تزل رجلك فتسقط وتهوي، كما زلت أرجل بعض الملائكة، فسقطوا من رتبتهم السماوية، وصاروا بالكبرياء شياطين!

❖ يحفظكِ السامري – أي المخلص والحارس – مقدسة في الجيد والروح، الذي قيل عنه في المزمور: "**لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل**" ليت الحارس القدوس الذي نزل لدانيال يأتي إليكِ، حتى يمكنكِ القول: "أنا نائمة وقلبي مستيقظ" (نش 5: 2)[1].

القديس جيروم

❖ ليته لا يخف إنسان ما من الهلاك، مهما كان سقوطه فإنه السامري الصالح حارس النفوس. أقول إنه لن يجتازه (الجريح)، بل يحنو عليه ويشفيه[2].

القديس أمبروسيوس

❖ حارسنا هو خالقنا[3].

القديس أغسطينوس

❖ لنعمل كل شيء قدر استطاعتنا لنبقى ساهرين معه، ذاك الذي لا ينعس ولا ينام، حارس إسرائيل (مز 121: 4)[4].

العلامة أوريجينوس

❖ [بخصوص انصراف المجوس في طريق أخرى إلى كورتهم (مت 2: 12)].

هذا مثال لنا في التواضع والإيمان، فإننا ما أن نأتي لكي نعرف المسيح كملك ونسجد له، حتى نترك طريقنا الذي كنا نسلكه قبلاً، الذي هو طريق الخطأ (حيث جاءوا إلى هيرودس). الآن نسير في طريق آخر، يكون فيه المسيح مرشدنا. نرجع إلى كورتنا، الفردوس الذي طُرد منه آدم. هذا الموضع أشير إليه في مزمور بكوننا نسر الله في أرض الأحياء[5].

الأب خروماتيوس

---

[1] *Letter 75 to Theodora, 13.*
[2] *In Luc. Chapter 1.*
[3] *In Joan. tract 43:2.*
[4] *Commentary on Matt.,91.*
[5] *Chromatius: Tractate on Matt. 5: 2.*

❖ دعونا الآن نراجع بعض الفقرات السابقة في النص التي لم نتكلم عنها . مَرّ الكلمة على عروسه، ولكنها لم تعرف حبيبها. إنه لم يمر عليها ويجرى إلى الأمام ويهجر عروسه، لكنه أراد أن يجذبها لنفسه.

وقالت العروس: "**تفسي خرجت على كلمته**" . أي أن نفسها خرجت من المكان الذي كانت فيه حيث وجدها حراس المدينة: "**وجدني الحرس الطائف في المدينة، ضربوني جرحوني، حفظة الأسوار دفعوا برقعي عني**".

إن لاقت العروس أية آلام خاصة بالجحيم أو بلصٍ لكانت هذه خبرة مريرة لها "السارق لا يأتي إلاّ ليسرق ويذبح ويهلك" (يو10:10)، ولكن أن يجدها حراس المدينة فهذه في الحقيقة نعمة، لأن ما يجدونه لا يمكن أن يسرقه اللصوص. من هم هؤلاء الحراس؟ إنهم ليسوا إلاّ حراس إسرائيل (مز 4:121)، هؤلاء هم حراسنا على اليمين، وهم الذين نعتقد أنهم يحفظون نفوسنا من الشر ، ويحرسون دخولنا وخروجنا. الله هو حارس المدينة ويقول عنه المزمور: "إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس" (مز 1:127). هؤلاء الذين يشير إليهم النص كحراسٍ للمدينة هم "الأرواح الخادمة المرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب 14:1)[1].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ تستنير النفس بالتوبة لترى وتباشر بالعمل لإخراج الشرور بأسرها. .. وعندما ترى العملية قاسية وصعبة عليها تدعو المراحم (الإلهية) لتعضدها في فا عليتها. تشرع في جر الإثم وسحبه،لتخرجه من بيتها، فتستأجر الحنان بالدموع ليكون عاملاً معها. تب دأ في جمع الذنوب التي دخلت إليها منذ صباها، وتسكب مياه عينيها بدراية... كان اللص طفلاً مبتدئًا في ذلك الاعتراف، ثم توصل ليكون وارثًا في الملكوت. بكلمة واحدة نقل جميع جبال الإثم التي بناها، لأن إيمانه كان قويًا (مت 17: 19). ساعدته المراحم ليبلغ إل ى هذا العمل الجبار. أنت أيضًا إن طلبتها تأتي إلى عونك. عليك أنت ن تبدأ فقط ويسير الحنان حالاً معك. قدم أنت سببًا، ومساعدك لن يبطئ (مز 121: 3-4)[2].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] عظة 12 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.

[2] راجع الدكتور الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، 1995، ص 152.

❖ لتكن إسرائيل! ماذا تعني إسرائيل؟ إنها تُفسر " **رؤية الله**". وكيف يُرى الله؟ أولاً بالإيمان، وبعد ذلك بالرؤية. إن كنت لا تقدر بعد أن تراه بالعيان، فلتنظره بالإيمان...

لا تتكل على إنسان، فالمائت قد ينعس، إنه ينام في الموت، لا تطلب لك من بين البشر حارسًا![1]

القديس أغسطينوس

الرَّبُّ حَافِظُكَ.

الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ عَنْ يَدِكَ الْيُمْنَى [5].

الله يريد أن يخلص العالم كله لأنه محب البشر، ويود أن يحتضن كل إنسان بكونه إلهه الشخصي، يعطيه كل الحب وكل الرعاية.

إن كان الرب قد وهب بطرس أن يشفي بظله الأمراض، فكم يكون ظل الرب نفسه الذي بسط يديه على الصليب ليلقي بظله على كل البشرية.

إنه يظلل على يدنا اليمنى أي على أعمالنا وتصرفاتنا لكي نسلك حسب إرادته المقدسة.

❖ إنه حافظك، يقول إنه حليفك، ومعينك... بل وملجأ لك .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يدنا اليسرى تعني كل ما لدينا بطريقة وقتية، واليد اليمنى تعني ما يعدنا به الله، ما هو غير قابل للتغير وأبدي. لكنه إن كان يعطينا الحياة الأبدية فهو نفسه يريح حياتنا الحاضرة بالبركات الزمنية. هو نفسه صنع يدينا اليمنى واليسرى...

إيمانك هو يدك اليمنى، أي السلطان المُعطى لك. أن تكون بين أبناء الله فهذه هي يدك اليمنى[2].

القديس أغسطينوس

3. التمسك بالمسيح وكنيسته

---

[1] *On Ps 121 (120).*
[2] *On Ps 121.*
[3] *On Ps 121 (120).*

لاَ تَضْرِبُكَ الشَّمْسُ فِي النَّهَارِ،
وَلاَ الْقَمَرُ فِي اللَّيْلِ [6].

يحفظ الله مؤمنيه نهارًا وليلاً، فلا تؤذيهم الشمس بحرارتها الحارقة ولا القمر بالليل. قيل إن القمر له تأثير في المناطق الصحراوية يؤذي جسم الإنسان[1].

دُعي السيد المسيح شمس البرّ والشفاء في أجنحتها، ودُعيت الكنيسة بالقمر التي تحمل انعكاس نور شمس البرّ. **فمن ينكر الإيمان بالسيد المسيح تحرقه الشمس، ومن يسبب انشقاقًا في الكنيسة يحرقه القمر.** الله يحفظنا في الإيمان المستقيم وفي وحدة الكنيسة الحقيقية.

مقابل هذا فإن عدو الخير المخادع يظهر كشمسٍ لا ليهب شفاءً للنفوس، بل ليحرق بشروره النفس ويحطمها. ويظهر كقمرٍ إشارة إلى الثعالب الصغيرة التي تفسد كرم النفس خلال صغر النفس والكآبة.يرى البعض أن ضربات الشمس هي السقوط في الكبرياء والبرّ الذاتي، وضربات القمر هي التحطيم بالتجارب. والرب يحفظ أولاده من كليهما.

❖ إنه يريد أن يؤكد عنايته بصورة فيَّاضة، ليس فقط بتحريرهم من المتاعب، وإنما لا يسمح أيضًا لهم حتى بالمصاعب البشرية العادية... عونه يتحقق بسخائه ورأفته فوق كل تقدير، عونه من جانبه لا يُقاس حسب احتياجنا بل يتعدى متطلباتنا[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يتقدم جندي المسيح سواء بصيتٍ حسنٍ أو بصيتٍ رديءٍ (2 كو 6: 8)، واحد عن اليمين، والآخر عن اليسار. المديح لا ينفخه، والتوبيخ لا يحطمه. لا ينتفخ بالغنى، ولا يحطمه الفقر، الفرح والحزن يحتقرهما على حدٍ سواء، لا تحرقه الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل[3].

القديس جيروم

❖ من لا يخطئ في الحكمة ذاته لا تحرقه الشمس. ومن لا يخطئ في الكنيسة وفي جسد الرب وفي الأمور التي صنعت لأجلنا في الزمن لا يحرقه القمر[4].

القديس أغسطينوس

❖ هكذا ترون أن الشمس لن تحرق القديسين الذين ليس فيهم أمر شرير، لأنه كما نقول بأن

---

[1] *Gaebelien , p. 445.*
[2] *On Ps 121.*
[3] *Letter 52 to Nepotian, 13.*
[4] *On Ps 121 (120).*

للشمس قوة ذات حدين، فهي تنير الأبرار، لكنها لا تنير الأشرار بل تحرقهم، لأنهم هم أنفسهم يكرهون النور، إذ يفعلون الشر (يو 3: 29)[1].

❖ لا تحرق شمس التجارب الإنسان البار الذي يستريح تحت ظل كلمة الله. الشمس التي تحرق البار ليست تلك الشمس التي تسبح بل بالحري ذاك الذي يغير نفسه إلى ملاك نور (1 كو 11: 14)[2].

❖ "عيناك حمامتان؛ ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة عيناك حمامتان" (نش 15:1). سمعت العروس هذا الثناء، فأثنت بدورها على العريس. إنها لا تثنى على جمال لا تراه. كلا. بل رأت جماله وأطالت النظر فيه فقالت "**ها أنت جميل يا حبيبي وحلو وسريرنا أخضر**" (نش 16:1) أنى أبحث عن سرير تستريح فيه العروس والعريس، أنه الجسم البشرى فالمفلوج الذي كان يرقد على سريره دعاه الرب أن يذهب إلى بيته حاملا سريره (مت 6:9). لقد كان يرقد فيه وهو بائس لضعف أعضائه التي ثبتت بعد ذلك بالقوة الإلهية وهذا معنى أمر الرب "احمل سريرك، واذهب إلى بيتك"، لأن ابن الله لم ينزل من السماء إلى الأرض ليعطي أوامر خاصة بالسرير – كذلك لم ينزل لكي يترك الذي شفي من مرضه يذهب بلا سريره، لكنه قال: "احمل سريرك، واذهب إلى بيتك". وأنت أيضا يا من شفاك المخلص احمل سريرك أيضًا واذهب إلى بيتك، وعندك يأتي العريس... وينام. ستقول له: "**ها أنت جميل يا حبيبي وحلو، وسريرنا أخضر. ها أنت جميل يا حبيبي... إنه جميل، فلا تحرقك الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل**" (مز 6:120).

العلامة أوريجينوس

❖ جندي المسيح يزحف بصيتٍ حسنٍ وبصيتٍ رديءٍ، الواحد عن اليمين والآخر عن اليسار. ليس من مديح ينفخه، ولا من ذمٍ يحطمه. لا يتفاخر بالغنى ولا يحبطه الفقر. الفرح والحزن سيان يحتقرهما. لا تحرقه الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل[3].

القديس جيروم

4. السلوك المقدس

---

[1] *Commentary on Songs 2:2.*
[2] *Commentary on Songs.*
[3] *Letter 52.*

رعاية المخلص على مستوى أبدي، يهتم بخلاصنا ليدخل بنا إلى أمجاده الأبدية.

الرَّبُّ يَحْفَظُكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

يَحْفَظُ نَفْسَكَ [7].

إذ يلتصق به ككنزٍ في أوان خزفية، يحفظنا هو ويقدسنا له. فلا يليق بنا أن ننشغل حتى بالسياسات الكنسية. الذين يتكلون عليه وينظرون إليه يحفظهم من كل شرٍ أخلاقي، أي من الخطية، وليس ما ندعوه نحن شرًا كالآلام والأحزان والخسائر في الأمور الزمنية.

الحفظ من الشر يتضمن حياة آمنة متهللة وسط الآلام والضيقات، وليس بالضرورة إزالة الضيق.

العلامة أوريجينوس

❖ بمعنى آخر، ذاك الذي لا يسمح لك أن تعاني حتى من المشاكل البسيطة، وعوض ذلك تمتد رعايته وعنايته بك إلى هذه الدرجة، مستعد بالحري أن يستثنيك عن الآخرين... يد الله كليَّة القدرة، وفعّالة، وقادرة أن تحررك وتخلصك من كل تعبٍ، أيا كان هذا التعب، وتجعلك حرًا [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "**الرب يحفظك من كل شرٍ** " [7]، من المعاصي في الشمس والمعاصي في القمر، يحفظك من كل شرٍ، بهذا يحفظ يدك اليمنى ذاك الذي لا ينعس ولا ينام .

القديس أغسطينوس

❖ عندما تسمع خبرًا حسنًا احتقره، ولا تتكل عليه لأنه ليس صحيحًا. وإن طرق سمعك أيضًا خبر سيئ لا تخف منه، لأنه غير ثابتٍ.

في هذا الزمان تمتطي الأخبار السارة والمحزنة العجلات مثل النهار والليل، وتتراكض وراء بعضها بعضًا، وليس لأي منها سلطة لتستقر في موضعٍ أو تخرج منه، لأن الحكمة إرادتها أن تتراكض هكذا.

لا يفزع فكرك ويستعجل ويطارد مثلها، بحيث يحزنك هذا ويفرحك ذاك.

لكن دعْ الأخبار تذهب وتجيء، واتكل على الله، وعلى رجاء الإيمان، منتظرًا العبارة

---

[1] *On Ps 121.*

[2] *On Ps 121 (120).*

التي تقول: "لا تضربك الشمس في النهار، ولا القمر في الليل، الرب يحفظك من كل شر" (مز 121: 6-7)[1].

القديس مار يعقوب السروجي

5. الشعور بالحضرة الإلهية

الرَّبُّ يَحْفَظُ خُرُوجَكَ وَدُخُولَكَ،

مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ [8].

إنه يحفظ خروجنا من محبة العالم، ويحفظ دخولنا إلى خبرة الحياة السماوية.

لقد خرج من عند الآب ونزل إلينا، ليحملنا فيه ويدخل بنا إلى حضن الآب. بخروجه ودخوله قدَّس خروجنا ودخولنا.

❖ يشير هنا إلى كل ما في الحياة، كل الحياة مغطاة بهذه (العناية)، المداخل والمخارج. إنه يقول ليس إلى يومٍ أو يومين أو ثلاثة أيام أو عشرة أو عشرين أو مائة يومٍ، بل على الدوام، وهذا ليس حال البشر الذين يتعرضون إلى تغيُّرات كثيرة، وأحداث لا تتوقف، وتبديل لا ينتهي... صديق اليوم هو عدو الغد، المعين اليوم يتركك غدًا... أما ما يأتي من الله، فغير متغير، وخالد، وثابت، وغير محدود .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "**الرب يحفظ خروجك ودخولك من الآن وإلى الدهر** " [8]. ليس جسمك، فإن الشهداء هلكت أجسامهم لكن "**الرب يحفظ نفسك**"[2].

القديس أغسطينوس

يستخدم اليهود تعبير "**يدخل ويخرج**" لتعني "كل شيءٍ" أو لتدل على تصرفاتنا اليومية، أي سلوكنا اليومي (تث 28:6؛ يش 14:11؛ 2 صم 3:25). وربما تعني حياة الإنسان منذ مولده حيث يدخل العالم إلى يوم رحيله حيث يخرج منه، أي إلى فجر الحياة وغروبها. ويفسر البعض هذا التعبير روحيًا بمعنى أنه يحفظ الإنسان منذ دخوله إلى الحياة حتى يخرج ليمارس الحياة الجديدة في الرب، وكأنه يحفظه حتى في ضعفه حتى يدخل إلى الشركة مع السماوي.

---

[1] الرسالة السادسة والعشرون.

[2] *On Ps 121.*

[3] *On Ps 121 (120).*

❖ خروجنا من حالتنا الراهنة يصير دخولاً إلى عالم الخير المطلق. إنه الخروج الذي تتمتع به النفس حينما تسترشد بالكلمة (اللوغوس) الذي قال: "أنا هو الباب" (يو 10: 9) لن تكف (تلك النفس) عن الدخول والخروج، فإن راحتها فقط في دخولها المستمر، بتقدمها في الأمور التي كانت قبلاً، وفي خروجها من الحالة التي أدركتها بالفعل. بهذه الطريقة أيضًا عبر وجه الرب المحبوب بموسى، وبهذا فإن نفس مستلم الناموس استمرت في الخروج من الحالة التي كانت عليها لتتبع على الدوام الكلمة التي سارت قدامها [1].

القديس غريغوريوس النيسي

من وحي المزمور 121

لألتصق بك يا حارس نفسي!

❖ من يحرس نفسي ويحفظني من الشر سواك.
من أجلي صرت جبلاً شاهقًا،
تحملني إلى القمة،
فلا يقدر عدو الخير ان يقترب إليّ.
يود أن يحدرني إلى الهاوية مسكنه الأخير،
أما أنت فتصعد بي إلى قمم الجبال العالية.

❖ من أجلي تجسدت،
صرت حجرًا صغيرًا غير مقطوع بأيدٍ بشرية.
ملأت الأرض، فصرت جبلاً شامخًا يا أيها القدوس.
أقمت منا جبالاً مقدسة مستنيرة.
تشرق بنورك علينا،
فتبدد كل أثرٍ لظلمة إبليس،
ولا يكون له موضع فينا.

❖ تتهلل نفسي إذ أراك أقمت جبالاً في كل الأجيال.
تشهد لبهائك وخلاصك وحقك الإلهي!

---

[1] *Com. On Canticle, Sermon 12.*

❖ لنطرح عنا نعالنا،
ونصعد على جبل صهيون المقدس.
نقول مع نبيك موسى:
"أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم!"
اسمع معه صوتك،
واكتشف معه أسرار تجسدك.
أراك نارًا تلحق بالعليقة، لا لتحرقها بل تنيرها.

❖ وهبتني أسفار كتابك المقدس جبالاً منيرة.
أتمتع بنور معرفتك، وأنعم بعونك.
كتابك نور وحياة، قوة مع عذوبة!

❖ كان المؤمنون يشتهون الصعود إلى أورشليم،
يرون هيكلك الذي على مثال سماواتك.
وهبتني أن تحملني إلى عربون السماء.
تستقر نفسي في أحضانك، فتستريح على الدوام.
ليهج عدو الخير بكل قواته،
فأنت عوني وحارسي.
لألتصق بك يا حارسي!

❖ إن كان العدو لا شغل له سوى تدبير مكائد،
فإنك تنتزع من فخاخه رجلي.
أنت هو الطريق الذي ليس فيه عثرة.
تحملني وتصعد بيّ إلى الراحة الأبدية.

❖ أنت الحارس الذي لا ينعس ولا ينام،
تهبني روح السهر، فتتغنى نفسي قائلة:
"أنا نائمة وقلبي مستيقظ".
لن يغفو قلبي مادمت معك.

❖ لتحفظني من ضربات الشمس كما من ضربات القمر.
لا أخطئ إلى الإيمان فأسقط تحت ضربات الشمس.
ولا أخطئ في حق الكنيسة فأسقط تحت ضربات القمر.
أنزع عني الكبرياء، فلا تحطمني الشمس.
وأنزع عني صغر النفس، فلا يحطمني القمر.
بك لا يحطمني الغنى، وبك لا يسحقني الفقر.
بك لا يفسدني الفرح غير اللائق، ولا الحزن القاتل.

❖ لتحفظ خروجي ودخولي.
بك يطمئن قلبي بخروجه من محبة العالم.
وبك تستريح نفسي بدخولي إلى عربون السماوات.
لتحفظني منذ دخولي إلى العالم، وإلى خروجي منه.
تحفظني منذ الحبل بيّ إلى يوم انطلاقي إليك!

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالْعِشْرُونَ

الفرح بيبت الرب الأبدي

هذا هو المزمور الثالث من مزامير المصاعد التي كان يترنم بها القادمون إلى أورشليم، رمز المدينة السماوية، فرح كل الأرض (مز 48: 2)، التي اختارها الله مصدر السلام مسكنًا له (مز 132: 13).

في المزمور 120 سمعنا صرخة البشرية إلى الله، تعلن عن حاجتها إلى المخلص القادر أن ينقذها من ضيقها الداخلي والخارجي، كما يقر القادم إلى بيت الرب أنه غريب في هذا العالم.

وفي المزمور 121 يقدم لنا المرتل سمات هذا المخلص الفريد. كما يتطلع القادم إلى الجبال الإلهية، جبال الأسفار الإلهية حيث يصعد عليها بروح الفرح والتسبيح طالبًا حماية الله.

وأما في هذا المزمور 122 فيقدم لنا صورة رائعة للنفس المتهللة بالاقتراب إلى بيت الرب الأبدي بفرحٍ عظيم. إذ يبلغ القادم إلى المدينة المقدسة بعد رحلة طويلة شاقة، يرى الأسباط تندفع معًا نحو بيت الرب لتسَجد لله وتكرم "بيت داود". في بيت الرب يختبر المؤمن وحدة الجميع معًا في السلام مع الله، فينعم بالفرح السماوي.

جاء عنوان هذا المزمور في الترجمة السبعينية: "**رحلة إلى بيت الرب**".

1. دعوة ملائكية للعبور إلى بيت الرب 1-2.

2. دعوة كنسية جماعية 3-4.

3. دعوة ملوكية 5.

4. سلام وراحة وفرح وصلاح 6-9.

1. دعوة ملائكية للعبور إلى بيت الرب

هنا نهاية رحلتنا السعيدة مع المخلص، ينطلق بنا من هذا العالم، أرض الغربة، إلى بيت أبينا حيث الفرح الحقيقي. ما أن تقف أرجلنا على أعتاب أبواب السماء حتى نختبر فرحًا لا يُعبر عنه: "ما لم ترَه عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال إنسانٍ، ما أعده الله للذين يحبونه" (1 كو 2: 9). يرى المؤمن أن نفسه قد انطلقت إلى أورشليم العليا، مترنمة: "تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشليم". هكذا يسبح المؤمن، ممجدًا الله الذي يحفظه طوال الطريق من

السقوط، ويحضره بلا لوم أمام حضرة مجده بفرحٍ (يه 24).

فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي:
إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ [1].

من هم الذين يفرحون بانطلاقنا إلى بيت الرب السماوي سوى الملائكة، الذين يسكنون السماء، ويشتهون سكنانا معهم؟! إنهم رفقاء لنا في رحلتنا، هم يعيشون في السماء، ويحثوننا على الصعود لنعيش معهم، ونجري إليها بفرحٍ.

❖ إننا نئن في رحلتنا، وسنفرح في المدينة. لكننا نجد لنا رفقاء في رحلتنا، هؤلاء قد رأوا تلك المدينة عينها. هؤلاء يحثوننا أن نجري نحوها. يفرح (المرتل) بهؤلاء أيضًا، قائلاً: " **فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب**" [1] [2].

القديس أغسطينوس

❖ كان جمع كبير من العبرانيين قبل سبيهم يزدرون بالهيكل حتى صاروا يقدمون ذبائح للأوثان على الجبال والتلال. ولكن بعد أن كابدوا الأحزان والشدائد تزايد شوقهم نحو هيكل الله. ولما بشروهم بالعتق من رق العبودية والانطلاق إلى أورشليم فرحوا فرحًا عظيمًا، وصاروا يخبرون بعضهم بعضًا، قائلين: "**إلى بيت الرب نذهب**". هذا هو الربح الحاصل من الأحزان.

الأب أنثيموس (أنسيمُس) الأورشليمي

❖ لقد صاروا في حالٍ أفضل خلال السبي. خلال هذه الخبرة، أولئك الذين كانوا فاترين ومتجاهلين للهيكل والاستماع للأقوال الإلهية، وكرسوا أنفسهم للجبال والوديان المنعزلة والهضاب الصغيرة (في العبادة الوثنية) والشر العظيم، ثارت فيهم رغبتهم في تلك العبادة القديمة، وصاروا مؤمنين غيورين في الوعد (الإلهي) ذاته، وصار لهم التجول اللائق والمستقيم والمتهلل في القلب.

صاروا جائعين وعطشى، ليسوا جائعين للخبز وعطشى للماء، وإنما للاستماع لكلمة الله (عا 8: 11) .

❖ وجودنا في الكنيسة ما هو إلا استغاثة للعزة الإلهية، وإظهار عبوديتنا له، وشكرنا للنعمة

---

[1] *On Ps 122 (121).*
[2] *On Ps 122.*

المجانية التي أسبغها علينا حال كوننا أعداء له ومضادين وغير خاضعين لعزته، إذ أرسل ابنه الوحيد من السماء سافكًا دمه الزكي، وباذلاً جسده الكريم الطاهر فداءً عنا، ذاكرين هذه الآلام المجيدة، وصانعين هذه التذكارات الجليلة المحجوبة تحت ستار طبيعتي الخبز والخمر اللذين هما سرّ الجسد المبذول والدم الزكي المسفوك، ومشتركين في هذه النعم الفريدة، متحدين في هذه الأمجاد الإلهية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من الجانب الحرفي قد تحقق هذا الفرح ببيت الرب لدى بعض المسبيين في بابل عندما أصدر كورش مرسومًا بالسماح لهم بالعودة إلى أورشليم وبناء الهيكل. وأما من الجانب الروحي فقد تحقق هذا المزمور بمجيء السيد المسيح، وفتح لنا أبواب السماء لنذهب إلى بيتنا السماوي. وكما يقول الرسول بولس: "هذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً، وكُتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور" (1 كو 10: 11)

تَقِفُ أَرْجُلُنَا فِي أَبْوَابِكِ يَا أُورُشَلِيمُ [2].

مع ما لرحلتنا في هذا العالم من بهجة لصحبة المسيح معنا وسط آلامنا، لكن بهجتنا تتحقق في أروع صورة حين نقف في أبواب أورشليم العليا، وقد تم بالفعل عتقنا من سبي الخطية، ولا مجال للدخول في معركة معها بعد.

إذ نثق في مراحم الله وعمله معنا، وإذ يرى المرتل بروح النبوة ما سيتحقق معنا يتكلم بصيغة الماضي "**وقفت أرجلنا**"، مع أنه حديث خاص بالمستقبل.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الإنسان الذي يلتهب قلبه بالشوق إلى كلمة الله، يجد شبعه العميق ولو بالوقوف على أبواب بيت الله، أو في دار البيت، يقرعها بيديه، ملتصقًا بمدينة الله والهيكل، شاعرًا بدينه العظيم لهما لتمتعه بوطنه السماوي.

- ❖ لاحظوا ما سيكون هناك... ولو أن هؤلاء لم يزالوا في الطريق إلى المدينة إلا أنهم كانوا في عمق الرجاء للوصول إلى هناك والاجتماع مع إخوتهم.

- ❖ بالرغم من أنك لا تزال على الطريق، ضع نصب عينيك كما لو كنت بالفعل واقفًا، كما لو كنت بالفعل فرحًا بلا توقف مع الملائكة، كما لو أن المكتوب قد تحقق فيك: " **طوبى للساكنين في بيتك، دائمًا يسبحونك**" [1].

---

[1] *On Ps 122 (121).*

القديس أغسطينوس

2. دعوة كنسية جماعية

إذ يحملنا مخلصنا إلى حضن الآب فتنهل نفوسنا مما أعده الله لنا كمحبوبيه، فإن لقاءنا يهبنا نظرة جديدة نحو وحدتنا مع بعضنا البعض، وحبنا لبعضنا البعض، كأعضاء في جسدٍ واحدٍ مجيدٍ.

أُورُشَلِيمُ الْمَبْنِيَّةُ كَمَدِينَةٍ مُتَّصِلَةٍ كُلِّهَا [3].

انقسم اليهود في أيام رحبعام بن سليمان إلى مملكتين (مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا)، لكن بعد العودة من السبي لم يعد هناك انقسام بينهم، وهذه إحدى ثمار السبي. هكذا فإن المؤمنين بحق سيجتمعون في أورشليم العليا ككنيسة واحدة متصلة بعضها ببعض.

إن كانت قلوب المؤمنين ملتهبة بالوقوف على أبواب أورشليم لتسمع كلمات الرب، وتشترك في العبادة الروحية، فإنهم كحجارة حية يتصلون بعضهم ببعض بروح الحب، فيقيم منهم روح الله القدوس هيكلاً للرب، ومدينة الله المقدسة، أورشليم الروحية.

يرى **القديس أغسطينوس** أن المرتل كان يترنم وهو يرى من بعيد أورشليم الأرضية قد صارت مدينة الله، جمعت القادمين من مساكن متفرقة، هكذا نرى نحن بعين الإيمان أورشليم العليا تُبنى عبر الأجيال، حيث تكتمل عند مجيء الرب. وكما يقول بطرس الرسول: "كونوا أنتم مبنيين كحجارة حية، بيتًا روحيًا" (1 بط 2: 5).

جاء في سفر الأعمال، أن الكنيسة تضم كل يوم الذين يخلصون، هذه هي الحجارة الحية التي تُقطع من الجبال بأيدي الكارزين بالحق، وتتشكل في مياه المعمودية، وتتسق معها بعمل روح الله القدوس خلا ل جهاد الكنيسة حتى يكمل البناء.

- ويل لذاك الذي يغتني من خلال الخداع، ويبني بالدم مدينته، أي نفسه *his soul* . فإنها تُبنى هكذا مثل مدينة (مز 122: 3 *LXX*). أما الطمع فلا يبقيها، بل يشعل فيها نارًا ويحرقها. أتريد أن تبني مدينتك حسنًا؟ "القليل مع مخافة الرب، خير من كنوز عظيمة بدون مخافة" (راجع أم 15: 16). لتعمل ثروات الإنسان لأجل خلاص نفسه، لا دمارها. الثروة فيها خلاص إن اُستخدمت حسنًا، هكذا تكون أيضًا فخًا إن لم يعرف الإنسان كيف

يستخدمها (أم 13: 8). فما هو نفع مال الشخص ما لم يكون عونًا له في رحلته[1].

القديس أمبروسيوس

يرى **القديس أغسطينوس** أن أورشليم ليست مدينة بل " **كمدينة**"، فهي مدينة روحية، وحجارتها حية، وأساسها يسوع المسيح ليس في القاع، وإنما في الأعالي.

❖ إنه يتحدث عن مدينة تُبنى الآن، تجري إليها حجارة حية بالإيمان، يقول عنها بطرس: "مبنيين كحجارة حية، بيتًا روحيًا" (1 بط 2: 5)، أي هيكل الله المقدس. ماذا يعني: "مبنين كحجارة حية"؟ إنك تعيش إن كنت تؤمن، وإن كنت تؤمن فإنك تصير هيكل الله، إذ يقول بولس الرسول: "هيكل الله مقدس الذي أنتم هو" (1 كو 3: 17).

هذه المدينة الآن في دور البناء، والحجارة تُقطع من التلال بأيادي الذين يكرزون بالحق. إنها تُقطع مكعبات لكي تدخل في الإنشاءات الأبدية. لا تزال توجد حجارة كثيرة في يدي البنَّاء (الله).

ليتها لا تسقط من يديه حتى تُبنى بطريقة كاملة في إنشاءات الهيكل. هذه إذن هي أورشليم المبنية كمدينة. المسيح هو أساسها. يقول الرسول بولس: "لا يستطيع أحد أن يضع أساسًا آخر غير الذي وُضع، الذي هو يسوع المسيح" (1 كو 3: 11).

عندما يوضع أساس على الأرض تُبنى الحوائط عليه من فوق، وثقلها يسقط على الأماكن السفلية، لأن الأساس موضوع في القاع. أما **أساسنا نحن ففي السماء... وإذ نحن نُبنى روحيًا فقد وُضع الأساس في الأعالي، ليتنا إذن نجري إلى هناك حيث نُبنى**[2].

القديس أغسطينوس

يؤكد المرتل أن الأسباط المجتمعة في مدينة الله هي "أسباط الرب". نعم إنها أسباط متمايزة، لكل سبطٍ سماته الخاصة (تك 29، تث 33)، لكنها إذ اتحدت معًا في الرب صارت مع تمايز مواهبها إلا أنها منتسبة للرب، ليس ما يربطها هو قرابة الدم، وإنما روح الله واهب الوحدة.

جاء الكل يحمدون الرب ويسبحونه [4]، فيصير الكل فرقة موسيقية واحدة تعزف سيمفونية الحب والوحدة بقيادة روح الرب.

---

[1] *Letter 15.*
[2] *On Ps 122 (121).*

حَيْثُ صَعِدَتِ الأَسْبَاطُ،

أَسْبَاطُ الرَّبِّ شَهَادَةً لإِسْرَائِيلَ،

لِيَحْمَدُوا اسْمَ الرَّبِّ [4].

الساكنون فيها أسباط صاعدة نحو الأساس الذي هو يسوع المسيح السماوي. ويحملون "**شهادة لإسرائيل**"، أي لا غش فيهم، كما قال السيد لنثنائيل: "هوذا إسرائيلي حقًا لا غش فيه" (يو 1: 47).

كان الشعب من كل الأسباط يصعد إلى أورشليم سنويًا في أعياد الفصح والمظال والأسابيع، ومن لا يصعد يُحسب مقطوعًا من الشعب.

هذه الصورة الرمزية تشير إلى صعود المؤمنين، لا من كل الأسباط، بل من كل الأمم لتحتفل بالمسيح المخلص عيدنا، وتدخل به إلى أورشليم العليا.

جمال أورشليم وزينتها هو الحب الذي يضم الأسباط معها بكونها " **أسباط الرب** ". هذا الحب الذي يجمع الكل معًا في الرب يعلن مجد اسم الرب.

3. دعوة ملوكية

لأَنَّهُ هُنَاكَ اسْتَوَتِ الْكَرَاسِيُّ لِلْقَضَاءِ

كَرَاسِيُّ بَيْتِ دَاوُدَ [5].

كان كرسي الملك كقاضٍ في أورشليم، يحكم في الأمور الخطيرة لينهي الظلم ويحقق العدالة والسلام. كان الكل يبتهجون بصعودهم إلى أورشليم مقر الحكم والقضاء. الآن ونحن نصعد كل يوم نحو أورشليم العليا تتهلل نفوسنا أننا سنتراءى أمام كرسي السيد المسيح الذي ليس لملكه نهاية (لو 1: 33).

والعجيب أن المرتل يرى كراسي القضاء تستوي أو تجلس في أورشليم، إذ يقيم كراسي للقضاء ضد إبليس وقواته، يدينونهم على عصيانهم له، خلال تمتع التلاميذ والرسل بكرامات سماوية عظيمة.

ماذا يرى المرتل في بيت الرب، أورشليم العليا؟ كراسي للقضاء، كراسي بيت داود، ارتبط الكل بالسيد المسيح رئيس الكهنة السماوي، ملك الملوك ورب الأرباب ، فصاروا فيه ملوكًا وكهنة لله أبيه (رؤ 1: 6)، لهم مسحة ملوكية فائقة، إذ غلبوا إبليس، وتُوجِّوا بإكليل الملوكية الأبدي.

يرى **القديس أغسطينوس** أن هذه الكراسي جاءت في اليونانية "عروش"؛ وهي عرش النفس الذي هو الحكمة والبرّ.

يتعجب **القديس أغسطينوس** من تعبير المرتل أن الكراسي استوت أو جلست، فيقول: [توجد عروش للحكمة، لذلك قال الرب: "تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (مت 19: 28). هكذا هم أيضًا يجلسون على اثني عشر كرسيًا، وهم أنفسهم كراسي (عروش) الله، فعنهم يُقال: "**لأن هناك استوت الكراسي**" من الذي جلس؟ "الكراسي". ومن هم الكراسي؟ هؤلاء الذين قيل عنهم: "نفس البار كرسي الحكمة"؟ ومن هم الكراسي؟ "السماوات". وما هي السموات؟ تلك التي يقول عنها الرب: "السموات هي كرسيّ" (إش 66: 1). إذن الأبرار هم أنفسهم كراسي، ولهم كراسي، وتستوي الكراسي في أورشليم هذه[1].]

4. سلام وراحة وفرح وصلاح

ينتهي المزمور بصلاة سلام بديعة ومنظومة حيث يستعيد المرتل إحساسه بالأمان، إذ صار وسط إخوته يتمتع بسلام إلهه الفائق للعقل.

إن كان المرتل يطلب من المؤمنين أن يصلوا لأجل سلام أورشليم الأرضية، فإنه يدعوهم كمحبين لأورشليم أن يتمتعوا بأورشليم العليا بسلام أبراجها العلوية وراحتها الأبدية وخيراتها السماوية.

اسْأَلُوا سَلاَمَةَ أُورُشَلِيمَ.

لِيَسْتَرِحْ مُحِبُّوكِ [6].

إذ تُنصب كراسي القضاء في أورشليم لا يوجد نزاع، وإنما سلام فائق وراحة وحب.

كيف يسألون ما هو لسلامة أورشليم؟ يجيب **القديس أغسطينوس:** بممارسة الحب!

لِيَكُنْ سَلاَمٌ فِي أَبْرَاجِكِ،

رَاحَةٌ فِي قُصُورِكِ [7].

ما هي أبراج أورشليم العليا سوى الأنبياء والرسل والتلاميذ والقديسين الذين يسودهم السلام.

---

[1] *On Ps 122 (121).*

أما قصورها فهم المؤمنون الحقيقيون الذين صاروا هيكلاً مقدسًا للرب.

❖ قوة المحبة لا يمكن التعبير عنها في تعبيرات أسمى من هذه: "المحبة قوية كالموت" (نش 8: 6). فمن يقدر أن يقاوم الموت يا إخوة؟ لاحظوا يا إخوتي، النار، الأمواج، السيف هذه يمكن مقاومتها. نحن نُقاوم الرئاسات، نقاوم الملوك، أما الموت فيأتي بمفرده، من يقدر أن يقاومه؟ لا يوجد ما هو أقوى منه[1].

القديس أغسطينوس

❖ كما أن الحرب تسبب كارثة في آثارها، فتخرب المدينة، لهذا يصلي لأجل سلامها... إنه يتنبأ عنهم، ليس فقط أن يتحرروا من الشرور، وإنما أن يتمتعوا بخيرات لا حصر لها وسلام وفيض وخصوبة .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن كانت الخلافات والانشقاق والانقسامات حدثت بسببي، فإني أرحل وأبتعد عنكم، رضيتم أو لم ترضوا... فقط ليعيش قطيع المسيح في سلامٍ مع الكهنة المعينين عليهم. من يفعل هذا يجلب لنفسه مجدًا عظيمًا في الرب، ويُرحب به في كل موضع. "للرب الأرض وملؤها". (مز 24: 1)[2].

القديس إكليمنضس الروماني

مِنْ أَجْلِ إِخْوَتِي وَأَصْحَابِي لأَقُولَنَّ:
سَلاَمٌ بِكِ [8].

يطلب المرتل لأجل إخوته وجيرانه أن يتمتعوا بهذه البركات السماوية، من قوة (أبراج) وخيرات (قصور)، لا لفضل فيهم، وإنما من أجل مجد الله، ومن أجل بيته السماوي المقدس.

❖ يقول النبي هذا لئلا يظن اليهود أن انطلاقهم إلى أورشليم كان لسبب صلاح صائر منهم، إنما يطلب لهم السلام والطمأنينة لأجل الأنبياء والفضلاء الذين كانوا معهم ويدعوهم إخوته، كما لأجل شرف بيت الله الذي هو الهيكل. وأيضًا يكون هذا القول كمن من قبل ربنا الذي أعطانا نحن المسيحيين السلام، بواسطة تلاميذه الذين دعاهم إخوته وأقرباءه.

---

[1] *On Ps 122 (121).*
[2] *On Ps 122.*
[3] *First Epistle, 54.*

الأب أنثيموس (أنسيمُس) الأورشليمي

❖ إنه يقول: "**لأقولن سلام بك**" لكن لأجل من؟ " **من أجل إخوتي وأصحابي** "، وليس لأجل كرامتي، أو أموالي، ولا لأجل حياتي[1].

القديس أغسطينوس

مِنْ أَجْلِ بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهِنَا،
أَلْتَمِسُ لَكِ خَيْرًا [9].

❖ ليس لصالحي أنا ألتمس الخير، لئلا أطلب ما هو لنفسي، وليس ما هو لكِ... ألتمس الخير من أجل بيت الرب إلهي، من أجل الكنيسة، من أجل القديسين، من أجل المهاجرين، من أجل الفقراء، حتى يصعد هؤلاء إلى بيت الرب .

القديس أغسطينوس

من وحي المزمور 122

فرح وراحة وسلام في بيت إلهي

❖ أعماقي تتهلل، إذ اقترب من بيت إلهي.
أسمع صوت ملائكي عذب ينادني: "إلى بيت الرب نذهب".
في طريقي ترافقني الملائكة،
تعلن شوقها أن تنطلق البشرية إلى بيت الرب السماوي،
ليختبروا ما تتمتع هي به.

❖ ما أن عبر الشعب القديم بحر سوف،
حتى سبحوا الله الذي خلصهم من العدو المقاوم.
صارت أرجلهم وكأنها في أبواب أورشليم.
عبرت بنا خلال مياه المعمودية كما إلى البنوة لله.
وهبتنا حق الدخول إلى السماء، وسحق رؤوس التنين وكل قواته.
صرنا بالرجاء في أبواب أورشليم العليا.

---

[1] *On Ps 122 (121).*
[2] *On Ps 122 (121).*

❖ لن يستريح قلبي حتى تستريح قلوب إخوتي بك.
أحسب نفسي في أورشليم العليا، حين يتمتع كل المختارين بها.
كم تشتهي نفسي أن تقف البشرية كلها على أبوابها!

❖ مخلصي، أنت أساس أورشليم،
موضعك لا في الأعماق بل في الأعالي.
لتجتذبنا كحجارةٍ حيةٍ لا تسقط، بل تصعد وتتحد بك!
هب لنا أن نجري إليك!

❖ بعد السبي اتحدت إسرائيل مع يهوذا.
انطلق الكل بروح الوحدة يسبحونك.
عاد الكل كهيكلٍ واحدٍ لك أيها القدوس وحده!
اذكر وحدة الكنيسة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها.
اذكر كنيستك الممتدة من آدم إلى آخر الدهور.
تأتي من كل الأمم والشعوب والألسنة!

❖ تدعونا كأبناء لك يا ملك الملوك. تهبنا روح الملوكية.
نجلس كما على عروش، ندين إبليس وكل قواته.
نحن الترابيين نُحسب مع السمائيين.
والسماوي انحدر ليدينه التراب!

❖ تقيم من أنبيائك ورسلك أبراجًا لأورشليم،
ومن المؤمنين قصورًا لها.
يسودها السلام والراحة والفرح والصلاح!
أنت هو سلامها وراحتها وبهجتها وصلاحها!

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ

التحرر من عبودية إبليس

في مزامير المصاعد الثلاثة السابقة (120–122) كان المؤمن يتحدث عن نفسه، وإن كان باسم المؤمنين جميعًا، أو باسم جسد المسيح الواحد، لكن إذ صعد إلى بيت الرب، واجتمع بروح الوحدة مع إخوته، تبدل الضمير من المفرد إلى الجمع، إذ ينطق باسم الجماعة كلها صراحةً. باسم الجميع يعرض كل عضوٍ طاعته للرب الساكن في السماء، ويتوسل إليه بانسحاق لكي يرحم الكنيسة.

يتحقق التحرر من عبودية إبليس المملوءة بالمذلة والهوان خلال قبولنا العبودية لله في كمال حريتنا، بروح الفرح والتهليل. عمل إبليس أن يذل النفس ويحدر بصيرتها إلى أعماق الجحيم، أما العبودية المفرحة للرب، فترفع النفس نحو السماء، وتفتح البصيرة على أسرار الله.

1. العيون المرفوعة إلى السماء 1–2.

2. تحررنا من الذل والهوان 3–4.

1. العيون المرفوعة إلى السماء

مع بلوغ المؤمنين إلى بيت الرب يتوسل كل منهم إلى الله مترقبًا الفرج. يعلن المؤمن أنهم جميعًا موالون وخاضعون. عيونهم إلى يد الرب الحانية، التي لا تكف عن أن تعمل خيرًا.

إِلَيْكَ رَفَعْتُ عَيْنَيَّ،

يَا سَاكِنًا فِي السَّمَاوَاتِ [1].

يرى **القديس أغسطينوس** أن المسبِّح هنا يتكلم بصيغة المفرد، لأن الجميع يسبحون معًا كشخصٍ واحد.

إذ يدرك المؤمن حقيقته كإنسان مخلوق من العدم، يحسب نفسه غير أهلٍ أن يُدعى عبدًا لله أو جارية له. ليس من وجه للقياس بين المخلوق وخالقه.

يدعو الله: "**يا ساكنًا في السماوات** "، تمييزًا له عن البشر الذين هم من أسفل، أما السيد المسيح فمن فوق. إنه فوق الجميع، ومن السماء يتكلم (راجع يو 3: 31). الله هو مالئ السماء والأرض، ولا يخلو منه مكان.

يؤكد **القديس أغسطينوس** أنه يليق بالمؤمن أن يصعد خلال مزامير المصاعد كما

على سُلمٍ إلى الساكن في السماوات. فمن لا يصعد بقلبه يسقط.

بالإيمان ترتفع نفوسنا كما إلى الله الساكن في السماء، في مدينة الله، أورشليم العليا، وبالإيمان يسكن السيد المسيح في قلوبنا، فيجعل منها سماءً جديدة.

❖ ليصعد هذا المُسبَّح. ليسبِّح هذا في قلب كل واحدٍ منكم، وليكن كل واحدٍ منكم هو هذا الإنسان، لأنه عندما يقول كل واحدٍ منكم هذا، حيث أنكم جميعًا واحد في المسيح، إنسان واحد ينطق بهذا، فلا يقول: "إليك يا رب نرفع أعيننا"، وإنما " **إليك يا رب رفعتُ عينيَّ** "، يلزمكم أن تتصوروا أن كل واحدٍ منكم بالحقيقة يتكلم، ولكن الواحد هذا بمعنى خاص يتكلم وهو منبسط في الأرض كلها[1].

❖ أنتم تسكنون في بيت (الله السماوي)، فإن سُحِبَ البيت تسقطون. والله يسكن في القديسين، فإن فارقهم هم يسقطون!

القديس أغسطينوس

❖ حيث يكون كنز الإنسان هناك يوجد قلبه وعيناه. لذلك حرر صاحب الأمثال في الأصحاح السابع عشر: "عينا الجاهل في أقصى الأرض" (أم 17: 24).

أما الذين أدبتهم المحن، واختبرتهم الأحزان وحكمتهم، فقد رفعوا أعينهم عن الأرضيات إلى الله المستريح في الملائكة والقديسين.

الأب أنثيموس (أنسيمُس) الأورشليمي

❖ ارفع عينيك إلى السماء، مثل ذاك القائل: " **إليك رفعت عيني يا ساكنًا في السماوا ت**" (مز 123: 1).

تطلع إلى شمس البرّ، فإنك إذ توجهّك وصايا الرب، التي تمثل أكثر الكواكب بهاءً، تكون لك عينان يقظتان.

لا تسمح لعيني (النفس) أن تنعسا، ولا لجفني العين أن يستريحا (مز 132: 4)، حتى تقودك الوصايا على الدوام. يقول: "ناموسك هو سراج لرجلي ونور لسبيلي" (مز 119: 105). بالحقيقة إن كنت لا تنام قط وأنت عند الدفة التي تدير الحياة... فإنك تنال معونة الروح الذي يقودك في نسيمٍ هادئٍ وأمان مملوء سلامًا حتى تعبر وتبلغ الميناء الهادئ في

---

[1] *On Ps 123 (122).*
[2] *On Ps 123 (122).*

سكون وبدون أية أذية، ولك بإرادة الله .

القديس باسيليوس الكبير

❖ يرتل داود: "**إليك رفعت نفسي يا ساكنا في السماوات**" (مز 123:1)، و"إليك يا رب أرفع نفسي" (مز 25:1) ... كيف؟ ترتفع النفس لتتبع الروح. وترتفع حتى تصير فيه.

يقول القديس بولس: "الروح نفسه يشفع فينا بأنَّات لا يُنْطَقُ بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح. لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين " (رو 8:26، 27). يصرخ الروح: "يا أبا الآب" في قلوب المباركين، ويَعْلَمُ بأنَّاتنا في هذا الهيكل، أنَّات تتوسط من أجل الذين سقطوا أو تجاوزوا الحد. إنه يتدخل لحسابنا، آخذًا على نفسه أنَّاتنا بحسب حبه ورأفته للبشر.

العلامة أوريجينوس

هُوَذَا كَمَا أَنَّ عُيُونَ الْعَبِيدِ نَحْوَ أَيْدِي سَادَتِهِمْ،
كَمَا أَنَّ عَيْنَيِ الْجَارِيَةِ نَحْوَ يَدِ سَيِّدَتِهَا،
هَكَذَا عُيُونُنَا نَحْوَ الرَّبِّ إِلَهِنَا،
حَتَّى يَتَرَأَّفَ عَلَيْنَا [2].

❖ ليس لهم رجاء في العون والمساعدة من أي مكان آخر، ولا يتطلعون نحو أي مصدر آخر، وذلك كالأَمَةِ والخادم اللذين ليس لهما قوت أو ملبس وكل بقية مستلزمات الحياة، إلاَّ بحفظ أعينهما على سادتهما، إنهما لا يكفا عن ذلك، بل يبقيان هكذا حتى ينالا، فيشكرا. إنها ممارسة يفعلانها على الدوام .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يلزم كل أحدٍ أن ينتبه لعمله الخصوصي، ويهتم به برغبةٍ، ويتممه بدون ملامة بغيرةٍ ونشاطٍ وعنايةٍ وسهرٍ، لئلا يستحق اللعنة، إذ قيل ملعون من يعمل عمل الرب باسترخاء (إر 48: 10). كما يلزمه أن يعمله على مرأى من الله، وذلك لكي يتهيأ له أن يقول بدالة كل حين: "**كما أن عيون العبيد إلى أيدي مواليهم، كذلك عيوننا إلى الرب إلهنا**" (مز 122: 2) .

القديس باسيليوس الكبير

---

[1] *Homily on the Beginning of Proverbs 17.*
[2] *On Ps 123.*

. القوانين المطوّلة – سؤال 41.

❖ إن كنت تسعى إلى المجد حتى من خلال الروحيات، فما هو عذرك في عدم خضوعك لله، حتى بالمقدار الذي تتطلَّبه أنت من خدَّامك وعبيدك نحوك؟ فها "عيون العبيد إلى مواليهم، وعينيّ الأمة إلى يديّ سيِّدتها" (مز ١٢3: ٢)... أمَّا أنت فالله هو الذي جعلك خادمًا عنده، ومع ذلك تتطلَّع إلى عيون الخدَّام رفقائك، في حين أنَّك تذكر أن الله سيذكر أعمالك الصالحة في الحياة الأخرى، أمَّا زملاؤك إنَّما يثنون عليك هنا فقط.

ومع أنه في استطاعتك أن تحيط نفسك بشهودٍ من السماء، إلاَّ أنَّك تستعيض عنهم بمتفرِّجين أرضيِّين. والأمر الطبيعي أن المصارع يحظى بإكليل الفوز في حلبة المصارعة. حلبة مصارعتك هي السماء، ومع ذلك تريد أن تأخذ إكليل الفوز على الأرض؟! أيّ جنون مطبق كهذا؟!

ولنتأمَّل في الأكاليل التي تُعطى في هذه الحياة، إكليل من التشامخ وآخر من الحقد وثالث من التملُّق والمداهنة... وهم في ذلك يفعلون كالأطفال، إذ في لهوهم يضعون أكاليل من العشب على رؤوس بعضهم البعض، ثم يتندَّرون بمن يتوِّجونه. هكذا يفعل الذين يكيلون لك الإطراء، يضحكون عليك في غيابك... ويا ليتهم وضعوا عليك إكليلاً من العشب، إنَّما هو متَّسخ بالأوزار أيضًا.

القدِّيس يوحنا الذهبي الفم

إن كان المرتل يشبه نفسه مع كل الكنيسة الجامعة بالعبيد الذين يتطلعون نحو أيدي سادتهم، والجارية التي تتطلع نحو سيدتها، يترقبون الرأفة والرحمة، لكن من جانب آخر، فإن هناك فارقًا في التشبيه:

فالتطلع إلى السادة فيه مذلة ويتم بروح الخوف، أما الكنيسة فتتطلع إلى الرب الساكن في السماء فتتقدس الأعين والأذان والقلوب بالنظر إلى القدوس السماوي والتأمل فيه.

التطلع إلى السادة فيه انكسار، ففي مرارة لا يجسر العبد إلى رفع نظره ولا الجارية، أما المؤمنون فيرفعون أنظارهم نحو السماء "إليك **رفعت** عيني".

❖ أنتم جديرون بالثناء والبركات ، لأنكم هكذا تُخضِعون للمسيح أذنًا رديئة لأجل التهذيب، حتى لا تُخضِعوها لاغتياب الآخرين. إنكم أيضًا قد عوَّدتم عيونكم على الرؤية الصائبة لكي لا تشتهوا إطلاقًا ما هو غريبٌ عنكم، كما أنكم منشغلون بالاتجاه نحو الله متأملين مع داود المرتل: "**إليك رفعتُ عينيّ يا ساكن السماء، فها هما مثل عيون العبيد إلى أيدي مواليهم**

ومثل عينيّ الأَمَة إلى يدي سيدتها، كذلك أعيننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا". (مز 123: 1-2)[1]

القديس أنبا سيرابيون أسقف تميّ

يعلق **القديس أغسطينوس** على استخدام كلمة "**حتى**"، قائلاً إنها لا تعني أن يتوقف المؤمنون عن التطلع إلى الرب بعد نوالهم رأفة الله.

هكذا كثيرًا ما يستخدم الكتاب كلمة "**حتى**" بمعنى الاستمرار. هذا ما نراه في قول الكتاب:

"لم يعرفها **حتى** ولدت ابنها البكر" (مت 1: 25).

"الحق أقول لم لا تخرج من هناك **حتى** توفي الفلس الأخير" (مت 5: 26).

"لأنه يجب أن يملك **حتى** يضع جميع الأعداء تحت قدميه" (1 كو 15: 25).

"فخرج (الغراب) مترددًا **حتى** نشفت المياه عن وجه الأرض" (تك 8: 7).

❖ أما الكلمات: "لكي لا يضل الأمم حتى تتم الألف سنة" (رؤ 20: 3) فلا يفهم منها أنها تدل على أنه فيما بعد سيضل فقط تلك الأمم التي تتكون منها الكنيسة العتيدة، والتي مُنع (الشيطان) بواسطة تلك السلسلة وذلك الحبس من أن يضلها، لكنها (أي تلك الكلمات) قد استعملت طبقًا لذلك الاستعمال المستخدم في الكتاب المقدس والذي يتمثل في المزمور: "هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا **حتى** يتراءف علينا" (مز 123:2) لا بمعنى أن عيون عبيده لا تعود تتطلع إلى الرب بعد أن تراءف عليهم[2].

القديس أغسطينوس

2. تحررنا من الذل والهوان

يمتلئ المرتلون هوانًا وسخرية وإهانات، إذ يشاركون مسيحهم اللطم كما امتلأ هوانًا. في بيت الرب يصرخ المؤمنين طالبين النجدة، لكن بلا شكوى ولا تذمر!

ارْحَمْنَا يَا رَبُّ ارْحَمْنَا،

لأَنَّنَا كَثِيرًا مَا امْتَلأْنَا هَوَانًا [3].

كان البابليُّون يقومون بعمل مواكب للآلهة البابليَّة في الأحياء اليهودية في بابل كنوعٍ

---

[1] *Lettres des Pères du Dèsert, p. 133, traduit de P. G. 40, 925 D - 941 B.* عن: فردوس الآباء ج 1.

[2] *City of God, book 20.*

من السخرية بإله اليهود الذي في نظرهم يعجز عن الدفاع عنهم وحمايتهم. هكذا امتلأوا هوانا، وشبعت نفوسهم من هزء المستريحين وإهانة المستكبرين.

❖ ألا ترون العقل المنسحق؟ إنهم يتوسلون لكي يخلصوا من أجل المراحم، وليس حتى لأجل الرحمة عن استحقاق لهم، وإنما لأنهم سقطوا تحت عقابٍ قاسٍ. وذلك كما قال دانيال أيضًا: "لقد أصبحنا أصغر الأمم كلها، (ونحن اليوم أذلاء في كل الأرض بسبب خطايانا – دا 3: 37 الترجمة السبعينية. نشيد عزرا في أتون النار)".

وهو بعينه ما يقولونه في هذه الطلبة. إننا نحتمل مأساة قاسية. لقد أُخذنا من وطننا وحُرمنا من حريتنا، وصرنا عبيدًا لمتوحشين، وقضينا أيامنا في مذلة، سادنا الجوع والمصاعب والعطش، وقضينا كل زماننا نُضرب ويُداس علينا بالأقدام. لهذا اصفح عنا وارحمنا.

الآن ما هو معنى "**كثيرًا ما امتلأت نفوسنا** "، لقد صارت نفوسنا ممزقة إلى أجزاءٍ، وذابلة من كثرة المتاعب [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "**لأننا كثيرًا ما امتلأنا هوانًا** ". كل الذين يعيشون بالتقوى حسب المسيح يحتاجون بالضرورة إلى احتمال الهوان، يلزم أن يُستخف بهم الذين لم يختاروا الحياة بالتقوى، هؤلاء الذين سعادتهم أرضية...

مادمنا نرجو الأمور العتيدة ونتلهف على السعادة المقبلة، وإذ لم يظهر بعد ما سنكون عليه مع أننا بالفعل نحن أولاد الله (1 يو 3: 2)، وحياتنا مستترة مع المسيح في الله (كو 3: 3)، فإننا نُحتقر تمامًا بواسطة أولئك الذين يطلبون أو ينعمون بالسعادة في هذا العالم.

القديس أغسطينوس

❖ يقول: "**ارحمنا يا رب ارحمنا** "، لأننا عندما كنا في عزٍ وكرامةٍ لم نقدم لك الشكر كما ينبغي. وقد سمحت لنا بأن نسقط في الذل والهوان الكثير تأديبًا لنا وإصلاحًا. لكن أردد الآن العار على الذين يفتخرون بغنى هذا العالم، و يعيرون الفقراء.

الأب أنثيموس (أنسيمُس) الأورشليمي

---

[1] *On Ps. 123.*

❖ هذا الفكر الدنس (اليأس)، يثقل على عنق النفس كالنير فيُلزمها بالانحناء، مانعًا إيَّاها من أن تنظر إلى الله. لهذا فعمل الإنسان الشجاع والممتاز هو أن يكسر هذا النير قطعًا، ويزحزح كل ثقل مثبت فوقه، ناطقًا بكلمات النبي: "**مثل عينيّ الأمة إلى يديّ سيدتها، لكذلك أعيننا نحو الرب إلهنا، حتى يتراءف علينا؛ ارحمنا يا رب ارحمنا، فإننا كثيرًا ما امتلأنا هوانًا**" (مز 123: 2-3).

يقول: "امتلأنا هوانًا"، وإننا تحت ضيقات لا حصر لها، ومع هذا لن نكف عن التطلع إلى الله، ولا نمتنع عن الصلاة إليه، حتى يستجيب طلبتنا. لأن علامة النفس النبيلة، هي ألاّ تنحني من كثرة الكوارث التي تضغط عليها، أو تفزع منها، ولا تتراجع بعد عن الصلاة دفعات كثيرة... بل تثابر حتى يرحمها الله كقول داود الطوباوي السابق[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

كَثِيرًا مَا شَبِعَتْ أَنْفُسُنَا مِنْ هُزْءِ الْمُسْتَرِيحِينَ، وَإِهَانَةِ الْمُسْتَكْبِرِينَ [4].

يرى **القديس أغسطينوس** أن الهزء والإهانة هما واحد، والمستريحين (الأغنياء) والمستكبرين هم أيضًا واحد.

هؤلاء الذين يتكلون على ثرواتهم في تشامخ وكبرياء، يسخرون بالذين يثقون في وعود السيد المسيح كالحياة الأبدية، لأنها غير ملموسة الآن. أما المسيحي فإنه حتى وإن كان غنيًا ولديه ثروات كثيرة، فيرى في نفسه الآن أنه فقير، لأنه يتطلع إلى الغنى والثروات السماوية التي ينتظرها فلا يتشامخ بما يملكه الآن. كما يحسب أن ما لديه ليس ملكه، إنما هو وكيل على ما لله. وفي نفس الوقت يشعر المسيحي أنه غني، لأنه لا يشعر بأنه ينقصه شيء أو يحتاج إلى شيء أو يشتهي شيئًا.

❖ لا ترتعبوا أيها الأحباء الأعزاء عندما تحل التجربة؛ بل بالحري تذكروا كلمات الكاتب الموحى إليه: خير لي أنك أذللتني لكي أتعلم وصاياك" (مز 119: 71).

اقبلوا المأساة كدواءٍ، استخدموا التجربة بلياقة، فتنجحوا في نوال فرح أعظم[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] رسالة من القديس يوحنا الذهبي الفم إلى ثيؤدور بعد سقوطه.

[2] *On Ps. 123.*

من وحي المزمور 123

لتسكن في قلبي،

فترتفع عيناي إلى سماواتك

❖ كما من أعماق الهاوية أصرخ إليك:

لتسكن في قلبي أيها السماوي،

فترتفع عيناي إليك،

وبالفرح والتهليل تتأملان أمجادك.

❖ لقد استعبدني عدو الخير، وسحب أعماقي بالذل إليه.

أذّل كل كياني،

وأحدر بصيرتي إلى أعماق الجحيم،

وحسبت نفسي أسيرًا وسجينًا لن أخرج من المذلة.

حطم كل رجاء فيّ،

وأفقدني طعم السلام والراحة والفرح.

حسبت نفسي كأني خُلقت لأعيش عبدًا ذليلاً!

❖ لتسكن أيها السماوي في قلبي.

فتصير أنت كنزي ومجدي وفرحي وتهليل نفسي.

ترتفع عيناي مع قلبي إليك،

أجد كل عذوبة في التعبد لك.

سلطانك حلو، وملكوتك مفرح.

أتحرر من كل ما هو أرضي وزمني،

وأنطلق كما من أعماق الجحيم،

يحملني روحك القدوس ويطير بي،

فأستقر في أحضانك أبديًا!

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

الله قائد خلاصنا

إذ يبلغ المؤمن بيت الرب كعضوٍ في الجماعة المقدسة يتطلع إلى الطريق، ويدهش كيف عبره بسلام، فيقدم هذا المزمور الخامس من مزامير المصاعد. وهو مزمور شكر للمخلص، تقدمه الجماعة كلها، أو يقدمه كل عضوٍ حقيقيٍ باسم الجماعة. فالكل قد بلغوا بيت الرب بعملٍ إلهيٍ معجزيٍ. لقد نالوا خلاصًا عجيبًا من مخاطر داهمة كادت تهلكهم لولا أن الرب كان معهم.

يصور المرتل عدم التوازن بين إمكانياتنا البشرية وإمكانية العدو الذي يود لا أن يستعبدنا فحسب، بل ويبتلعنا ونحن أحياء. مرة أخرى يشبِّه المؤمنين في معركتهم مع إبليس وقوات الظلمة بمن جرفتهم المياه وغطت أنفسهم، وكأنه ليس لهم خلاص. يعود يشبِّههم بعصفور سقط في فخ صياد، لا حول له ولا قدرة على الخلاص. لكن إذ يدخل عنصر وجود الله معنا وفي صفنا. تتغير الموازين تمامًا. هكذا يؤكد المرتل أن قائد الخلاص هو الله نفسه واهب النصرة.

في تصوير المرتل للعدو، اختار المرتل أربعة أنواع من المخاطر القاسية التي يخشاها المجتمع وهي:

ا. الزلازل.

ب. الفيضانات.

ج. الوحوش المفترسة.

د. المصائد.

1. الله يخلص من الزلازل **1- 3**

2. الله يخلص من التيار الجارف **4- 5.**

3. الله يخلص من أنياب الوحوش المفترسة **6.**

4. الله يخلص من فخ الصيادين **7.**

5. الله الخالق هو المخلص **8.**

1. الله يخلص من الزلازل

هنا يشبه المرتل الأعداء في كثرة عددهم وإمكانياتهم الجبارة بالزلزال التي يصعب مواجهتها، بل تدفن الكثيرين أحياء تحت الأرض.

ليس من قوة تضبط الزلازل وتصدها سوى الخالق القدير. هكذا في مواجهتنا لإبليس ومكائده وتجاربه يلزمنا أن نلجأ إلى الرب، حتى لا تدفن نفوسنا في محبة العالم، ونصير كمن قد دفنوا في التراب وهم أحياء بسبب الزلازل.

لَوْلاَ الرَّبُّ الَّذِي كَانَ لَنَا.

لِيَقُلْ إِسْرَائِيلُ: [1].

غاية سفر الخروج هو تأكيد أن الخلاص من عبودية فرعون لم يكن بقوة موسى وهرون أو حكمتهما أو تخطيطهما، بل الله نفسه كان القائد الحقيقي لموكب نصرتهم وتحريرهم من العبودية. هذه هي خبرة الخلاص في كل عصور كرمز للخلاص الحقيقي من عبودية إبليس بالمسيح يسوع كلمة الله المتجسد.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن المرتل هنا أشبه بمعلم يقوم بتدريب تلاميذه على التسبيح معًا لله الذي يحوط حولهم كسورٍ ويحفظهم كبرجٍ حتى لا يبتلعهم العدو.

لَوْلاَ الرَّبُّ الَّذِي كَانَ لَنَا،

عِنْدَ مَا قَامَ النَّاسُ عَلَيْنَا [2].

يتحدث المرتل هنا بصيغة الجمع، لأن عدو الخير وإن كان يستخدم كل وسيلة لخداع واقتناص كل مؤمنٍ، لكن حربه في الواقع ضد الجميع: الأطفال والشيوخ، الرجال والنساء والصبيان والشباب؛ الكهنة والخدام والشعب، الضعفاء روحيًا والأقوياء؛ إنه لن يستريح حتى يحدر الجميع معه إلى الهلاك الأبدي.

لا يكف عدو الخير عن إثارة البشر ضد بعضهم البعض، خاصة ضد المؤمنين، فيستخدمهم كآلات إثم لمقاومة عمل الله الخلاصي في حياة المؤمنين.

❖ يغنون أحيانًا كما لو كانوا إنسانًا واحدًا، أحيانًا كثيرين، لأن الكثيرين هم واحد، حيث أن المسيح واحد، وفي المسيح أعضاء المسيح لهم مسيح واحد، والرأس الذي لكل الأعضاء في السماء. وإن كان الجسم يتألم على الأرض، لكنه لا يُقطع من رأسه. فإن الرأس يتطلع من فوق ويراعي الجسم... سواء كان الذين يغنون واحدًا أو كثيرين، فإن كثيرين هم إنسان

واحد. هذه هي الوحدة. والمسيح كما نقول هو واحد، وكل المسيحيين هم أعضاء المسيح... "**لولا الرب نفسه كان فينا، ليقل إسرائيل** " [1]... متى؟ "**عندما قام الناس علينا** ". لا تعجب، فإنهم يُخضعون، لأنهم بشر، أما الرب فكان فينا، أما البشر فليسوا فينا، لأنهم قاموا علينا. مع ذلك فالبشر يحطمون بشرًا، ما لم يكن في هؤلاء البشر ذاك الذي لا يمكن أن يتحطم، إذ لم يكن فيهم إنسان بل الرب. فإنه ماذا يمكن للبشر أن يفعلوا بكم، بينما أنتم تفرحون وتغنون، وفي أمانٍ تتمسكون بالبركة الأبدية؟ [2]

القديس أغسطينوس

❖ لما رجع العبرانيون إلى أورشليم كانوا ضعفاء وفي هزال من شقاء العبودية وقلة العدد، لأنهم لم يأتوا جميعًا، بل جاءوا متفرقين وبلا سلاح. أما مدينتهم فكانت خربة بلا أسوارٍ، مثل صيد سائب لكل من أراد أن يفترسهم. أما الأمم التي كانت حول تخومهم فاجتمعت كلها وهجمت عليهم لكي تبيدهم تمامًا وتستأصلهم. لكن لما حاصروهم وضيقوا عليهم لم يلتمسوا العون من المصريين ولا من آلهة الوثنيين الكذبة كما كانوا يفعلون قبل السبي، بل استعانوا بالله فنصرهم وقوَّاهم على أعدائهم، وصار لهم سورًا حولهم، ورفع عنهم سطوة محاربيهم.

الأب أنثيموس الأورشليمي

يردد المؤمنون كلمات أبيهم يعقوب لحميه لابان حين بدأ رحلته للعودة إلى وطنه. "لولا أن إله أبي إله إبراهيم وهيبة اسحق كان معي لكنت الآن صرفتني فارغًا" (تك 31: 42).

❖ ماذا لم يرِدْ عدونا الشيطان أن يفعله بنا لو لم يكن الرب معنا؟ أصغوا إلى ما يقوله المسيح لسمعان: "سمعان، سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك" (لو 22: 31-32). الوحش المفترس هو قبل كل شيء شرير، نهم، إن لم يُكبح جماحه على الدوام، يعود ويلتهم كل شيء. إن كان في حالة أيوب كمثالٍ مجرد أخذ إذنًا بسيطًا، ومع هذا استأصل بيته وألقى به، وأفسد جسمه، وقام بمأساة مرعبة، وحطم كيانه، ودفن أبناءه، وملأ جسده بالدود، وحوّل عنه زوجته وأصدقاءه وأعداءه وخدمه وجعلهم ينطقون بأمور مرعبة، فكيف لا يدمر كل شيءٍ لو لم تُوجد موانع تصده؟ لذلك فإن واضع هذا المزمور يقول: "**لولا أن الرب لنا**" .

---

[1] *On Ps 124 (123).*
[2] *On Ps. 124.*

القديس يوحنا الذهبي الفم

إِذًا لاَبْتَلَعُونَا أَحْيَاءً

عِنْدَ احْتِمَاءِ غَضَبِهِمْ عَلَيْنَا [3]

يشتهي العدو في ثورته أن يبتلعني وأنا حيّ، وكأنه زلزال، ليس من يقدر أن يقاومه. لكنه مسكين وعاجز! لا سلطان له عليّ. إن كان يود أن يبتلعني وأنا حيّ، ففي الحقيقة قد صُلبت مع مخلصي ومُت، وبه قمت، ولم يعد للعدو أن يبتلعني بعد. لقد سبق فقال الرب لبطرس الرسول: "اذبح وكلّ" (أع 10: 13). لقد ذُبحت عن شري، وقمت مع مخلصي حيًّا به وفيه.

❖ يا لهم من بشر وحشيين! يا لهم من قساة! أما الكنيسة فلا تبتلع هكذا! قيل لبطرس: "اذبح وكُل" (أع 10: 13)، ولم يقل "ابلع سريعًا". لأنه لا يدخل إنسان في جسد الكنيسة ما لم يُذبح أولاً. ما لم يمت لا يصير ما هو ليس عليه...

ليجحد (الوثني) العالم، وعندئذٍ يُذبح. ليؤمن بالله وعندئذٍ يؤكل...

أما أولئك الذين فيهم الرب فيذبحون ولا يموتون... أولئك الذين يتألمون ولا يخضعون للتجارب يفرحون، ويقولون: "**لولا أن الرب الذي كان فينا الخ.**"[1].

القديس أغسطينوس

❖ ألا ترون كيف يبرز شراسة المهاجمين عليهم؟ إنهم في الحقيقة شعب من هذا النوع، يقدمون شهادة عن شراسة الوحوش المفترسة، أو بالحري أبشع منهم في معاملاتهم. فالوحش المفترس، ما أن يهجم حتى ينتهي هياجه ويزول، وعندما يُصد لا يقوم بهجومٍ آخر، أما البشر ففي حالات كثيرة، يحدث معهم العكس، متى لم ينجحوا في الهجوم، يعودون ثانية إلى النزاع، يريدون أن يتذوقوا (سفك) الدم. هذا هو حال الغضب، إنه يتعدى حدود العقل، فالانفعال يغلي بهذه الطريقة ويفور مرة أخرى .

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. الله يخلص من التيار الجارف

إِذًا لَجَرَفَتْنَا الْمِيَاهُ،

---

[1] *On Ps 124 (123).*
[2] *On Ps. 124.*

لَعَبَرَ السَّيْلُ عَلَى أَنْفُسِنَا [4].

يثور عدو الخير علينا كزلزال يود أن يدفن الأحياء بالمسيح في التراب كالأموات، وإذ يفشل يثور علينا كطوفان أو سيل جارف. لقد هجم فرعون وجيشه على الشعب الخارج ليتحرر من العبودية، وأراد بهجومه أن يدفع بهم في مياه البحر الأحمر. لم يكن أمام الشعب خلاص إلا بضرب البحر بعصا الله التي في يد موسى. خلص الشعب من الغرق وغاص فرعون وجنوده كالرصاص في مياه غامرة (خر 15: 10).

ما هذا الطوفان أو السيل من المياه الذي يود عدو الخير أن يغرقنا فيه إلا الأمم الشريرة التي لا تقبل اسم المخلص ولا تحتمل صليبه. إنها أيضًا الخطايا والتجارب التي يصبَّها العدو لهلاكنا، لكننا نترنم قائلين: "جازت نفوسنا المياه"!

يدهش المؤمن كيف خلص كل هذا الشعب من فيضان جارف، لا يُقاوم، يدفن الناس أحياء.

ربما يشير السيل الجارف إلى الجيش القاهر القادر (إش 8: 7 الخ). يقول **القديس أغسطينوس** إن المياه تشير إلى الأمم الشريرة التي تهيج ضد أولاد الله وتنزل كسيل جارفٍ. تنهض في عنفٍ لكنها تنزوي. لقد ثارت فعلاً ضد رأسنا يسوع المسيح، الذي واجه سيلاً من الآلام، لكنها لم تستطع ان تبتلعه، بل بالحري بموته أُبتلع الموت، واستعُلنت قوة قيامته ومجدها. والآن إذ ربنا القائم من الأموات حال فينا لا نخشى السيل، إذ بالتأكيد نمضي خلاله إلى شركة المجد السماوي.

❖ إنه يشبِّه غضب الأعداء بالسيل الجارف والماء، الماء الذي يجرف بطريقة غير عادية، بفيضه وقوته يفسد كل ما يصادفه... ألا ترون مدى مساندة الله، كيف أنه في مثل هذه المصاعب لا يسمح لهم أن يغرقوا؟ هذا هو السبب، إنه يسمح للمشاكل أن تزداد، لا لكي يغرقوا، وإنما ليجعلهم أكثر استقامة، ويمدهم بتأكيد عظيم لقوته [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

رأى المرتل كأن العدو أراد الخلاص من السيد المسيح، فانهال بالموت عليه كالسيل ليجرفه، لكن السيل تحول كما إلى نهرٍ يشرب منه في الطريق، لذلك رفع رأسه، وأعطى للكنيسة جسده أيضًا أن ترتفع معه. بمعنى آخر إذ قبل السيد المسيح الموت بإرادته قام فأقامنا معه.

---

[1] *On Ps. 124.*

يقول المرتل: "من النهر يشرب في الطريق لذلك يرفع الرأس" (مز 110: 7).

❖ "**عند احتماء غضبهم علينا**" الآن هم في حالة غضب، إنهم في حالة غيظ شديد علنًا: "**إذًا لجرفتنا المياه**" [4]. يُقصد بالمياه الأمم الشريرة... ولكن أي نوع من المياه هذه؟ إنها سيل جارف بعنفٍ، لكنه سيعبر... حيث شرب رأسنا منه أولاً، هذا الذي قيل عنه في المزامير: "سيشرب من السيل في الطريق عندئذٍ يرفع رأسه" (راجع مز 110: 7). فإن كان رأسنا بالفعل قام، فلماذا يخاف الجسد من السيل؟ بدون شك، لأن الرأس يقوم، فالجسد أيضًا سيقول: "تعبر أنفسنا على السيل"[1].

القديس أغسطينوس

إِذًا لَعَبَرَتْ عَلَى أَنْفُسِنَا الْمِيَاهُ الطَّامِيَةُ [5].

يرى **القديس أغسطينوس** أن المياه الطامية بلا كيان، هي مياه الخطية التي في حقيقتها لا كيان لها، فما يشتهيه الإنسان من الأمور الزمنية لن يدوم.

❖ ماذا تعني: "**إذًا لعبرت على أنفسنا المياه الطامية**" [5]... إنهم يحتملون موتًا عظيمًا، إنهم في مخاطرٍ عظيمة، إنهم تحت ضغطة شديدة، حتى أنهم يقبلونها وهم أحياء .

القديس أغسطينوس

❖ يلزم أن يعمل الحب فينا بطريقةٍ تجعلنا لا نترك المسيح تحت أي مخاطر حلت بنا. فإنه مكتوب: "مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة، والسيول لا تغمرها" (نش 8: 7). لأن نفس المحب تعبر خلال السيول الجارفة (مز 124: 4-5). ليس من عاصفةٍ ولا من خطر شديد، ولا من خوفٍ من موتٍ أو عقوبةٍ يمكن أن يخفف من قوة الحب[2].

❖ دُعِيتْ من بواعث حب العريس لتقول: "نزلت إلى جنة الجَوْز لأعاين مولد السيل" (نش 6: 11). الآن، أين هي الكنيسة إلاَّ حيث توجد عصا الأسقف التي تفرخ (عد 17: 8)، وحيث توجد مواهبه الروحية؟ توجد هناك لتُمتَحن بالمرارة والتجربة؛ فالجَوْز يعني المرارة، والسيل يعني التجربة، لكن التجربة التي يمكن احتمالها، كما هو مكتوب: "عَبَرتْ أنفسنا سيلاً" (مز 124: 5). لهذا نزلت إلى موضع المرارة حيث تزدهر الكرمة والعديد من الأثمار كالرمان

---

[1] *On Ps 124 (123).*
[2] *On Ps 124 (123).*
[3] *Jacob.*

(نش 6: 11)، **في المرارة تعرف النفس ذاتها** ، لأن الجسد الفاسد يثقل عليها، وسرعان ما ينحط مسكنها الأرضي، لكن عليها أن تعرف ذاتها[آ].

القديس أمبروسيوس

❖ استخدم هذا التشبيه عن سطوة السيل، لأن حياة الإنسان نهر مضطرب يندفع إلى المنخفضات ليجد مجراه الطبيعي. لا شيء من الأشياء التي نراها في الحياة تعطي شبعًا للنفس، لأن كل ما يسبح على ماء النهر، ويبدو أنه يقترب إليك، بمجرد ان تلمسه يمضي عنك، لأن الموجة التالية تخطفه منك بعيدًا، فتكون اللحظة الحالية في هذا المجرى المتهور ضياعًا للذة المتوقعة.

ليكن اهتمامنا إذن الحرص على الابتعاد عن ذلك النهر لئلا في اهتمامنا بالأمور الوقتية نهمل الأبدية[ب].

القديس غريغوريوس النيسي

3. الله يخلص من أنياب الوحوش المفترسة

يجول إبليس كأسدٍ مفترس يهجم ويمزق ويهشم ويبتلع، لكن سرعان ما يكتشف عجزه، لأن الأسد الخارج من سبط يهوذا لن يسمح لجسده أن يكون فريسة للعدو.

مُبَارَكٌ الرَّبُّ الَّذِي لَمْ يُسْلِمْنَا فَرِيسَةً لأَسْنَانِهِمْ [6].

يحاول العدو بغضبه أن يزلزل قلوبنا فنفقد سلامنا الداخلي ونُدفن كما في التراب. وإذ لا نخشى غضبه يدفع بالتجارب والأفكار الشريرة كسيل مياه ليغرقنا، وإذ يفشل يظهر كأسد يزأر، يجول ملتمسًا من يبتلعه (1 بط 5: 8). من يقدر أن ينقذنا سوى الأسد الخارج من سبط يهوذا. وكما يقول **القديس أغسطينوس**: [لا تفتكروا يا إخوتي أن هؤلاء غلبوا أعداءهم لأنهم كانوا رجالاً أقوياء، بل لأن الرب كان لهم.]

❖ "**مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم** " [6]. فإن الصيادين يتبعوننا ويزودون المصيدة بالطُعم.

أي طُعم؟ عذوبة هذه الحياة، حتى أن كل إنسانٍ من أجل عذوبة هذه الحياة يدفع برأسه في الشر، ويسقط في الفخ. ليس هؤلاء الذين فيهم الرب، والذين يقولون: "لولا أن

[آ] إسحق أو النفس، 8: 64.

[ب] دير السريان: البتولية، 1966، ص 81-82.

الرب كان فينا". فإن هؤلاء لا يؤخذون في الفخ.

ليكن الرب فيكم، وأنتم لا تسقطون في الفخ [1].

القديس أغسطينوس

4. الله يخلص من فخ الصيادين

انْفَلَتَتْ أَنْفُسُنَا مِثْلَ الْعُصْفُورِ مِنْ فَخِّ الصَّيَّادِينَ.

الْفَخُّ انْكَسَرَ وَنَحْنُ انْفَلَتْنَا [7].

وقف المرتل في دهشة أمام عمل الله العجيب، وسط المعركة التي بين الله وإبليس. رأى نفسه عصفورًا لا حول له ولا قوة. لا يقدر أن يفلت من فخ الصيادين، أي إبليس وملائكته، لكن القدير أعانه، فكسر له الفخ وأطلقه حرًا.

كثيرًا ما يؤكد الآباء الحقائق الإنجيلية التالية:

أولاً: ضعف الإنسان الشديد أمام قوة إبليس وخداعه، فهو يشبه العصفور الذي لا حول له ولا قوة في إمكانياته الذاتية.

ثانيًا: بالنعمة صار الإنسان في مركز القوة لا الضعف، فلا يليق به الخوف والقلق، بل يثق في إمكانية النصرة بالمسيح يسوع الذي خرج غالبًا ولكي يغلب.

ثالثًا: انهار إبليس وفقد قدرته وسلطانه، فصار أشبه بألعوبة، لا يقدر على مقاومة المؤمنين الحقيقيين.

رابعًا: غنى نعمة الله لا تُقدم ولا تعمل قسرًا إنما خلال إعلان الإنسان لقبولها بروح الجدية، في غير تكاسلٍ أو استهتارٍ.

خامسًا: تقديم شكر مستمر على ما وهب الله المؤمن من نصرات، فتتطلع عيناه إلى نُصبٍ تذكارية روحية تسنده في رجائه بالرب. بهذا لا يكون جاحدًا لنعمة الله ؛ كما بالشكر يتمتع بفيض أعظم خلال نصرات مستمرة!

سادسًا: يُقدم الشكر للثالوث القدوس: الآب الذي أرسل ابنه الوحيد مخلصًا، والابن المخلص، والروح القدس واهب الحياة والتقديس والتجديد.

ترنم المرتل، قائلاً: "انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيَّادين، الفخ انكسر ونحن انفلتنا، عوننا باسم الرب الصانع السماوات والأرض" (مز 123: 7).

---

[1] *On Ps 124 (123).*

إن كان العدو يظهر أحيانًا كأسد زائر ليرعب المؤمنين، فإنه أحيانًا يضع الفخاخ الخفية مستتفهًا المؤمنين، حاسبًا إياهم كالعصفور الذي يسقط في الفخ، بأية أمكانية يمكن أن يفلت؟ لكن العجيب أن ينكسر الفخ والعصفور يفلت دون إصابته بأذية. لن يتحقق هذا إلا بالخلاص الإلهي.

❖ "**انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين** " [7]. الرب في النفس ذاتها، لهذا فَلَتت كطائر من فخ الصيادين. لماذا شبه الطائر؟ لأنها سقطت بدون إدراك، مثل طائر، وأمكن القول بعد ذلك فالله يغفر لي. الطائر غير المستقر بالحري يضع رجليه على الصخرة، فلا يسقط في فخ! ليكن الرب في داخلك، وهو يخلصك من تهديدات أعظم، من فخ الصيادين... الفخ سينكسر. تأكد من هذا، فإن ملذات الحياة الحاضرة لن تدوم عندما يتحقق مصيرها النهائي. ليتنا لا نرتبك بها، حتى متى انكسر الفخ نفرح، قائلين: "الفخ انكسر، ونحن نجونا". ولئلا تظن أنك تستطيع ذلك بقوتك الذاتية، انظر من الذي يعمل على نجاتك، وقل: "عوننا باسم الرب الذي صنع السماء والأرض"[1].

القديس أغسطينوس

❖ إن أردت أن تقاوم، لا تتجاسر وتدخل في معركة علنية. ومن جانب آخر، إنه يغلب من كان نائمًا، لا من أجل قوته، إنما بسبب إهمالكم، أعني من لا يقدر أن يغلب شخصًا نائمًا حتى وإن كان أضعف من الجميع؟

القوي في قيودٍ وعدَّته محطمة، وقوته مقضي عليها، ومسكنه مُدمر، وسيفه منكسر. ماذا نطلب أكثر من هذا؟ لماذا أنت خائف منه؟ ما هو سبب رعبك؟

أخبرني، لماذا أنت قلق؟ أتريد أن تعرف نوع المعونة التي لديك؟ فوق الكل، **عدوك ليس فقط صار ضعيفًا، وإنما عونك صار عظيمًا.**

تمرُّد الجسد قد تحطم، ثِقل الخطية قد زال، لقد نلت نعمة الروح، بقوة المسحة. "لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه في ما كان ضعيفًا بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد. لكي يتم حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد" (رو 8: 3-4).

لقد جعل الجسد مطيعًا، وقدم لك الأسلحة، درع البرّ، ومنطقة الحق، وخوذة الخلاص،

---

[1] *On Ps 124 (123).*

وترس الإيمان وسيف الروح (راجع أف 6: 13–17)، والعربون المقدم لك (2 كو 1: 22)، إنه يقوتك بجسده، يهبك دمه لتشربه، ويضع صليبًا في يدك مثل رمح، الرمح الذي لن ينثني.

ذاك المخلوق يربطه، ويسخر به حتى الأرض [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ما هو الفخ الذي انكسر؟ يقول الرسول: "(الرب) سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعًا" (رو 16: 20)، "فتستفيقوا من فخ إبليس" (2 تي 2: 26). ها أنتم ترون الشيطان هو الصيَّاد، يشتاق أن يصطاد نفوسنا للهلاك. الشيطان هو سيِّد فخاخ كثيرة، وخداعات من كل نوع... **متى كنَّا في حالة النعمة تكون نفوسنا في أمان** . لكن ما أن نلهو بالخطيَّة ، حتى تضطرب نفوسنا وتصير كسفينة تلطمها الأمواج [2].

القدِّيس جيروم

❖ لا تتحقق النصرة بكمية المال ولا بالاعتزاز بالقوة، ولا بعلو المجد، إنما يهب الرب عونه مجانًا للذين يطلبونه بالأحزان المكثفة. هكذا كان بولس الذي حمل أحزانه، موضوع فخره. لهذا صار قادرًا أن يقول: "**حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي**"...

أترون إلى أين تقودكم الأحزان؟ إلى **الرجاء الذي لا يخيب** (رو 5: 3) [3].

القديس باسيليوس الكبير

❖ يظهر العريس بين الفخاخ. لقد هيأ يسوع طريقًا لكم. نزل إلى الأرض وعرّض نفسه لفخاخ العالم. إذ رأى حشداً عظيمًا من البشرية قد سقط في الفخاخ، وإذ يعلم أنه ليس أحد غيره يقدر أن يخلصهم أتى إلى الشراك حيث أخذ جسدًا بشرياً أمُسك في فخاخ القوى المعادية. كسر الفخاخ تمامًا من أجلكم، وأنتم تقولون: "انظروا من في الخلف، إنه خلف حائطنا، يتطلع من الكوى"، ها قد ظهر في الفخاخ [4].

❖ أما وقد مزَّق (الشباك) ووطأها، فهو يشجع أيضًا كنيسته لتدوس الفخاخ وتطأ الشباك، ثم **تقول بكل الفرح**: "انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين؛ الفخ انكسر ونحن نجونا"

---

[1] *On Ps. 124.*
[2] *On Ps. hom. 20.*
[3] *Hom. 20 On Ps. 59.*
[4] *Commentary on Songs 2:12.*

(مز 124:7).من الذي مزَّق الفخاخ إلا ذاك الوحيد الذي لا يُمكن الإمساك به؟ فمع أنه قاسى الموت، إلا أن ذلك تمّ بإرادته، وليس كما يحدث لنا بسبب خطيتنا. فهو وحده قد صار حُرًّا بين الأموات. وإذ هو الحيّ بين الأموات، عندما أباد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت" (عب 14:2)، وأتى بالذين سباهم الموت. لم يُصعِدَ ذاته فقط من الموت بل أصعد معه أولئك الذين غلبهم الموت؛ وجعلهم يجلسون معه في الأمجاد السمائية. "إذ صعد إلى العلاء سبى سبيًا" (أف 4:8). لم يأتِ بالنفوس فحسب، بل وأقام الأجساد أيضًا، كما يشهد بذلك الإنجيل: "وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا مدينة الله الحيّ أورشليم السماوية، وظهروا لكثيرين" (مت 27:52؛ عب 12:22).

العلامة أوريجينوس

❖ فلنستدرّ دوماً مراحم الله ليخلص نفوسنا من السيف، وينقذ نفوسنا من بطن الكلب، ويحررنا من فم الأسد. لنسرع ونتحرر من فم الأسد، ولنعجّلِ بتخليص نفوسنا من فخاخ الشهوات الأرضية حتى لا يقوى الشيطان على افتراسنا. وبعون الرب تكون لنا أجنحة روحية، فنقول مع النبي: "انفلتت مثل العصفور أنفسنا من فخ الصيادين، عوننا باسم الرب الصانع السماوات والأرض" (مز 124: 7–8). فليبدأ ويهبنا ذلك ذاك الذي يحيا ويحكم العالم إلى الأبد أمين[1].

الأب قيصريوس اسقف آرل

❖ الشراهة هي والدة الثعابين، وكذلك مرافقة الإخوة الذين لا يمارسون الزهد. عندما تتعرى نفوسنا من هذه كلها لن تقع بعد في مصائد العدو، بل تستطيع أن تطير برشاقةٍ نحو الله، وفيه تجد الخلاص[2].

القديس يوحنا سابا

❖ طوبى للنفس التي لا يغلبها أي صراع مضاد في الجسد، فإن مثل هذه النفس تطير كعصفور من فخ مكسور (مز 124: 7)، لأن ملذات الجسد هي غذاء الشرور. من يلتفت إليها يسقط في فخ[3].

---

[1] *Sermons, 136:7.*

[2] الرسالة الرابعة: 2 (ترجمة الرب سليم دكاش اليسوعي).

[3] إسحق أو النفس، 7: 61.

القديس أمبروسيوس

❖ يرمز أرز لبنان الذي زرعه الله، حيث تبن ي فيه العصافير أعشاشها ويكون مأوى للطيور الكبيرة، إلى الفضائل. إن الأرز دعامة لمنزل العرس ولحجرة العروس حيث تعيش فيها النفوس التي تشبه العصافير، التي تنجو من شراك الصيادين وتبن ي أعشاشها، وتجد فيها الطيور الكبيرة ملجأ لها، كما يقول الكتاب. يقول المهتمون بدراسة عادات الطيور إن الطائر أبو قردان لا يمارس الاجتماع الجنسي إلا عند الحاجة... ويظهر لي أن النص يشير إلى النقاوة خلال هذا المثال (نش 1: 16-17). تنظر العروس في نشيد الأناشيد إلى أعمدة الأرز في حجرة العرس الطاهرة وترى خشب السرو المزيَّن الذي يزيد المنظر جمالاً وأناقة. ويذكر النص أن تغليف السقف كان من خشب الس رو. وتعني كلمة التغليف، تثبيت قطع الخشب بإحكام في شكل هندسي لتجميل سقف الحجرة. ماذا نتعلمه من هذا؟ لخشب السرو رائحة جميلة وله مناعة ضد التحليل وهو مفيد في إنتاج الكثير من أعمال الخشب الفنية لأنه خفيف وسهل التشكيل ويصلح لأعمال "الأويمة". نتعلم من هذا الدرس أن هيجب أن نغرس الفضيلة في نفوسنا من الداخل على أن لا نهمل أن يكون منظرنا الخارج ي حسنًا فيلزم أن نعتني بما هو شريف أمام الله والناس (2 كو 5: 11)[1].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

5. الله الخالق هو المخلص

عَوْنُنَا بِاسْمِ الرَّبِّ الصَّانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ [8].

أدرك المرتل أن سرّ خلاصه هو اسم الرب، لهذا لم يقل: "إني كسرت الفخ ونجوت"، بل "**عوننا باسم الرب الصانع السماوات والأرض**".

❖ الفخ سينكسر، لتتأكدوا من هذا. لأن هذه الحياة الحاضرة لا تعود تبقى بعد... ليتنا لا نُستعبد لها. حتى متى انكسر الفخ، نفرح، ونقول: " **الفخ انكسر ونحن نجونا** ". ولئلا تظنوا أنكم تقدرون أن تفعلوا هذا بقوتكم، تذكروا بعمل مَنْ تم خلاصكم، لأنكم إن كنتم متكبرين تسقطون في الفخ. لتقولوا: "**عوننا باسم الرب، الصانع السموات والأرض**" .

القديس أغسطينوس

---

[1] عظة 4 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.

[2] *On Ps 124 (123).*

❖ ألا ترون أي نوع هو هذا القائد الذي لك. إنه الملك؟ خالق الكل! ذاك الذي أوجد أجسادًا كثيرة بكلمته، هذا الكم، مثل هذا القدر العظيم؟

كونوا شجعانًا ولا تخر قلوبكم، **لا يوجد ما يمنع إقامة نصب تذكاري لنصرتكم في فخامته.** لذلك يليق بكم أيها الأحباء الأعزاء أن تتيقظوا، وتستمروا في جهادكم.

ليتنا لا ننام، بل بالحري نصقل سلاحنا، ونشدد عزائمنا، ونجاهد الجهاد الحسن بدون انحراف، حتى نبلغ النصرة المجيدة، وننعم بملكوت السماوات بمجدٍ عظيمٍ. ليكن هذا نصيبنا الصالح لنا جميعًا، شكرًا لنعمة ورأفة ربنا يسوع المسيح، الذي له المجد والسلطان إلى جيل الأجيال، آمين [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ دعنا، إذًا، ننتبه ونشكر ذاك الذي له السماوات كرسيّ والأرض موطئٌ لقدميه (إش 66: 1)، الذي تخدمه الخليقة كلها (يهوديت 16: 14). ولنبدأ من هذا النموذج المذكور سابقًا، **ونحن أيضًا نقدِّم الشكر للآب ، لأنه رحم العالم و "لم يُشفق على ابنه " و "أرسل الابن (الوحيد) مخلِّصًا للعالم** " (رو 8: 32؛1 يو 4: 14) وفاديًا لنفوسنا. **ولنقدِّم الشكر للابن** لأنه "وضع ذاته وأطاع حتى الموت موت الصليب" (في 2: 8) لأجلنا نحن البشر. **ولنقدِّم الشكر للروح القدس** المعطي الحياة الذي تكلم في الناموس والأنبياء والمعلِّمين، الذي أظهر بطرس تائبًا وأمره أن يذهب إلى كرنيليوس (أع 10: 19–20)، ومجّده وأعطاه قدرةً أن يُقيم الموتى مثل طابيثا (أع 9: 40)، الذي يسبق دائمًا ويحطِّم فخاخ العدو عن الذين يدعونه حسب نبوة داود النبي: "الفخ انكسر ونحن انفلتنا، عوننا باسم الرب الصانع السماوات والأرض" (مز 124: 7–8).

القديس برصنوفيوس

من وحي المزمور 124

أنت لي ومعي وفيّ!

❖ بماذا أصف العدو المقاوم ليّ؟
ألعله زلزال يود أن يحطمني،

---

[1] *On Ps. 124.*

ويدفني تحت الأنقاض حيًا؟!
ألعله سيل جارف وطوفان مرعب،
يبتلعني بدواماته، ويجرفني حتى الأعماق؟!
ألعله أسد يزأر يجول ليفترسني؟!
ألعله صياد ماكر خطير،
ينشب لي الفخاخ والشباك الخفية،
فيصطادني كعصفورٍ لا حول لي ولا قوة؟!
إنه أخطر من هذا بكثير،
ليس من تشبيهٍ يقدر أن يصف ما هو عليه!

❖ لكن إلهي هو مخلصي،
هو ليّ ومعي، دائمًا أنا في حضرته،
من يقدر أن يقترب إليّ؟
إنه في أعماقي، يقيم ملكوته في داخلي،
يحوّل ترابي إلى سماءٍ عالية.

❖ لتتحرك الزلازل مهما كانت قوتها،
فليس لها سلطان عليّ!
كيف تدفنني مادمت حيًّا بخالق السماء والأرض؟!

❖ لتنهمر السيول، مهما بلغت شدتها،
فإنها لا تقدر أن تغرقني.
بالصليب أعبر مع موسى كما عبر بحر سوف.
ويغوص إبليس وقواته في البحيرة المتقدة نارًا.
أترنم مع يونان النبي، قائلاً:
أصعدت من الوهدة حياتي، أيها الرب إلهي.

❖ انهمر الموت على مخلصي كالسيل،
وظن العدو أنه قادر أن يقتله بالموت،
لكن بالموت أمات مخلصي الموت.

وتحول السيل إلى نهرٍ، شرب منه مخلصي ورفع رأسه.
قام فأقامني معه!
ماذا يفعل العدو بسيوله وطوفانه؟!

❖ ليجُل العدو كأسدٍ زائرٍ يود أن يفترس،
لكن هل يقدر أن يلتقي بالأسد الخارج من سبط يهوذا؟

❖ لينصب العدو فخاخه،
وإن كنت كالعصفور الضعيف والعاجز،
لكن مخلصي في داخلي،
بروحه القدوس يطلقني إلى سماواته،
فتتكسر كل فخاخ العدو، وأنفلت!

❖ بك يا مخلصي لن تقلق نفسي.
بك أنعم بنصراتٍ لا تنقطع.
بك يُسحق الشيطان تحت أقدام كنيستك.
بك وأنا ضعيف أصير قويًا!
رجائي فيك لن يخيب يا صانع السماوات والأرض.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

المسكن الأبدي

لم ينته هذا القسم الثاني من مزامير الصعود بإقامة خيمة الاجتماع التي كانت على مثال السماء ليسكن الله وسط شعبه، وإنما يرى المرتل وهو يرنم مزامير الصعود أن الرب حال حول شعبه من الآن وإلى الأبد. يرى الأبدية أمام عينيه، حيث يسكن مستقيمو القلوب في أورشليم العليا، أما السالكون في طرق معوجة فمصيرهم مع فعلة الإثم.

إذ يبلغ المؤمن أورشليم يرى نفسه في المدينة المقدسة المبنية على تلٍ عالٍ وقد أحاطت الجبال بها من حولها، فيدرك الحقائق الروحية التالية:

1. يحوط الله بكنيسته ويحتضنها ويحمي كل عضو فيها، مادام لم يخرج منها. فمن يلتزم بالعضوية الكنسية الروحية الحقيقة يحوط به الرب كالجبال. فلا يخشى المؤمن من العواصف والأنواء، إذ هو مخفي في الله الجبل الوطيد.

2. يبدو المؤمن كأورشليم المقُامة على تلٍ عالٍ، يبقى راسخًا كالصخرة لا تتزعزع إلى الأبد. إيمانه بمسيحه صخر الدهور ووحدته وبناؤه الروحي... هذا كله لن يهتز، لأن الله هو بانيه على الصخرة.

3. يرى المؤمن الطريق الآمن الوحيد، أرض السلام مع الله حيث الحرية الحقيقية على مستوى أبدي! كما يرى طرقًا ملتوية معوجة يختبئ فيها اللصوص للسرقة والقتل، من يسلك فيها يجلب على نفسه اللعنة كفاعل شرٍ.

1. مسكن أبدي
2. الرب حول شعبه
3. مواطنون أحرار صالحون 3-4.
4. عزل الأشرار عن الصالحين 5.

1. مسكن أبدي

اَلْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى الرَّبِّ،
مِثْلُ جَبَلِ صِهْيَوْنَ الَّذِي لاَ يَتَزَعْزَعُ،
بَلْ يَسْكُنُ إِلَى الدَّهْرِ [1].

إذ حررهم من عبودية فرعون، وأخرجهم تحت قيادة موسى وهرون إلى البرية، طلب الله محررهم الحقيقي من موسى أن يقيم خيمة الاجتماع كمسكنٍ له وسط شعبه.

إنها صورة رمزية لما تمتعنا نحن به بعد أن قدم لنا بصليبه الحرية، ووهبنا سلطانًا على إبليس وكل قوات الظلمة، إذ أعدنا للدخول إلى أورشليم العليا، نحيا مع محررنا السماوي إلى الأبد.

فتح لنا بصليبه العجيب باب الرجاء، وقدم لنا إمكانيات جديدة للاتكال عليه، فنصير بالحق جبالاً مقدسة لا تتزعزع، إذ يقيم مخلصنا في أعماقنا.

يعرِّف المرتل شعب الله بالمتوكلين على الله. خلال فترة السبي تعرض جبل صهيون للخراب فصار مهجورًا، لكن إلى حين، ثم عاد إليه جماله بعد السبي. هكذا يتعرض المتوكلون على الله إلى تجاربٍ وأحزانٍ، لكن سرعان ما يمجدهم الله أبديًا. يقول الرسول: "قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحيّ أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة، وكنيسة أبكار مكتوبين في السماوات وإلى الله" (عب 12: 22-23).

❖ "**المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون** " [1]. ما هي قوة إضافة كلمة "**صهيون**"؟ أعني عوض أن يقول فقط "**مثل جبل** "، لماذا يشير إلى جبل معين؟ لكي يُعلمنا ألا نسقط تحت المحنة ولا نغرق فيها، بل **نعتمد على الله في رجاءٍ، ونحتمل كل شيء بنُبلٍ** : سواء كانت حروبًا أو نزاعات أو مخاطر. فإن هذا الجبل كان يومًا ما مهجورًا، خاليًا من السكان، وبدوره استرد رخاءه السابق، واستعاد شعبيته القديمة بتدفق السكان عليه وظهور عجائب. هكذا الإنسان النبيل لا ينهار، حتى وإن عانى من متاعب لا حصر لها. لهذا لا تنظر إلى حياة بلا مخاطر. فإن الذي يطلب ممارسة مهاراته في حياة مريحة ليس كذاك الذي يقود عاصفة. الأول يصير بليدًا، رخوًا، ومنحلاً. بينما الأخير يكافح مع صخور كثيرة سواء تحت السطح أو فوقه، ويواجه عواصف ريح شديدة ومخاطر جمة للبحر، وبنجاته وسط هذا كله يجعل نفسه أكثر قوة. بمعنى آخر لقد جُلبت لهذه الحياة، لا لتعيش في خمولٍ، ولا أن تعيش فاترًا، ولا أن تهرب من مواجهة المتاعب، بل أن تصير بالأكثر مستحقًا للمديح خلال الألم. لا تطلب الاسترخاء ولا حياة الترف، فإن هذا علامة حياة غير نبيلة بل خاملة ينقصها العقل... ولكن عوض هذا اطلب **ألا تسقط في تجربة إن واجهتها** . على أي الأحوال لا تكن قنوطًا ولا مصابًا بالرعب ولا بالذعر، بل افعل كل شيء لكي تصير

مستحقًا بالأكثر للثناء...

ألا تلاحظ الجنود الشجعان كيف عندما يُستدعون بالبوق يركزون أنظارهم على النُصب التذكارية والنصرات والأكاليل والأعمال الباسلة لأسلافهم؟ ... لك قائد شجاع، قادر على أية مغامرة، وحل المشاكل برغبته المجردة. كل شيءٍ هو له: السماء والأرض والبحر والوحوش والنار، بالنسبة له بسهولة يمكنه أن يغير كل الأشياء، ويحسب تغييرها عملاً سهلاً...

ألا تسمع قول الكاتب الموحى إليه: "**المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون** "؟ قال: "**مثل الجبل** " ليشير إلى سمة الرجاء في الله التي لا تُغلب، واستقرارها وعدم قهرها وحصانتها، تمامًا مثل عدم النجاح قط في الإطاحة بجبلٍ أو تحطيمه مهما أُتيت بأسلحة لا حصر لها ووجهتها ضده، هكذا من يهاجم ذاك الذي له رجاء في الله يرجع فارغ اليدين. الرجاء في الرب أكثر أمانًا من الجبل!...

"**الذي لا يتزعزع (يتحرك)، بل يسكن إلى الدهر** " [1]... ماذا إذن؟ ألَم يتحرك الثلاثة فتية ودانيال؟ ليس الأمر هكذا. لقد رُحِلُّوا من مدينتهم، وصاروا في السبي، لكنهم تحت أي وضع لم يتحرك أحد منهم. بالحري، وإن كان قد لحق بهم وضع مُقلق، ووجدوا أنفسهم في وسط اضطرابات كثيرة صعبة، لكنهم كانوا كمن هم واقفون على صخرة، وقد رسوا في ميناءٍ هادئٍ، وبهذا لم يعانوا من شيء مضرٍ. هكذا لا تشيروا إلى ظروف معينة كمثالٍ للتزعزع، عوض هذا فإن التزعزع هو تحرك. مفقدٍ للنفس، وسقوط من الفضيلة... الذين ينجحون في ذلك يتحررون من كل ظروفٍ متغيرة، ولا يستطيع شيء ما أن يجعلهم يخطئون، لا شهوة ولا ملذات، ولا ظروف خاصة بالخطية ولا حزن أو صراع أو خطر، فإن هذه كلها تتلاشى[آ].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إنه لأمرٌ عجيبٌ أنّ شخصًا وحيدًا **(القديس أنطونيوس الكبير)** في بريّةٍ كهذه لم يخشَ الشياطين التي هاجمته، ولا وحشية الوحوش والزحافات، إذ كانت كثيرة جدًا، لكنه حقًا كما هو مكتوب: "**توكل على الرب مثل جبل صهيون** " (مز 125: 1)، بإيمانٍ لا يتزعزع ولا يضطرب، حتى هربت الشياطين منه، وسالمته وحوش البرية كما هو مكتوب (أي 5: 23).

---

[1] *On Ps. 125.*

كان إبليس، كما يقول داود النبي في المزامير (مز 35: 16) يراقب أنطونيوس ويصرّ عليه أسنانه. أما أنطونيوس فكان متعزِّيًا بالمخلِّص، وبقيَ سالمًا من حيله ومكائده المختلفة. كان يسهر بالليل ، فيرسل عليه إبليس وحوشًا برّيّة، وكأنّ كل ضباع تلك البرّية تقريبًا قد خرجت من مغايرها وأحاطت به، وهو في وسطها ، يهدِّده كلٌّ واحدٍ بالعضّ. وإذ رأى حيلة العدو ، قال لها: "إن كان لكم سلطان عليَّ فأنا مستعدٌ أن تلتهموني، أمّا إن كنتم قد أُرسِلتم عليَّ من قِبَل الشياطين ، فلا تمكثوا ، بل انصرفوا ، لأنني عبدٌ للمسيح". فهربت كلها أمام تلك الكلمة، وكأنها قد ضُربت بالسياط[1].

❖ إنهم واثقون كجبل صهيون، وإن ثارت ضدهم ربوات التجارب، فهم مؤسسون على صخرة التي هي المسيح (1 كو 10: 4؛ مت 7: 25)[2].

القديس أثناسيوس الرسولي

❖ كل الذين يرغبون في البقاء في الكبرياء ينتمون إلى بابل، أما الذين يظلون في التواضع فينتمون إلى أورشليم. وقد بارك القديسون والأسفار المقدسة باركوا ولا يزالون يباركون المتواضعين بالكلمات: "أحسن يا رب إلى الصالحين، وإلى المستقيمي القلوب"[3].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ هذا المزمور الذي ينتمي إلى عداد مزامير المصاعد، يعلمنا أننا ونحن نصعد ونرفع أذهاننا إلى الرب إلهنا، في محبة عذبة وتقوى، لا نركز أنظارنا على البشر الذين هم مقتدرون في هذا العالم، في سعادة باطلة غير مستقرة ومغرية، الذين لا يتعلقون بشيءٍ سوى الكبرياء وقلبهم يجحد ضد نعمته، فلا يحمل ثمرًا[4].

❖ لماذا إذن الذين يسكنون في أورشليم لا يتزعزعون إلى الأبد، إلا لأنه توجد أورشليم أخرى تشتاقون أن تسمعوا عنها؟ إنها أمنا التي نئن لأجلها ونتنهَّد في رحلتنا هذه لكي ما نرجع إليها... أورشليم الأبدية، أمنا جميعًا التي في السماء[5].

القديس أغسطينوس

---

[1] *Vita Antonii, 52.* فردوس الآباء ، ص 38.

[2] *Paschal Letters, 11:4.*

[3] *Sermon 48:5.*

[4] *On Ps 125 (124).*

[5] *On Ps 125 (124).*

2. الرب حول شعبه

أُورُشَلِيمُ الْجِبَالُ حَوْلَهَا،

وَالرَّبُّ حَوْلَ شَعْبِهِ مِنَ الآنَ وَإِلَى الدَّهْرِ [2].

يشبه المؤمنين بالجبال الثابتة، التي لن تزعزعها التجارب لا لقوة فيها، وإنما لأن الرب حول شعبه.

إنها جبال مقدسة، لأن القدوس حول شعبه، ومنيرة لأنه هو سرّ استنارتها وقوتها وصلاحها.

❖ ما هي أورشليم هذه؟ "**أورشليم الجبال حولها**" [2].

هل هو أمر عظيم أن نكون في مدينة محاطة بالجبال؟

ألا نعرف ما هذه الجبال؟

وما هي الجبال سوى تضخيم للأرض؟

إذن هذه الجبال مختلفة عن تلك الجبال التي نحبها، الجبال العالية هي الكارزون بالحق، سواء كانوا الملائكة أو الرسل أو الأنبياء. إنهم يحوطون أورشليم كما لو كانوا حصنًا لها. يتكلم الكتاب المقدس باستمرار عن هذه الجبال الجميلة والبهيجة... لا يقول إن لها سلام من عندها، أو تصنع سلامًا أو تولِّد سلامًا، إنما تتقبل سلامًا، هكذا لترفعوا أعينكم إلى الجبال من أجل السلام الذي تقدمه عونًا من عند الرب، الصانع السماوات والأرض... ولئلا تتلكأوا في الجبال، أضاف في الحال: " **والرب حول شعبه**" [2]، **حتى لا يكون رجاؤكم في الجبال، وإنما في ذاك الذي ينير الجبال.** فإنه عندما يسكن في الجبال، أي في القديسين يكون هو نفسه حول شعبه. وهو نفسه يُحصن شعبه بحصون روحية، فلا يتزعزعون إلى الأبد...

لتحبوا مثل هذه الجبال التي فيها الرب. عندئذٍ هذه الجبال نفسها تُحبكم إن كنتم لا تضعون رجاءكم فيها... إن كنتم تريدون أن تكونوا محبوبين من الجبال الصالحة، لا تجعلوا اتكالكم حتى في الجبال الصالحة [1].

القديس أغسطينوس

❖ يقول إنه حتى إن كانت الجبال تحصنها، فإنها تحتاج إلى حماية من الله، تجعلها منيعة...

---

[1] *On Ps 125 (124).*

"**الرب حول شعبه**"، بمعنى لا تثق في سلسلة الجبال [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. مواطنون أحرار صالحون

لأَنَّهُ لاَ تَسْتَقِرُّ عَصَا الأَشْرَارِ عَلَى نَصِيبِ الصِّدِّيقِينَ،
لِكَيْ لاَ يَمُدَّ الصِّدِّيقُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الإِثْمِ [3].

إنه يحوّط حول شعبه ليقدسه وينيره ويثبته ويحميه من السقوط تحت التجربة، لكنه لا يمنع التجارب تمامًا، حتى يزكيه ويكلله، وينعم بالنضوج والنمو الدائم، أما إن وجَّه العدو ضربه قاضية فلن يسمح الله بها مطلقًا!

- ❖ قد يسمح الله أحيانًا لعصا الخطاة أن تصيب الأبرار، لكنه لا يترك هذه العصا تستقر زمانًا طويلاً. ما هي عصا الخطاة إلا قوتهم وسيادتهم وأذيتهم.
- ❖ يسمح الرب أحيانًا بالتجارب، ولابد أنها آتية كالمخاض للحبلى. فلا يمكن أن يترك الرب شعبه في راحته طويلاً، لئلا يتكاسلوا عن أمر خلاصهم... ومن جهة أخرى لو سمح بالتجارب لا يتخلى أبدًا عن شعبه لئلا يفشلوا. فلا يمكن أن يتركنا الرب نجرب فوق ما نحتمل، بل يجعل مع التجربة المنفذ (1 كو 10: 12).
- ❖ ما يعنيه هو أمر كهذا: إنه سوف لا يسمح أن يكون لهم سلطان على نصيب الصديقين، وإن سمح إلى حين، إنما لأجل إصلاحهم وتحذيرهم وتأديبهم... " **لكي لا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم**". كل الأمور تحدث لهذا الهدف، أن تصير نفوسهم إلى حالٍ أفضلِ خلال إصلاحهم بحلول الكوارث، وأن يصيروا في أكثر غيرة بتمتعهم بعطية الخيرات .

القديس يوحنا الذهبي الفم

- ❖ في الوقت الحاضر حقًا يُعاني الأبرار في حدودٍ مُعينة، وفي الحاضر أحيانًا يتجبر الأشرار على الأبرار.

إن كان رب السماء والأرض، الذي به خُلقت كل الأشياء، خدم غير المستحقين وطلب الرحمة من أجل مضطهديه الهائجين. وكم أظهر نفسه كطبيبٍ لهم عن مجيئه، كم

---

[1] *On Ps. 125.*
[2] *On Ps. 125.*

بالأكثر يليق بالإنسان ألا يستخف بكل كيان عقله وإرادته الصالحة وكل حبه من أن يخدم سيدًا شريرًا! تأملوا، فإن الأفضل يخدم من هو أقل، ولكن إلى حين [1].

❖ عصا الأشرار تترك إلى حين على نصيب الأبرار، لكنها لا تُترك هناك، إنها لا تبقى إلى الأبد. سيأتي الوقت حين يظهر المسيح في مجده ويجمع كل الأمم أمامه (مت 25: 32-33). وسترون كثيرًا من العبيد بين القطيع، وكثيرًا من السادة مع الجداء. فإنه ليس كل العبيد صالحين – هذا لا يُقلل من التعزية التي تُعطى للعبيد – ولا كل السادة أشرار، فإننا قد كبحنا كبرياء السادة. يوجد سادة صالحون، ويوجد سادة أشرار... ويوجد خدم صالحون يؤمنون، وخدم أشرار. ولكن مادام يوجد خدم صالحون يخدمون سادة أشرار فليتحملوهم إلى حين .

القديس أغسطينوس

أَحْسِنْ يَا رَبُّ إِلَى الصَّالِحِينَ،
وَإِلَى الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ [4].

الكل يحتاج إلى الصلاة من أجلهم حتى الصالحون، فالمرتل يصلي لأجلهم ولأجل مستقيمي القلوب لكي يسندهم الرب في لحظات التجربة والضيق حتى لا ينحرفوا.

مادام الإنسان في الجسد، مهما بلغ سموه الروحي يطلب إخوته عنه حتى يعبر من هذا العالم بسلام.

يميز **القديس يوحنا الذهبي الفم** بين الصالحين ومستقيمي القلوب وبين فعلة الإثم، فيرى الصالحين في البسطاء الذين ليس فيهم تعقيد، أما فعلة الإثم فهم الذين ليس فيهم بساطة أو استقامة بل اعوجاج وتعقيد. ينطق الصالحون بالحق بدون غش أو خداع أو رياء، ما في ظاهرهم يطابق ما في باطنهم.

كثيرًا ما يردد القديس هذه الفكرة: إن الصلاح يحمل مكافأته فيه، والشر يحمل جزاءه أو عقوبته فيه.

❖ مستقيمو القلوب الذين كنت أتحدث عنهم منذ قليل هم الذين يتبعون إرادة الله، لا إرادتهم... والذين يرغبون أن يتبعوا الله يسمحون له أن يذهب أمامهم وهم يتبعونه. وفي كل شيءٍ

---

[1] *On Ps 125 (124).*
[2] *On Ps 125 (124).*

يجدونه صالحًا، سواء في التأديب أو التعزية أو التدريب أو التكليل أو التطهير أو الإنارة، كما يقول الرسول: "نحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يُحبون الله" (رو 8: 28)[1].

القديس أغسطينوس

4. عزل الأشرار عن الصالحين

أَمَّا الْعَادِلُونَ إِلَى طُرُقٍ مُعَوَّجَةٍ،
فَيُذْهِبُهُمُ الرَّبُّ مَعَ فَاعِلَةِ الإِثْمِ.
سَلاَمٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ [5].

ماذا يقصد **بالعادلين** إلى طرق معوجة؟ إلا الذين يميلون أن ينحرفون إلى التشكك في الإيمان، أو المرتابون غير المؤمنين. وكما يقول الرسول: "أما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون... فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني" (رؤ 21: 8). وكما قيل: "نزعًا أنزعهم يقول الرب" (إر 8: 13)؛ وذلك كما تُنزع الأغصان الجافة عن الكرمة لتُحرق أو الأشواك عن الأرض الجيدة.

❖ أولئك الذين يزيِّفون أعمالهم، إذ يجدون بهجتهم في الملذات الحاضرة ولا يعتقدون في العقوبات العتيدة. ماذا إذن يكون للمستقيمي القلب والذين لا ينحرفون؟ لنأتِ إلى الميراث نفسه يا إخوة، لأننا أبناء. ماذا سوف نقتني؟ ما هو ميراثنا؟ ما هي مدينتنا؟ وماذا تُدعى؟ "**سلام**"!... سلام في المسيح... إذن نحن أبناء سننال ميراثًا!

وماذا يُدعى هذا الميراث إلا سلام؟! ولتعلموا أن من لا يُحب السلام ليس له ميراث. الآن من يشقوا الوحدة لا يحبوا السلام. السلام هو مُقتنى الأبرار، مقتنى الورثة. ومن هم الورثة؟ الأبناء... وحيث أن المسيح ابن الله هو السلام، لهذا سيأتي ويجمع من له ويفصلهم عن الأشرار. من أي أشرار؟ أولئك الذين يبغضون أورشليم، يبغضون السلام، الذين يُريدون أن يُمزقوا الوحدة، الذين لا يؤمنون بالسلام، ويكرزون بسلام باطل للشعب، وهم لا يقتنونه .

القديس أغسطينوس

---

[1] *On Ps 125 (124).*
[2] *On Ps 125 (124).*

❖ أجل، إن الرب صالح، ولكنه عادل أيضًا، ومن خصائص العادل أن يجازي بحسب الاستحقاق... إن الرب رحوم، ولكنه ذو إنصافٍ أيضًا، فقد قيل: "الرب يحب الرحمة والعدل" (مز 100: 1) [1].

القديس باسيليوس الكبير

❖ لا يصنع الله اعوجاجًا يسبب دمارًا، إنما يظهر من هم في اعوجاج. مكتوب: " **أما العادلون إلى طرق معوجة، فيُذهبهم الرب مع فعلة الإثم**" (مز 125: 5). ليس الله هو الذي يقودهم بغير إرادتهم مع الذين هم فعلة الإثم، إنما يُظهر أولئك الذين انحرفوا عن الطريق بعد أخذهم قرارًا سلوكيًا لأناس كهؤلاء [2].

القديس ديديموس الضرير

❖ قبل حلول العقوبة، تفرض الرذيلة عقوبتها فيها، وقبل نوال مكافأة تقدم الفضيلة مكافأتها فيها. أقصد أنه كما أن الأخيرة تحوى مكافآت فيها حتى قبل نوال الإكليل، هكذا السابقة تحوي جزاءً فيها حتى قبل حلول العقوبة. قبل كل شيءٍ، أي شيء يمكن أن يكون أشر من الخطية تحت زي (مظهر) العقوبة؟ لنفس السبب إذ يشير بولس أيضًا إلى بغاء الذكور، الذين يكرسون زهرة شبابهم في ممارسة ما فيه تحدٍ لقوانين الطبيعة، قائلاً إن هذا ينشئ أثقل جزاء حتى قبل حلول العقوبة: "... فاعلين الفحشاء ذكورًا بذكور، نائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحقّ" (رو 1: 27) داعيًا سلوكهم الفاسق جزاءً للخطية [3].

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 125

مواطن في مدينة الأحرار

❖ إذ حررت الشعب القديم،
أقمت له خيمة الاجتماع ظل مدينة الأحرار الأبدية.
انتقل الشعب من وسط العمل في اللبن،
من وسط الطين والقش،

---

[1] حفظ الوصايا والتعليم: 4 ترجمة يوسف شماس المخلصي.

[2] *Commentary on Ecclesiastes 212: 12.*

[3] *On Ps. 125.*

إلى العبادة في خيمة الاجتماع المملوءة بهاءً.
أردت أن تسحب قلوبهم إلى مدينة أبيهم السماوي،
أورشليم الحرة السماوية!
يسكنون كمواطنين وأصحاب بيتٍ،
مع أبيهم المحرر الحقيقي والمدافع عنهم،
يشتركون مع الطغمات السماوية،
التي لم تذق قط مذلة العبودية،

❖ في محبتك ورعايتك الفائقة،
تفتح ليّ باب الرجاء المبهج،
وتهبني الثقة واليقين في أبوتك الحانية.
أتكئ على صدرك،
فأصير أشبه بجبلٍ شامخ لا يتزعزع.
لا يقدر العدو بكل إمكانياته وأسلحته أن يحطمني.
لا، بل ولا يحرك مشاعري،
ولا يقترب إليّ، لأنك قوتي وسلاحي!
بل يفزع إذ يراك في أعماقي
تسكن فيّ، وأنا فيك،
يا أيها الصخرة العجيبة.

❖ بحبك الفائق أقمت منا جبالاً منيرة لا تتزعزع.
سرّ استنارتنا وسرّ صمودنا أنك حولنا.
تحمينا من التجارب المهلكة،
لكن برعايتك الفائقة وحكمتك الإلهية تسمح بالضيقات.
تسمح قدر ما يكون نافعًا لنمونا ونضوجنا، وإلى حين.
حتى نتزكى أمامك ونُكلل!
ما أعجب حبك، فإنك تعطي مع التجربة المنفذ.
مع كل تجربة تشكلني نعمتك،

فأتهيأ لأكون حجرًا حيًّا لائقًا بالهيكل السماوي.
ضربات العدو لن تحطمني،
إنما خلال نعمتك تزيدني بهاءً.

❖ ليتجبر الأشرار كما يشاءون،
فإنني مستتر فيك،
أنت مشغول بمجدي الأبدي.
هم يضربونني إلى حين، وأنت تمجدني إلى الأبد.

❖ إخوتي يسندونني بصلواتهم في وسط ضيقي،
وأنا لا أكف عن الصلاة من أجل المتضايقين
متى نجتمع سويًا كمواطنين في بيت أبينا الأبدي!
هناك لا أثر لإبليس ولا لقواته،
ولا للأشرار المصممين على شرورهم!
هناك أرى مدينتي التي طالما أشتاق إليها!
هناك أكتشف كم كنت مشغولاً بمجدي الأبدي!
هناك ألتقي بك يا أب كل المؤمنين ومخلص الجميع!

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

عبادة مقدسة متهللة

أو

فرح سماوي مع نهر دموع مقدسة

يُعتبر هذا المزمور بداية المجموعة الثالثة، والتي تقابل سفر اللاويين، وهو السفر الخاص بالقداسة. فإن كان الله هو مخلصي الوحيد الذي يقيمني من القبر والموت (سفر التكوين)، ويهبني الحرية الداخلية من إبليس والطاغية والخطية (سفر الخروج)، فإن هذا السفر هو دعوة أن ننعم بالحياة المقدسة كأيقونة للمخلص القدوس. هذه القداسة تتحقق خلال رئيس الكهنة السماوي الذي قبل أن يقدم نفسه ذبيحة، وقدم لنا وصايا خاصة بالتطهيرات تتحقق خلال الطاعة لذاك القادر أن يحققها فينا. لذلك جاء هذا المزمور يكشف لنا عن جوهر العبادة لله، ألا وهو الدخول إلى عبادة مقدسة متهللة، لكي تتحول حياتنا إلى عربون الحياة السماوية، وتصير أيامنا أشبه بفرحٍ سماوي، سره الرجاء بما نناله، بالرغم مما نعانيه هنا من متاعب وتجارب.

وقد جاءت المزامير الثلاثة المقابلة لسفر اللاويين تكشف عن سمة العبادة الكنسية السماوية:

1. مزمور 126: عبادة مقدسة متهللة.
2. مزمور 127: عبادة لله باني البيت وحافظه.
3. مزمور 128: عبادة الأسرة المباركة.

المزمور أشبه بصيحات فرحٍ لا تنقطع! إذ يتحرر المؤمنون من سبي الخطية، ترتفع قلوبهم كما إلى السماء في نقاوةٍ وطهارةٍ وقداسةٍ، يتهللون بالقدوس العامل فيهم، يختبرون الحياة السماوية المقدسة المملوءة فرحًا لا يُنطق به.

يعتبر هذا المزمور أشبه بمرثاة وطنية، يشبه في صياغته مزمور 85، وفي أسلوبه إرميا 31، حيث يتذكر المؤمنون معونة الرب الخلاصية، إذ جاء بهم من السبي، وأنقذهم من البلاء أو المجاعة. هذا كان حال بعض الراجعين من السبي إلى أورشليم، كانوا كمن في حلمٍ من شدة الفرح. وكما قيل للشعب: "لا تحزنوا، لأن فرح الرب هو قوتكم" (نح 10: 8). هذه

صورة مبسطة لما يكون عليه حالنا حين ننطلق إلى الفردوس.

❖ هذا المزمور الذي يتحدث إلى روح المصممين على الاستمرار في الرحلة الروحية إلى الله، يناسبنا تمامًا ليعيننا في أوقات الحزن والكآبة. هذا العالم هو دون شك وادي الدموع الذي فيه يزرع الإنسان وهو باكٍ. إنه يسندك لتستمر في إيمانك. على أي الأحوال، إن شرحت ما يعنيه هذا السفر بالبذور التي نزرعها الآن.

هذه البذور هي الأعمال الصالحة التي خلقها الله لكل واحدٍ منا أن نفعلها (أف ٢: ١٠). وقد خطط لنا أن نقمها بقوة روحه في وسط أتعاب هذه الحياة المضطربة.

من يتعلم أن يمارس عمل الله في هذا العالم – وادي الدموع والأتعاب هذا – **يصير متهللاً مثل المزارع المُجِدْ الذي يزرع البذار حتى في موت الشتاء،** فهل تقدر الرياح الباردة والجو القاسي أن يمنعه عن العمل؟ حتمًا لا! هكذا يليق بنا أن نتطلع إلى متاعب هذه الحياة. تُلقى الملاهي في طريقنا بواسطة الشرير، بقصد أن نَحد عن الأعمال الصالحة التي خُلقنا لكي نعملها. تطلعوا ماذا يقول المرتل: "من يخرج باكيًا..." بالحق يجد علة للبكاء، يجد كل واحدٍ منا ذلك. ومع هذا يلزمنا أن نسير، ممارسين أعمال الله الصالحة في طريقنا.

كم نكون بائسين إن كنا قد دُعينا للعمل بجديةٍ لكي نبكي فقط دون التطلع إلى أية ثمرة لعملنا. يا لنا من بائسين إن كنا لا نجد أحدًا يمسح دموعنا.

لكننا نعرف أن الروح القدس يعمل لكي نستمر في الغرس وسط دموعنا. لأن الروح يعدنا خلال المرتل **أننا نعود مندهشين بالفرح! نحمل ثمر تعبنا كتقدمة له** [1].

القدِّيس أغسطينوس

1. حياة مفرحة فائقة 1.

2. عمل إلهي مفرح 2-3.

3. ينابيع مبهجة 4-6.

1. حياة مفرحة فائقة

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

عِنْدَمَا رَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ صِهْيَوْنَ،

---

[1] *Homilies on Ps. 2.*

صِرْنَا مِثْلَ الْحَالِمِينَ [1].

إذ يبلغ المؤمنون مدينة أورشليم يحسبون أنفسهم أشبه بمن هم في حلمٍ، فلا يصدقون أنهم تحرروا من السبي، وانطلقوا إلى وطنهم أو مدينتهم السماوية أورشليم العليا أمنا.

ليس شيء يفرح قلب الإنسان مثل التحرر من سبي الخطية ليعيش في حرية مجد أولاد الله. لا سلطان للخطية ولا لإبليس عليه. يعيش كملاك الرب، كمن في حلمٍ لا سلطان للإنسان العتيق عليه، وليس للعالم أو ظروفه أن تحبس نفسه.

يحدثنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن نوعين من السبي، سبي صالح وآخر شرير. الأول كما يقول الرسول بولس: "مستأسرين كل فكرٍ إلى طاعة المسيح" (2 كو 10: 5)؛ والثاني السبي تحت سيدة قاسية وعنيفة ألا وهي الخطية: "يسبون نُفُوسيَّات محملات خطايا" (2 تي 3: 6).

❖ أسألكم أن نتجنب تسلطها بحذرٍ شديدٍ، محاربين ضدها دون أن نتصالح قط معها، وما أن نتحرر منها حتى نبقى في حرية. فوق هذا كله كما أن هذا الشعب عندما تحرر من المتوحشين صاروا في راحةٍ، **يلزمنا بالأكثر أن نفرح ونتهلل عندما نتحرر من الخطية ونحافظ على هذا الفرح الخالد عوض إفساده** وتشويهه بالانشغال في ذات الرذائل[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ انظروا من أين صرنا مسبيين، لأننا صرنا مبيعين تحت الخطية. من الذي باعنا؟ نحن أنفسنا الذين قبلنا المخادع. أيمكننا أن نبيع أنفسنا لكننا لا نقدر أن نُفدي أنفسنا. بعنا أنفسنا إذ قبلنا الخطية، ونحن نخلص بإيمان البرّ. فقد قُدم البار لكي نخلص... سفك دمًا واحدًا له، هذا الذي لم يصر بارًا، بل وُلد بارًا .

❖ **لقد فرحنا إذ ننال تعزيات** ... نحن نحزن على نصيبنا الحاضر، **ونحن في راحة بالرجاء** . عندما يعبر الحاضر عِوَض الحزن يأتي الفرح الأبدي، حيث لا نحتاج إلى تعزية، حيث لا نُصاب بأية كارثة. لذلك يقول: "**مثل**" فإنهم في راحةٍ، ويُقال عنهم إنهم ليسوا في راحة. كلمة "**مثل**" ليست دائمًا تُعني الشبه، وإنما تُشير أحيانًا إلى حالة واقعة وأحيانًا إلى شبه. هنا تُشير إلى حالة واقعة... لذلك اسلكوا في المسيح، وسبحوا فرحين، سبحوا كمن هم في تعزية، لأنه

---

[1] *On Ps. 126.*
[2] *On Ps 126 (125).*

يسير أمامكم ذاك الذي يأمركم أن تتبعوه[1].

القديس أغسطينوس

2. عمل إلهي مفرح

حِينَئِذٍ امْتَلأَتْ أَفْوَاهُنَا ضِحْكًا،
وَأَلْسِنَتُنَا تَرَنُّمًا.
حِينَئِذٍ قَالُوا بَيْنَ الأُمَمِ:
إِنَّ الرَّبَّ قَدْ عَظَّمَ الْعَمَلَ مَعَ هَؤُلاَءِ [2].

يا له من مزمورٍ بديعٍ! لقد تراءت أمامهم العودة من السبي البابلي حتى قبل حدوث السبي الذي دام سبعين عامًا. لكن هذه العودة المفرحة إلى أورشليم ليست إلا عربون للعودة إلى الوطن السماوي.

الذين عادوا إلى وطنهم من السبي، عبَّروا عن فرحهم بالترنم، فامتلأت أفواههم بالضحك الروحي المبهج، وصاروا يسبحون الله الذي بذراعه ردهم إلى أرض الوعد. كان على كورش ملك فارس ومادي – الذي يمثل الأمم – أن يعترف ويقر بيد الرب القوية وذراعه الرفيعة. هذا الذي تنبأ عنه إشعياء النبي قبل مولده بأكثر من خمسين سنة.

عادوا بهتافات الفرح ليبنوا الهيكل، ويستعيدوا أسوار المدينة. إنها عربون ما ناله على مستوى سماوي أبدي.

❖ هذا الفم يا إخوتي الذي أعطانا الرب إياه... نأخذه لكي نملأه بالفرح والتسبيح، لا بالأطعمة والشراب أو بكلام السفاهة أو شبه ذلك.

❖ هذا الفم يا إخوة الذي لنا في جسمنا كيف يُقال عنه: " **امتلأ فرحًا** " إنه يستخدم لكي يمتلئ بالطعام والشراب وغير ذلك مما يوضع في الفم... وعندما يمتلئ الفم... لا نقدر أن نتكلم. لنا فم في الداخل، أي في القلب، هذا الذي إن أصدر شرًا يُدنسنا، وإن صلاحًا يُطهرنا. عن هذا الفم تسمعون عندما يُقرأ الإنجيل... يطلب الرب طهارتنا الداخلية، التي إن اقتنيناها يحتاج الخارج أيضًا أن يتطهر يقول: "نقِّ أولاً الداخل.. لكي يكون خارجهما أيضًا نقيًا (راجع مت 23: 26) .

---

[1] *On Ps 126 (125).*
[2] *On Ps 126 (125).*

❖ احفظوا فم قلوبكم من الشر، فتكونوا أبرياء. سيكون لسان جسدك بريئًا، ويدا جسدك ستكونان بريئتين، حتى القدمان والعينان والأذنان أبرياء. كل أعضائك ستخدم في براءة، لأن القائد البار هو قلبك. "**حينئذٍ قالوا بين الأمم إن الرب قد عظم العمل مع هؤلاء**" [2].

القديس أغسطينوس

تقف الأمم في دهشة كيف تمتلئ قلوبنا فرحًا وألسنتنا تسبيحًا وسط متاعب هذه الحياة وتجاربها. إنهم يلتزمون بالشهادة أن هذا لن يكون عملاً طبيعيًا، إنما هو عمل الله فينا.

❖ تمتلئ أفواهنا فرحًا لعدم نطقنا بكلام الضجر أو الشتائم لبعضنا البعض، أو بكلام السفاهة أو الفحشاء؛ بل تمتلئ ألسنتنا تهليلاً بدراستنا كلام الله بالحكمة والشكر له، وذلك لأننا عُتقنا من بيت العبودية.

الأب أنثيموس الأورشليمي

❖ التكرار هنا لم يحدث بلا معنى، إنما ليؤكد الفرح العظيم الذي حدث. في عبارة يؤكد الفرح بين الأمم، وفي عبارةٍ أخرى الفرح العظيم الذي لديهم هم .

القديس يوحنا الذهبي الفم

عَظَّمَ الرَّبُّ الْعَمَلَ مَعَنَا،

وَصِرْنَا فَرِحِينَ [3].

إذ تقدم عبادة مقدسة للرب، يقف الذين في الخارج في دهشة أمام الفرح العظيم الذي يحل بنا.

❖ **التهليل عند التحرر من السبي ليس بالمساهمة البسيطة للتحول إلى ما هو أفضل.**

إنه يسأل من لا يفرح لهذا؟ عندما تحرر أسلافهم من مصر، وتحولوا عن العبودية الرهيبة إلى الحرية، تحت تأثير تمرمرهم الجاحد في وسط البركات التي نالوها ذاتها صاروا ساخطين وناقمين وبقوا في حزنهم. هذا لا يليق بنا، فإنهم اشتكوا، أما نحن فنفرح ونتهلل... إننا نتهلل ليس فقط لأجل التحرر من الكارثة، وإنما لأن كل واحدٍ سيتحقق من رعاية الله لنا.

---

[1] *On Ps 126 (125).*
[2] *On Ps. 126.*
[3] *On Ps. 126.*

❖ كورش نفسه كمثالٍ، الذي كانوا تحت سلطانه حررهم دون أن يسألهم أحد، لكن الله ليَّن موقفه، ولم يحررهم فقط بل وقدم لهم عطايا وهدايا (عز 1: 1-4)[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ضعوا في اعتباركم يا إخوة إن كانت صهيون لا تقول هذا اليوم بين الأمم، خلال العالم كله، لكن ألا يجري البشر إلى الكنيسة .

القديس أغسطينوس

3. ينابيع مبهجة

ارْدُدْ يَا رَبُّ سَبْيَنَا،

مِثْلَ السَّوَاقِي فِي الْجَنُوبِ [4].

إنها صرخة المرتل إلى الله، لأنه رأى أن كثيرين رغبوا في البقاء في بابل، ولم يقبلوا التحرر من سبي بابل.

بدأ المرتل المزمور بالتسبيح للرب لأنه رد سبي صهيون، فكيف يطلب الآن: "أردد يا رب سبينا"؟

قديمًا حين أصدر كورش مرسومًا بالسماح لليهود بالرجوع إلى أورشليم، رجع حوالي خمسين ألفًا فقط، واستحسن الباقون البقاء في بابل، لأنهم أقاموا مشاريع تجارية، وحسبوا الرجوع إلى أورشليم فيه خسائر مادية فادحة. لقد تهلل المرتل بالراجعين من السبي، لكنه يبقى يصرخ إلى الله حتى يرجع آخر إنسان ويتحرر!

هكذا مع تهليل نفوسنا بعمل الله معنا، لن تستريح نفوسنا حتى نرى كل البشرية تتمتع بالخلاص، وتتذوق فرح الإنجيل.

يشبه المرتل الكنيسة بالسواقي في الجنوب. فإنها تفيض بمياه النعمة الإلهية حتى تضم كل يوم الذين يخلصون، أو الذين يتحررون من سبي الخطية. كما تسبب الأمطار اندفاعًا مفاجئًا للمياه عبر القنوات الجافة الفارغة في نجب (جنوب أورشليم)، هكذا يجدد الرب حياتنا.

في العهد القديم تشير ريح الجنوب عادة إلى حرارة الروح أو عمل الروح القدس الناري، بينما تشير ريح الشمال إلى برودة الروح بالشر.

---

[1] *On Ps. 126.*
[2] *On Ps 126 (125).*

❖ هذا المزمور يعني أن السيل يتدفق بعد هبوب ريح الجنوب الدافئة، تلك إشارة إلى الروح القدس الذي يفتقده القلب المتحجر بالخطية، والذي تجمد مثل الثلج لتراكم الشرور فيه، كذا حينما يذيب الروح القدس الثلوج المتجمدة فيه تهطل الدموع عندئذ كالسيل.

القديس أغسطينوس

الَّذِينَ يَزْرَعُونَ بِالدُّمُوعِ،
يَحْصُدُونَ بِالاِبْتِهَاجِ [5].

يقف المؤمن في دهشة، يمتلئ قلبه بالفرح السماوي، فيشعر كأن السماء قد احتلت قلبه، أو ارتفع إلى السماء. وتنهار الدموع في أعماقه لتحطم الفرح أو تحجبه، بل لترويه وتغذيه. تُرى هل تحول القلب إلى سماء متهللة أم نهر دموع يسقي مدينة الله التي في داخله.

إن ضحك العالم يتعارض مع الدموع، أما الضحك الروحي، فيتناغم مع الدموع الروحية، يعملان معًا كأختين شقيقتين!

مسيحنا مصدر الفرح الحقيقي يقودنا في طريق الدموع ليعبر بنا إلى فرحه السماوي. لقد بكي على لعازر كما على أورشليم وأيضًا في بستان جثسيماني. لقد وعدنا: "ستحزنون، ولكن حزنكم سيتحول إلى فرحٍ" (يو 16: 21). هذا هو حصاد الدموع المقدسة.

كان داود يعوِّم كل ليلة سريره وبدموعه يبل فراشه (مز 51)، ويقول إرميا النبي: "يا ليت رأسي ماءً، وعينيَّ ينبوع دموع، فأبكي نهارًا وليلاً" (إر 1: 10)

يقول **القديس غريغوريوس النزينزي**: [هذه الدموع هي مجاري المياه التي تفرح مدينة الله (مز 46: 4).]

يرى **القديس أغسطينوس** أن هذه الدموع تسقي بذرة الإيمان التي في قلوبنا.

❖ يلزمنا أولاً أن نتعب ونجاهد وعندئذ نطلب الراحة. إنكم تجدون هذا يحدث في كل موضعٍ حتى في أمور هذه الحياة. لذلك يركز المرتل على هذه الأمور: الغرس ثم الحصاد. فكما أن الغارس يحتاج أن يبذل جهدًا وعرقًا ودموعًا... هكذا من يمارس الفضيلة. ليس شيء غير لائقٍ مثل التهاون بالنسبة للإنسان. لذلك جعل الله هذا الطريق ضيقًا وكربًا، ليس فقط في ممارسة الفضيلة، بل وحتى في شئون هذه الحياة، فقد جعلها متعبة، بل في الواقع أكثر من هذا. أقصد أن الغارس والبناء والمسافر والنجَّار والفنان، كل شخص في ذهنه يود أن يقتني ربحًا، يلزمه أن يتعب ويقدم جهدًا. كما تحتاج البذور إلى مطرٍ، هكذا نحتاج نحن

إلى دموعٍ، وكما أن الأرض تحتاج إلى حرثٍ وحفر هكذا تحتاج النفس إلى متاعب، عوض المجرفة التي تُعزق بها التربة، حتى لا يوجد بها أعشاب مؤذية، ويتحول جمود الأرض إلى اللين... التربة التي لا تُعامل بالتعب لا تقدم شيئًا صالحًا [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ في هذه الحياة المملوءة بالدموع، لنزرع. ماذا نزرع؟ الأعمال الصالحة. أعمال الرحمة هي بذورنا. عن أية بذور يتحدث الرسول؟ "فلا نفشل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل" (غل 6: 9)...

ليس من حقلٍ متسعٍ أكثر من المسيح، يمكننا أن نزرع فيه، هذا الذي أراد منا أن نُغرس فيه. تُربتك هي الكنيسة، اغرس فيها قدر ما تستطيع. لكن ليس لديك القدرة الكافية لتحقيق ذلك.

هل لك الإرادة الصالحة؟ فإن كل ما تفعله يُحسب كلا شيء ما لم يكن لديك الإرادة الصالحة، لا تكتئب إن كان ليس لديك ما تود أن تفعله مادام لك الإرادة الصالحة.

ما هو الذي تغرسه؟ الرحمة! وما الذي تحصده؟ السلام!

هل قالت الملائكة: "وعلى الأرض السلام للأغنياء"؟ لا، بل قالت: "على الأرض السلام للناس الذين لهم إرادة صالحة" (راجع لو 2: 14). كان لزكا إرادة صالحة، وكانت له محبة عظيمة (لو 19: 8) .

القديس أغسطينوس

❖ "وعند المساء يبيت البكاء... وفي الصباح ترنم" (مز 30: 6). تذكر أوقات الآم الرب... لتفهم ما أقول... في المساء بكى تلاميذ الرب عندما رأوه معلقًا على الصليب... وفي الصباح تعالت أصوات الفرح بعد القيامة... ركضوا في فرح يبشرون بعضهم البعض بالبشارة المفرحة... لقد رأوا الرب.

وإذ تكلمنا بصفة عامة... يشير المساء إلى الحياة في هذا العالم... فالذين يبكون... بالفرح يتعزون حينما يأتي الصباح "طوبى للحزانى، لأنهم يتعزون" (مت 5: 4) طوباكم أيها الباكون الآن، لأنكم ستضحكون" (لو 6: 21) والذين أمضوا حياتهم... التي اقتربت من

---

[1] *On Ps. 126.*
[2] *On Psalm 126 (125).*

نهايتها... واقترب غروب شمسها... يقاومون الخطية بدموعٍ... سيفرحون عندما يأتي الصباح الحقيقي... "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج" (مز 126: 5) في المستقبل[1].

القديس باسيليوس الكبير

❖ أما من جهة الطعام، فلتكن هذه هي قوانينك، إذ توجد عثرات كثيرة من جهته. فالبعض لا يبالي بما يقدم للأوثان. بينما يدرب البعض نفسه (على عدم أكله)، لكنهم في نفس الوقت يدينون من يأكلون منه. وهكذا بطرق متنوعة تتدنس نفوس البشر في أمر الأطعمة بسبب جهلهم الأسباب المعقولة النافعة للأكل أو الامتناع عنه.

فنحن نصوم ممتنعين عن الخمر واللحوم، ليس احتقارًا لهما كأشياء دنسة، بل أملاً في المكافأة. فنستهين بالأمور المادية لكي نتمتع بالوليمة الروحية العقلية، وإذ نزرع الآن بالدموع نحصد في العالم الآتي بالفرح (مز 126: 5)[2].

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ لنزرع بالدموع كي نحصد بالفرح. لنظهر أنفسنا شعب نينوى، لا شعب سدوم (تك 19: 17، 23). لنصلح شرنا حتى لا نهلك. لننصت إلى كرازة يونان لئلا تكتنفنا النار والكبريت[3].

القديس غريغوريوس النزينزي

❖ يعتقد الكثيرون أن هذه الفكرة (الواردة في ميخا 6: 3) يلزم أن تُنسب للرب يسوع، فإنها تخصه وحده، إذ لا يخشى المحاكمة. إنه ذاك الذي يغلب متى حُوكم (مز 51: 4). بالحقيقة يحاكمه الإنسان الظالم، ويدخل بإرادته في المحاكمة، إذ كُتب: "يا شعبي، ماذا صنعت بك؟ وبماذا أضجرتك" (مي 6: 3). لكن حيث أن الآب يعطي كل الحكم له (يو 5: 22)، ليس لمن هو ضعيف، بل للابن، فأي حكم يمكن أن يعاني منه؟[4]

القديس أمبروسيوس

❖ آلام الزمان الحاضر التي تحدث من أجل الحق، لا يمكن أن تُقاس بالمجد العتيد المهيأ

---

[1] مز 30.

[2] مقال 3: 27.

[3] *On His Father's silence, Oration 16: 14.*

[4] *The Prayer of Job and David, 4: 8: 29.*

للذين يجتهدون في الأعمال الصالحة (رو 8 :18). وكما إن حزم الفرح (أشبه بحزم القمح) هي من نصيب الذين يزرعون بالدموع، هكذا الفرح يتبع الذين يتألمون من أجل الله. كما أن الخبز الذي يُقتني بعرقٍ كثيرٍ يبدو حلوًا للزارع، هكذا عذبة هي الأعمال من أجل البرّ في قلوب الذين نالوا معرفة المسيح[1].

القديس مار اسحق السرياني

- ليته لا يخدع أحد نفسه يا إخوة ليس من وقت للضحك في هذا العالم. أنا أعلم أن كل أحدٍ بالحقيقة يريد أن يفرح، لكن ليس الكل يطلب الفرح في الموضع الذي يليق به[2].
- "**الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح** ". قد يقول قائل: من المجحف أن نبكي، ومن الصعب تحمل الحزن. إن قيل هذا في وسطكم، فإنكم تدركون بصبر القلب الجمال الباهر الناتج عن الحقول تمامًا. فإن تأملتم بما فيه الكفاية في هذا لبدا لكم أنه ينشئ قبحًا، لكنه يثمر فيما بعد ثمارًا كثيرة. لهذا يليق بنا أن نراعي باجتهاد ألا نذرف دموعنا على الخسائر الأرضية، بل في اشتياق إلى الحياة الأبدية[3].
- إذ نفكر في حال ضعفنا وكثرة التجارب وزحف الخطايا ومقاومة الشهوة وقوة الشهوات المدمرة التي تثور دائمًا ضد الأفكار الصالحة، نحزن على الدوام ونتأوه. حينئذ نتأهل أن نتهلل إلى الأبد في زمن الفرح والراحة والسعادة والحياة الأبدية القادمة[4].

الأب قيصريوس أسقف آرل

- حينما ترون نفسًا نُفَّلح حسنًا، فتزرع بالدموع وتستعد للحصاد بصرخات الفرح (مز 126: 5)، فإن هذا الحقل المفَّلح له ملك، اللوغوس، الذي يقود ويحكم ويملك[5].

القديس ديديموس الضرير

- بالنسبة للذين يريدون العمل لا المس ترخين، توجد الحياة السعيدة، ولا ينقصهم وجود السكون[6].

---

[1] *Ascetic Homilies, 4.*
[2] *Sermon 215:2.*
[3] *Sermon 162:2.*
[4] *Sermon 162:5.*
[5] *Commentary on Ecclesiastes 145: 2.*
[6] *Commentary on Luke, Homily 34.*

القديس كيرلس الكبير

الذَّاهِبُ ذِهَابًا بِالْبُكَاءِ،
حَامِلاً مِبْذَرَ الزَّرْعِ،
مَجِيئًا يَجِيءُ بِالتَّرَنُّمِ،
حَامِلاً حُزَمَهُ [6].

يرى **القديس أغسطينوس** في مثل السامري الصالح الذي يرمز للسيد المسيح بكونه الحارس الصالح، صورة واقعية للمؤمن الذي كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوصٍ، عروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حيّ وميت (لو 10: 30 الخ). لقد تحنن عليه السامري الصالح وصعد به إلى الفندق (غالبًا في أورشليم) واعتنى به.

يطالبنا **القديس أغسطينوس** ألا نرتبك بسبب **نزولنا** وسقوطنا بين أيدي اللصوص، فإن مسيحنا يود أن يحملنا **ويصعد بنا** إلى كنيسته المقدسة. في صعودنا معه ننسى جراحاتنا وتتهلل نفوسنا وتسبح وتشكر، وتتقدم روحيًا، وتستقر في الفندق السماوي!

❖ ليتنا لا نفشل في غرس بذورنا وسط المتاعب. فإننا وإن كنا نزرع بالدموعٍ فسنحصد بالفرح... إن كنا قد نزلنا وجُرحنا، فلنصعد (مع السامري الصالح)، ولنغنِ، ونتقدم، حتى نصل إلى الموقع (أورشليم) [1].

القديس أغسطينوس

❖ لا يكذب المسيح حينما يقول في شخص رسوله: "ما يزرعه الإنسان إياه يحصد"، وبعون الله لنسعى على الدوام أن نزرع في حقل قلوبنا بالقراءة والصلاة والأعمال الصالحة. هذه التي بما نحصد البرّ والرحمة في اليوم الآتي، يوم الدينونة. عندئذ يتحقق فينا المكتوب: "**الذاهب ذهابًا بالبكاء حاملاً مبذر الزرع مجيئًا يجيء بالترنم حاملاً حزمة** ". خلال هذا الفرح يقودكم الرب الصالح الذين مع الآب والروح القدس، هذا الذي يحيا ويملك بلا نهاية [2].

الأب قيصريوس أسقف آرل

❖ إنه لا يتحدث عن المحاصيل بل عن الحياة العادية، يعلم المستمعين إليّ ألا يحزنوا في التجارب. فكما أن الباذر لا يحزن مع وجود أثقال كثيرة، إذ يتطلع إلى جني المحاصيل،

---

[1] *On Psalm 126 (125).*
[2] *Sermon 8:5.*

هكذا الشخص الذي في التجربة لا يستثقل هذا، مهما تكن المتاعب، فإن انتظار المحصول يحفظ الذهن خاضعًا للتجارب. لنضع في ذهننا أن نشكر على التجربة كما على التحرر منها[1].

❖ هل ترون أيها الأعزاء المحبوبون عظمة المنفعة الصادرة عن التجارب التي تحل (بالبار)؟ ألا ترون عظمة مكافأة احتماله؟ ألا ترون الرجل وزوجته المتقدمين في العمر، فمع كونهما هكذا يشهدان عن إحساسهما الصالح، وشجاعتهما ومحبتهما الواحد للآخر.

ما هو مثل هذا الرباط من الحب؟ لنتمثل نحن جميعًا بهذا ولن يحل بنا اثباط الهمة أو نحسب أن حلول الضيقات علامة على ترك الله لنا أو دليل على الاستخفاف بنا. بالحري ليتنا نتعامل معها كأوضح دليل على العناية الإلهية من نحونا[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ حقًا أشرقت نعمة الله على يُوسفَ حتى في صباه. لأنه حَلَم حُلمًا: أنه بينما كان يحزم حُزمًا مع إخوته (في الحقل). قد رأى في الرؤيا أن حزمته قامت فانتصبت بينما انحنت حُزَمُ إخوته وسجدت لها (تك 37:5-8). **وهكذا استعلنت له قيامةُ المسيح العتيدة، فعندما رأوه في أورشليم، انحنى له الأحدُ عشر تلميذا وكل القديسين،** وحينما يقومون، ينحنون حاملين ثمار أعمالهم الصالحة، كما هو مكتوب "مجيئا يجيئون بالفرح (الترنم) حاملين حُزمَهم" (مز 6:126). وبالرغم من أن إخوته ازدروا بالحلم، وأنكروا واقعيته، بدافعٍ من حسدهم، إلا أنهم عبَّروا عن تفسيره له بكلامهم حينما أجابوا: "ألعلك تملك علينا ملكا؟" (تك 8:37)؛ لأن تلك الرؤيا حدَّدت الملِكَ الآتي، وقدّامه يسجد كلُ ذي جسدٍ بشريٍ بركبٍ منحنيةٍ (راجع في 10:2)[3].

القديس أمبروسيوس

من وحي المزمور 126

يا لعظم حبك يا واهب القداسة

❖ في وسط وادي الدموع،

---

[1] *On Ps. 126.*
[2] *Homilies on Genesis, 32: 24-25.*
[3] *Joseph 2:7.*

تشرق عليّ بنور حبك الفائق،
تدخل بي إلى عربون السماء،
وتحول حياتي إلى عيدٍ لا ينقطع!
تحررني في كل يومٍ من سبي الخطية،
وتطلقني لأنعم بمجد أولاد الله.

❖ تحررني من سبي إبليس،
وتنعم عليّ بسبي الفائق حبك لي.
لا تعود عيناي ترتكزان على خطاياي وضعفاتي،
إنما على أعمالك الفائقة!
صرت كمن في حلمٍ،
ليس من لغةٍ تعبر عن ما وهبتني،
فكم بالأكثر ما تعده لي في يوم مجيئك،
حين أراك وجهًا لوجهٍ!

❖ ملأت فمي ضحكًا روحيًا، ولساني تهليلاً.
بالفرح الفائق أشهد لعظمة أعمالك فيّ ومعي.
صار ليّ الفرح طعامًا يملأ فمي، ويشبع نفسي.
لم يعد ما يشغلني هو الأكل والشرب.
لأنك أنت هو الخبز النازل من السماء.
من يأكل منك لا يعرف إلا الشبع والتهليل!

❖ كلما امتلأت أعماقنا بالفرح بك،
تلتهب مشاعرنا بالشوق أن يشاركنا الكل هذا الفرح.
في بيتك نفرح بالقداسة التي تُسكب فيه،
لكن متى تتقدس البشرية كلها لك؟!

❖ وسط فرح الروح الفائق تنعم عليّ بدموع الحب.
تجري دموعي كنهرٍ يفرح مدينة الله!

تصرخ دموعي إليك:
يا من تحنو على تنهدات القلب ودموعه الخفية.
دموعي تسقي جنة قلبي الخفية،
فتحمل ثمارًا هي من عمل روحك القدوس.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

عبادة الله باني البيت وحافظه

كانت أنظار اليهود في أورشليم تتركز على هيكل سليمان بكونه بيت الرب الذي ما كان يمكن تقديم ذبيحة مقدسة مقبولة لدى الله إلا فيه. كان الهيكل هو مركز العبادة المقدسة في العهد القديم، ومركز فرح وتهليل المؤمنين. لقد اشتهى داود النبي أن يبنيه، فأخذ وعدًا من الله أن يقوم ابنه ببنائه. لكن في الحقيقة الذي قام ببنائه وحفظ مدينة أورشليم التي تعتز بالبيت هو الله نفسه.

هكذا يشتاق المؤمن أن يعمل الله فيه، فيقيم هيكلاً جديدًا في قلبه، كبيتٍ إلهيٍ سماويٍ، ليس من عملٍ بشريٍ، بل هو عمل الله خلال مؤمنيه. الرب هو باني البيت الروحي وحافظه، وهو واهب الراحة والسلام، ومعطي البنين كجبابرة بأسٍ.

يدعونا الرب إلى خبرة الحياة السماوية، فجوهر العبادة هو إقامة بيت روحي للرب في القلب، فتتحرر أرض قلبنا من اللعنة، ولا تنبت شوكًا وحسكًا، بل تصير سماءً جديدة متهللة بالرب. إنه يعمل في النفوس الجادة غير المتكاسلة ولا مهملة ولا متواكلة، لكن يبقى الرب نفسه هو العامل فينا وبنا.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الحديث هنا يكشف عما حدث عند العودة من السبي إلى أورشليم، فقد وُجدت مقاومة شديدة، واستغرق بناء الهيكل الكثير من السنوات. هذا ما أشار إليه اليهود عندما قالوا: "في ست وأربعين سنة بُني هذا الهيكل" (يو 2: 20) لم يتحدث اليهود هنا عن بنائه في أيام سليمان، وإنما في ذهن الذهبي الفم أنه عن بنائه بعد السبي، غير أن بعض الدارسين يرون الحديث هنا عن بنائه في أيام هيرودس. بني الهيكل في 46 عامًا، ويرى البعض أنه قد بدأ في أيام هيرودس حوالي عام 19/20 ق.م. فيكون قد انتهى البناء منه في حوالي 28م. ويرى آخرون أنه قد بدأ هيرودس الكبير إعادة بنائه في السنة الثامنة عشر من ملكه[1] وانتهي من العمل الرئيسي في تسع سنوات ونصف، لكن تمت إصلاحات وإضافات للمبنى استمرت إلى سنوات طويلة. بدأ هيرودس العمل في السنة ١٦ قبل ميلاد السيد، والحديث هنا في السنة الثلاثين من ميلاده. فكأن عمر المبنى القائم ٤٦ عامًا. وقد استمر

[1] *Josephus: Antiq. b.15 c.11 s.1; b.20 c.9 s.5, 7.*

البناء بعد ذلك. موضحًا بذلك البناء الأخير للهيكل لأن بناءه الأول كمل على مدى عشرين سنة. وكأنه مع بداية خدمة المسيح كان اليهود في أكثر لحظات اعتزازهم بالهيكل المبني حديثًا.

1. **الرب باني البيت وحافظ المدينة 1.**
2. **الرب واهب الراحة 2.**
3. **الرب واهب الأبناء الجبابرة 3-5.**

1. الرب باني البيت وحافظ المدينة

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ. لِسُلَيْمَانَ
إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ،
فَبَاطِلاً يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ.
إِنْ لَمْ يَحْفَظِ الرَّبُّ الْمَدِينَةَ،
فَبَاطِلاً يَسْهَرُ الْحَارِسُ [1].

تجسد كلمة الله وتأنس، لكي يحل بالإيمان في قلوبنا (أف 3: 17)، ينزع عن أرضنا الداخلية اللعنة، وعِوَض الشوك والحسك ينبت الحق (مز 85: 11). بقيامته بنى نفوسنا كهيكلٍ مقدسٍ له. ووهبنا روحه القدوس ساكنًا فينا. حقًا باني الكل هو الله (عب 3: 4)، و"نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع" (أف 2: 10).

كان اليهود يفتخرون ببناء الهيكل الذي شيده سليمان، وكان يُحسب أحد عجائب الدنيا السبع، ويراه اليهود أنه مركز الأرض كلها، مسكن الله وسط شعبه. أما ربنا يسوع فوجَّه نظرنا إلى قيامة جسده معلنًا أنه في ثلاثة أيام يقيمه (يو 2: 19-22).

لا يتجاهل ربنا يسوع تعب البنَّائين، لكنه يؤكد أنه لا يتحقق البناء بدونه. فبدون النعمة الإلهية تصير كل مجهوداتنا باطلة، وقد تكررت كلمة " **باطل**" ثلاث مرات في هذا المزمور الموجز.

الرب هو الخالق الذي وحده له القدرة على بناء بيته في أعماق قلوبنا، وبعنايته بنا يحفظنا كمدينته المقدسة، ويهبنا ثمار الروح القدس (الأولاد)، لكن ليس في حياة المستهترين والمتراخين.

بنى **قايين** مدينة باسم ابنه، وأراد البعض **بناء برج بابل** ، وأحاط أهل **أريحا** مدينتهم

بأسوار حصينة، لكن لأن كل هذه الأعمال بدون مسرة الله لم تدم. لهذا يقول المرتل: " **إن لم يحفظ الرب المدينة، فباطلاً يسهر الحراس**". المدينة هنا تشير إلى الجماعة الكنسية التي تحتاج إلى حماية إلهية من الشرور المتنوعة، والمخاطر التي تهددها، والناس الأشرار، لكن باطلاً يسهر الحارس إن لم يحرس الرب المدينة. فبمعزل عنه لا نجد عونًا ولا حماية ولا بركة.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الله سمح بالمقاومة وامتدادها لمدة طويلة لكي يدرك الراجعون أنهم محتاجون إلى معونة الله حتى بعد تحررهم من السبي البابلي.

يرى **القديس أغسطينوس** أنه كما لا يستطيع الجسد أن يعمل بدون الروح، هكذا لا يستطيع الإنسان أن يعمل بدون نعمة الله، فهو الذي يبني البيت بنا ويحرس المدينة. ويقول **القديس يوحنا كاسيان** بأن الآباء النساك الأولين يرون أن من مبادئ السيرة الروحية أنه من المُحال أن يقتني أحد نقاوة القلب أو كمال الفضيلة ما لم يؤمن أولاً بأن اجتهاده كله وأتعابه جميعها ليست بكافية فيما يطلبه، بل هي باطلة بدون معونة الله ونعمته، فهو وحده واهب الخير.

❖ مهما كنت أيها الراعي حذقًا ويقظًا في عملك، فلا يمكنك أن تنسب النجاح إلى خدمتك وإلى قوتك الشخصية واجتهادك في العمل. إذ أن الرب هو الذي يحفظ النفوس وحده، ونعمته تسهر عليها[1].

❖ "إن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً سهِرَ الحراس" (مز ١٢٧: ١)... إنَّنا نحرسكم في عملنا كوكلاء لله، لكنَّنا نحن أيضًا نود أن يحرسنا معكم.

إننا كما لو كنَّا رعاة بالنسبة لكم، لكنَّنا أيضًا في رعاية الله، إذ نحن خراف زملاء لكم.

إننا معلِّمون بالنسبة لكم، لكنَّنا بالنسبة لله فهو السيِّد الواحد، ونحن زملاء لكم في مدرسته.

إن أردنا أن يحرسنا الله الذي تـواضع من أجلنا وتمجَّد لكي يحفظنا. فلنتَّواضع نحن أيضًا. فلا يحسب أحد أنه شيء، فإنَّه ليس لأحدٍ شيء صالح ما لم يكن قد أخذه من الله الذي هو وحده صالح.

❖ هذا هو البيت الذي نبنيه بالحياة الفاضلة الحية، والذي يبنيه الله بمعاونته لنا لكي نحيا في

---

[1] *On Ps. 127 (126).*

حياة فاضلة، إذ "إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون" (مز 127: 1)[1].

القديس أغسطينوس

❖ [عن (مز 127: 1) "إن لم يبن الرب البيت"]: مثل هذه البركة قد تكون فوق حدود اختيارنا، فإن قوة الرب هي التي تضع الأساس الذي يعمله البنّاء، وهى التي تعمل معه حتى الانتهاء منه، الأمر الذي لا يقوى على تنفيذه بنفسه... ذلك مثل الزراعة التي تأتي بمحصولٍ وفيرٍ، فتحقق ما هو تحت سلطان الزارع مثل مهارته في عمله، وما هو ليس تحت سلطانه معتمدًا على العناية الإلهية مثل وجود مناخ ملائم ونزول مطرٍ كافٍ. هكذا أيضًا بالنسبة للخير الذي يسعى لأجله الإنسان العاقل، فإنه يعتمد على أعماله ومجهوداته التي يقدمها بمحض اختياره، كما على القوة الإلهية التي تؤازر من يختار الحياة الأسمى هدفًا له. فإننا في حاجة إلى اختيارنا نحن مع المؤازرة الإلهية ليس فقط في تحقيق الكرامة والصلاح، وإنما للاستمرار فيهما .

❖ لاحظوا إننا نقول بأنه ليس شيء ما يتم بدون عنايته ولم نقل بدون إرادته؛ فقد تحدث أمور كثيرة بخلاف إرادته، لكن أمرًا ما لا يتم بدون عنايته التي بها يهتم ويوزع ويقسم الأنصبة، ويمنح ويتمم كل ما يحدث[Ñ].

❖ نتعلم من هذا (مز 127: 1) أنه ليس لأن الله هو الذي يبني، يجلس الإنسان خاملاً، وأن الله يبني له البيت. وإنما لأنه يعمل ويهتم قدر إمكانياته البشرية، لكن الله يزيل كل العقبات ويتمم العمل. هكذا يدعى الإنسان للعمل قدر ما يستطيع في جديةٍ، لكن الله هو الذي يكلل العمل بالنجاح. لهذا يليق بالإنسان بحقٍ وفي تقوى أن يترك إتمام عمله لله، وليس لإنسانٍ بشريٍ آخر. على هذا بولس غرس، وأبولس سقى، والله هو الذي كان ينمي، إذ ليس الغارس شيئًا، ولا الساقي، بل الله الذي ينمي (1 كو 3: 6-7). بنفس الطريقة يمكننا القول إن هذا يعتمد لا حسب مشيئة إنسان أو جهاده إنما على مراحم الله[2].

العلامة أوريجينوس

❖ لِمَ تتألم، لأن لا بيت لنا ولا ستر ولا أناس؟ أليس من الأفضل لنا أن نسكن في باني بيتنا

---

[1] *City of God 17: 12.*
[2] *Sel. Ps. 4:6. (See Drewery).*
[3] *In Gen. hom 3:2. (See Drewery).*
[4] *Commentary on Rom 9:16.*

وبحراسة حارس بلدتنا؟ فإن لم يكن لداود موضع للراحة حتى وجده (وجد الله راحته)، فكيف نطلب نحن الراحة خارجًا عنه[1].

القديس يوحنا سابا

❖ لقد جعل الله كل مقاومة الشيطان في حدود استطاعة إرادة الإنسان وحريته، ولكنه لم يعطِ الإنسان قوة كاملة يستطيع أن يسيطر بها على انفعالاته النفسية وشهواته، لذلك قال: "**إن لم يبنِ الرب البيت، فباطلاً يتعب البناؤون، وإن لم يحفظ الرب المدينة، فباطلاً يسهر الحارسون**" (مز 127:1).

القديس أبا مقاريوس الكبير

❖ شرح الرب نفسه سبب عماده: "اسمح الآن، لأنه ينبغي لي أن أكمل كل برّ" (مت ٣: ١٥). من بين مراحمه الكثيرة بناؤه الكنيسة، فبعد الآباء والأنبياء نزل الابن الوحيد وجاء ليعتمد. هنا تظهر بوضوح الحقيقة الإلهية التي ذكرت بخصوص الكنيسة، وهي إن لم يبن الرب البيت فباطلاً تعب البناءون (مز 126: 1)، إذ لا يستطيع الإنسان أن يبني أو يحرس. "إن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً سهر الحراس". إني أتجاسر فأقول إنه لا يستطيع الإنسان أن يسلك في طريقٍ، ما لم يكن الرب معه يقوده فيه، كما هو مكتوب: "وراء الرب إلهكم تسيرون، وإياه تتقون" (تث ١٣: ٤)؛ "الرب يقود خطى الإنسان" (حك ١٢٠: ٢٤)[2].

القديس أمبروسيوس

❖ هذه الكلمات تبعث التواضع، وتستأصل الشر المستطير الذي هو الكبرياء، الذي جعل لوسيفر كوكب الصبح المنير يهوي ويسقط أرضًا[3].

القديس أوغريس

❖ لم يكن البيت الذي بناه (سليمان) مؤمنًا (أي لم يحقق الإيمان) مثل الكنيسة التي هي الهيكل الحقيقي لله، لأنها لا تتكون من حوائط، بل من قلوب المؤمنين، **أما هيكل سليمان فلأنه مبني بإيادٍ، فبالأيادي يسقط**[4].

القديس لكتانتيوس

---

[1] الرسالة السابعة والثلاثون عن الحرمان من التعزية:3 (ترجمة الرب سليم دكاش اليسوعي).

[2] *In Luc. Ch 3.*

[3] *Praktikos, Introd.*

[4] *The Divine Institutes , 4: 13.*

❖ يلزمنا أن نسأله، وله هو أن يهبنا ما نسأله إياه. علينا أن نبدأ، وهو يتمم. يليق بنا أن نقدم ما في استطاعتنا، ويتمم هو ما نعجز نحن عن أدائه. لأنه "إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون، وإن لم يحفظ الرب المدينة، فباطلاً يسهر الحراس"، يأمرنا الرسول أن نجاهد حتى ننال[1].

القديس جيروم

❖ الذين يؤمنون أن الأمور البشرية تقودها العناية الإلهية لا ينسبون شيئًا تحقق بواسطة البشر إلى مجهودهم الذاتي. "إن لم يبن الرب البيت باطلاً يتعب البناءون. وإن لم يحرس الرب المدينة باطلاً يتعب الحراس" (مز 127: 1). إنه لا يقول إنه لا يجوز لأحدٍ أن يبني، أو لأي أحدٍ أن يحرس المدينة، بل يليق بهذا أن يتذكر بأنه إن لم يعطِ الله نجاحًا للمجهود المبذول، فإن كلاً من المجهود والذين يصارعون لأجله يصيرون بلا نجاحٍ. **إنه من جانبنا لنا أن نبدأ، ولكن من جانب الله أن يهب النجاح**. نحن نبدأ نبني البيت، والله يعيننا ويكمل العمل. نحن نحرس مدينتنا، ونراعي القرار بأن نحرسها، لكن الله هو الذي يحفظها دون أن تُدمر أو تُهزم من المعتدين عليها. هذا عبَّر عنه سفر الأمثال: "فوق كل تحفظ احفظ قلبك" (أم 4: 23). مع هذا فإنك وإن كنت بنفسك تحفظ قلبك بك احتراسٍ، لكنك تقول لله: "أنت أيها الرب تحرسنا وتحفظنا" . هذا الفكر يؤكده بولس إذ يقول: "فإن ليس لمن يشاء، ولا لمن يسعى، بل لله الذي يرحم" (رو 9: 16). إنه لا يمنع الركوض نحو تحقيق أهدافنا في السعي وأن ترغب فيها، وإنما يمنعنا من أن نظن أننا نبلغها بمجهودنا الذاتي. كثيرون من الذين كان لهم هذا التوقع وُجدوا غير ناجحين في جهودهم[2].

القديس ديديموس الضرير

كيف نتمسك بالوديعة ونحفظها؟ "**بالروح القدس الساكن فينا**[Ñ]".

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [ليس في قدرة نفس بشريّة أن تحفظ أمورًا عظيمة كهذه؛ لماذا؟ لأنه يوجد لصوص كثيرون يتربصون لها، وظلمة كثيفة، وشيطان على الأبواب يدبر خططًا ضدها! كيف إذن يمكننا أن نحفظها؟ **بالروح القدس**؛ بمعنى إن كان الروح ساكنًا فينا، إن كنا لا نطرد النعمة يقف (الله) معنا. فإنه "إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب

---

[1] *Against the Pelagians , 3:1.*

[2] *Commentary on Ecclesiastes 282: 1.*

[Ñ] لدراسة سكنى الروح القدس فينا، وهل هو يهجرنا أم لا، راجع مقال: "لا تطفئوا الروح" للقديس مار فيلوكسينوس.

البناؤون، وإن لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحراس " (مز ١٢٧: ١). هذا هو حصننا، هذه هي قلعتنا. هذا هو ملجأنا! إن كان الروح ساكنًا فينا وهو حارسنا، فما الحاجة للوصية؟ لكي نتمسك بالروح، ولا نجعله يهجرنا[1].]

❖ لقد ذهب بولس إلى هنا وهناك كطائرٍ ذي أجنحة. وبفمٍ واحدٍ (بالتبشير) **حارب ضد العدو**... كان الخيام (بولس) أقوى من الشيطان... **إذ نال العربون، وحمل خاتم الزواج.** رأى كل البشر الله قد خطب طبيعتنا، ورأى الشيطان ذلك وتقهقر. **رأى العربون (الروح القدس) وارتعب منسحبًا**، رأى ملابس الرسل فهرب (أع ١٩: ١١). **يا لقوة الروح القدس. لقد أعطى سلطانًا لا للروح ولا للجسد فحسب، بل وللثوب أيضًا، وليس فقط للثوب بل وللظل**[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. الرب واهب الراحة

بَاطِلٌ هُوَ لَكُمْ أَنْ تُبَكِّرُوا إِلَى الْقِيَامِ مُؤَخِّرِينَ الْجُلُوسَ،
آكِلِينَ خُبْزَ الأَتْعَابِ.
لَكِنَّهُ يُعْطِي حَبِيبَهُ نَوْمًا [2].

يترجمها البعض: " **باطل هو أن تبكروا (قبل الفجر)** "، لذا يرى البعض أنه يليق بالمؤمن ألا يتعجل الزمن، فلا يظن أنه يتمتع بالمكافأة وسط ظلمة الحياة الزمنية، إنما يترقب **بزوغ فجر الأبدية**، حيث يتمتع بالنور الأبدي، ويرى الله وجهًا لوجه. لنسلك برجاء في إشراق الأبدية، ونتمتع بشركة المجد الأبدي في حينه.

مسيحنا **بقيامته في فجر الأحد** وهبنا الحياة المُقامة، وهبنا الراحة الحقيقية، فهو يعطي حبيبه نومًا، ليس نوم الكسل والتراخي، بل يعني بالنوم الأمان والسلام الداخلي وعدم القلق. وقد نام الابن الحبيب الوحيد على الصليب كأسدٍ غالبٍ، محطمًا قوة الشيطان. كما نام أيضًا في السفينة وسط عاصفة ليهبنا سلامه وسط عواصف هذه الحياة.

باطلاً يتعب الإنسان إن ظن أنه قادر أن يتمتع بالراحة قبل قيامة رب المجد، وإشراق شمس البرّ علينا.

---

[1] *In 2 Tim. hom 3.*
[2] *Two Sermons on Eutropius.*

لقد أراد سمعان بطرس أن يبكر قبل قيامة المسيح، قائلاً: "إني أضع نفسي عنك"، فرفض السيد ذلك وحسبه باطلاً، قائلاً له: "اذهب عني يا شيطان " (مت 16: 23).

خلق الله الإنسان محبوبه ليشاركه مجده، وليكون في سلامٍ. هكذا يدعو المرتل الإنسان "**حبيب الله**".

❖ انهضوا من بعد جلوسكم، أي قوموا من بعد موتكم... لأن الرب قام عنا (بموته)، ثم قام ليعطينا أن نقوم على مثاله. بقيامته أعطانا عزاءً وراحة[1].

❖ لم ينهض الرب قائمًا من بين الأموات إلا بعد أن أعطى أحباءه نومًا، لأن هؤلاء الذين ماتوا كانوا على الرجاء، فجاء الرب وحقق رجاءهم بقيامته، وحوَّل موتهم إلى رقادٍ (نومٍ) سوف يعقبه يقظة أبدية، وهكذا نرقد على الرجاء .

القديس أغسطينوس

❖ يمكننا أن نهرب من فخ هذا الرمح الأكثر شرًا، إذا كنا عندما نشعر بأننا أحرزنا نجاحًا أو تقدمًا في أية فضيلة نقول كلمات بولس الرسول: " **لست أنا بل نعمة الله التي معي** " "ولكن بنعمة الله أنا ما أنا" (1 كو 10:15)، و"أن الله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل مسرته" (في 13:2). يقول ينبوع خلاصنا نفسه: "الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا" (يو 5:15)، "وإن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً تعِبَ البناؤون، وإن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً يسهر الحراس، **وباطل هو لكم أن تبكروا إلى القيام**" (مز 127:1، 2)، "إذن ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذي يرحم" (رو 16:9)[2].

القديس يوحنا كاسيان

❖ عندما يعين الله، ماذا يعطي؟ يعطي نومًا عذبًا، وراحة، وحياة بلا مخاطر مملوءة أمانًا. فعندما يعطيهم نومًا يهبهم راحة. عندما يصد المهاجمين، لا يعطيهم فقط بناء المدينة، ولا حراستها، بل ينالون أكثر من هذا أن يصيروا والدين لأطفال كثيرين، وينالون بركاتً أسرية

---

[1] *On Ps. 127 (126).*
[2] *On Ps. 127 (126).*
[3] *De institutis caenoborum, Book 12:9.*

متزايدة [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. الرب واهب الأبناء الجبابرة

هُوَذَا الْبَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ،
ثَمَرَةُ الْبَطْنِ أُجْرَةٌ [3].

كان العبرانيون يحسبون البنين بركة من قِبَل الرب: "مباركة تكون ثمرة بطنك" (تث 28: 4)، "ويزيدك الرب خيرًا في ثمرة بطنك" (تث 28: 11).

إن كان البنون حسب الجسد هم هبة من قبل الرب، فبالأكثر البنون الذين يتمتعون بنعمة التبني كأبناء لله هم عطية الرب.

❖ الكنيسة أيضًا أمنا الحبيبة تلد بنين صالحين. تأملوا كيف تلد. إنها تلد بالمعمودية التي هي رحم الكنيسة لكي كل من يريد أن يُولد من جديد يدخل بطن أمه ثانية ويولد منها. هذه المعجزة لم يقدر نيقوديموس معلم إسرائيل أن يفهمها .

القديس أغسطينوس

في رسالة لتعزية السيدة سالفينا *Salvina* في انتقال رجلها، استخدم **القديس جيروم** هذه العبارة، قائلاً لها: [عوض زوج واحد، تقبلتِ طفلين، وبهذا فإن عاطفتكِ تكون أكثر موضوعية عن قبل [2]].

كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ،
هَكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيبَةِ [4].

إذ يقدم السيد المسيح روحه القدوس كسيفٍ خارج من فمه أو كسهمٍ إلهي يجعل من مؤمنيه حاملي روحه "كسهامٍ بيد جبارٍ، هكذا أبناء الشبيبة" [4].

يرى **القديس أغسطينوس** أن أبناء الشبيبة الذين هم كالسهام بيد جبارٍ، هم التلاميذ والرسل الذين صوبهم السيد المسيح حين أرسلهم مبشرين كالسهام، وشتتهم في كل الأرض. انطلقوا كأنهم قُذفوا بيد جبارٍ وهو الله. "إلى كل الأرض خرج صوتهم، وإلى أقاصي المسكونة

---

[1] *On Ps. 127.*
[2] *On Ps. 127 (126).*
[3] *Letter 79 to Salvina, 7.*

أقوالهم" (رو 10: 18). دُعوا أبناء الشبيبة، لأنهم كرزوا بروح القوة، ولم يُصبهم ضعف الشيخوخة حتى النفس الأخير، إذ كان الروح القدس يجدد مثل النسر شبابهم.

كما يرى **القديس أغسطينوس** أن هذا القدير (الجبار) الذي يطلق سهامه بيده نحو الأرض كلها هو المخلص نفسه الذي قيل عنه: "اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك، وأقاصي الأرض مُلكًا لك" (مز 2: 8)

❖ كيف يمتد هذا المُلك، ويزداد في أقاصي العالم؟ لأنه: **كسهامٍ بيد القدير (الجبار)**".

تنطلق الأسهم من القوس، وكلما كانت اليد قوية تطير الأسهم إلى أماكن أبعد. أية سهامٍ أقوى من تلك التي للرب. فمن القوس أطلق رُسله. ولم يُترك موضع لم تنطلق إليه الأسهم بيدٍ قديرةٍ كهذه، ولم تبلغ إليها. لقد بلغت إلى أقاصي الأرض... الرسل أبناء الأنبياء كانوا مثل سهام في يد القدير. إذ هو القدير، فقد صوبها بيدٍ قديرة بلغوا إلى أقاصي الأرض [1].

القديس أغسطينوس

❖ السهام مرعبة، لكن ليس في ذاتها، وإنما عندما يمسك بها إنسان قوي، يقتل بها مهاجميه، هكذا يكون هؤلاء .

القديس يوحنا الذهبي الفم

طُوبَى لِلَّذِي مَلأَ جُعْبَتَهُ مِنْهُمْ.
لاَ يَخْزُونَ بَلْ يُكَلِّمُونَ الأَعْدَاءَ فِي الْبَابِ [5].

كانت المحاكمات تُقام غالبًا عند باب المدينة. ولعله هنا يقصد باب الفردوس، كما يقول **القديس جيروم** [2]، حيث لا يُوجد ما يشتكي به العدو على المؤمنين الحقيقيين في الغردوس.

هؤلاء الذين كرزوا بروح القوة لم يخشوا المقاومة، بل كانوا يكلمون الأعداء في الباب. هذه كانت عادة الملوك الأقوياء الذين لا يخشون الأعداء، فمتى أُرسل إليهم سفراء من قِبَل الأعداء لا يسمحون لهم بالدخول من أبواب المدينة، بل يرسلون لهم من يلتقي بهم خارج باب المدينة.

---

[1] *On Psalm 127 (126).*
[2] *On Ps. 127.*
[3] *Cf. St. Jerome: Letter 118 to Julian,*

الجعبة: هي وعاء توضع فيه السهام (إش 49: 2)، يحمله رماة السهام على ظهورهم، وفتحته إلى الكتف اليمنى متى كانوا مشاة. أما إذا كانوا في مركباتهم، فكانوا يعلقونها بجانب المركبة.

يرى **القديس أغسطينوس** أن جعبة التلاميذ أو الرسل هي عقولهم المقدسة، والسهام هي كلمة الله، أما الأعداء فهم أعمال إبليس الشريرة والمقاومة لكلمة الله. كما يرى أن الذي يملأ جعبته أو رغبته منهم، هم الذين لا يشتهون العالم وغناه، وإنما يشتهون الإيمان الحي الذي يكرز به الرسل. أما الباب هنا فهو السيد المسيح الذي قال: "أنا هو الباب" (يو 10: 9)، الذين يقبلون كرازة الرسل يدخلون منه إلى المدينة، أما الذين يرفضون كرازتهم به فيبقون خارج المدينة، حتى يُغلق الباب.

يرى **الأب أنسيمُس الأورشليمي** أنه لا يليق بالمؤمن أن يسمح للأعداء، أي الأفكار الشريرة، أن تدخل إلى مدينته أي فكره أو قلبه، بل يقاومها قبل أن تتسلل إلى أعماقه.

❖ يرى الجامعة أن الثروات تُحفظ للشر بالنسبة لمن يقتنيها، لأن فقدانها يسبب له قلقًا عظيمًا للغاية وعدم سلام. بالحقيقة إنها تُفقد، لأنها تُترك هنا، وتصير بلا نفع للذي هو ميت. لهذا فإن الإنسان الميت قد شعر بقلقٍ من جهتها ولم يجد راحة. لقد ترك ما قد يسبب له خزيًا، ولا يقدر أن يأخذ معه ما لم يقدر أن يحفظه (لو 12: 20-21). إنه بعيد للغاية من ذاك الذي كُتب عنه: "**طوبي للذي ملأ جعبته منهم. لا يخزون، بل يكلمون الأعداء في الباب**" (مز 127: 5). ميراثه هو الرب، مكافأته هي نسل العذراء مريم، وهو يُمجد بالتسابيح الصادرة عن الحكمة[1].

القديس أمبروسيوس

❖ "**طوبى للذين يملأون جعبتهم منهم**"، بمعنى هذه هي المزايا التي لهم: قوة الجسد، ومهابة لا تُقاوم، وبركات عائلية، وأمان، وجمال المدينة، ونصرة، ونُصب تذكارية في الحرب. لهذا يعلن أيضًا طوبى لأولئك الذين يتمتعون بهذا الخير (الوفرة)، فإنهم يتسلحون ... إنهم لا يخفون وجوههم عن بصيرة أعدائهم، بل يذهبون للِّقاء معهم في شجاعة عظيمة بمظهرٍ سامٍ، وثقةٍ في تنظيم المعركة، لأن الله يؤكد مساعدتهم في كل هذه الطرق[2].

---

[1] *The Prayer of Job and David 2: 4: 12.*
[2] *On Ps. 127.*

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 127

لتقم هيكلك في محبوبك!

❖ من كان يظن أن هيكل سليمان بكل عظمته يُهدم؟
لكن ما يُبنى بالأيادي، بالأيادي البشرية يُهدم،
أما ما يبنيه رب الجنود،
فيتحدى الزمن، ويخلد إلى الأبد.
لتمد يدك، وتقيم هيكلك فيّ.
فلا يقدر عدو أن يقترب إليه،
ولا الزمن أن يحطمه.

❖ نزلت يا مخلصي إلى أرضنا.
لا لتردنا إلى جنة عدن المفقودة،
بل تقيم منا جنة روحية سماوية.
بروحك القدوس تقيم منا هيكلاً مقدسًا.
فيُسمع في داخلنا صوت الفرح والتهليل.

❖ ليحرسني روحك الناري،
ويقودني إلى ملكوتك الأبدي،
تدخل أيها المحبوب في قلبي العزيز جدًا لديك،
تقيم فيه وتستريح،
إذ تستريح أستريح أنا أيضًا بك وفيك،
تعطي حبيبك نوم الراحة الأبدية.

❖ بقيامتك حطمت الموت، ووهبتنا الحياة المُقامة.
جعلتنا أحباء لك، تهبنا الراحة الحقيقية.
صارت حياتنا سبتًا لا ينقطع.
مادمت في داخلنا، يحل سلامك علينا وفينا!

❖ أنت باني البيت وحارس المدينة.
نعمتك تعمل فينا وتحوط حولنا.
تصير كسور نارٍ، لا تقدر سهام العدو أن تخترقه.

❖ وهبتنا ثمر الروح كبنينٍ مباركينٍ،
أقمت منا شهودًا لك نجتذب نفوسًا إليك.
ويتذوق الكثيرون عذوبة البنوة لك.

❖ سكناك تحول بريتي إلى جنة مثمرة.
تمتلئ حبًا وفرحًا وسلامًا وصلاحًا.
يمتلئ قلبي كما عقلي بسهامك الجبارة.
تصير كلمتك الفعّالة قائمة في داخلي.
فلا يجرؤ عدو الخير أن يقرع باب قلبي!

❖ يقف إبليس وكل قوات الظلمة في خزي،
إذ لا موضع لهم فينا في حضورك، يا أيها القدوس!
لأنك وأنت الغيور مقيم فيّ!

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

عبادة الأسرة المباركة

في المزمور السابق تطلع المرتل إلى بيت الرب، فانجذب إلى الرب باني البيت المقدس، وحافظ مدينته المقدسة، واهب الراحة الحقيقية لأحبائه مع ثمار فائقة. الآن يتطلع المرتل إلى المتعبدين للرب أنفسهم، فيراهم أسرة واحدة ذات سمات معينة، تمارس حياة مطوَّبة، أي لها سمة سماوية.

في هذا المزمور تتهلل نفس المؤمن مسبحًا الله، الذي أقام أسرة بهذه الصورة الشبه سماوية، وفي نفس الوقت يتمتع المؤمن نفسه بأسرة مقدسة في الرب.

هنا يقدم المرتل وصفًا رائعًا للأسرة السعيدة التي تقوم على خوف الرب، ومن ثم تسلك في سيرة صالحة، في طريق الرب. هنا يتمتع المؤمن بما حققه من عمله وثماره فيكون على صورة سيده ومخلصه رب أسرة متهللة وهو نفسه مطوب ومغبوط.

يصير المؤمن أشبه بالسيد المسيح الذي له عروسه الكنيسة تكرمه تحمل أغصانًا مثمرة (أي أولادها). هذا بالنسبة للرجل كما المرأة حيث يصير الكل كنيسة صغيرة مقدسة مملوءة من ثمر الروح.

1. أعضاء الأسرة المطوّبة 1.

2. أسرة عاملة 2.

3. أسرة مثمرة 3-4.

4. حياة كنسية سماوية 5.

5. حياة ممتدة مملوءة سلامًا 6.

1. أعضاء الأسرة المطوّبة

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ،

وَيَسْلُكُ فِي طُرُقِهِ [1].

يصعب جدًا ترجمة كلمة "**طوبى**"، فإنها لا تعني مجرد: "يا لسعادة"، وإنما تعني تذوق عربون الحياة السماوية المطوَّبة، التي تقدم فرحًا داخليًا، وسلامًا فائقًا، لا يعتمد على عطايا أو

إمكانيات زمنية، بل على الدخول في دائرة الأبدية.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن كلمة "**مطوّب**" فيها كل الكفاية، لأنها تمثل حالاً مستقرًا، أما **العطايا الأخرى**، أيا كانت من غنى أو كرامة أو كثرة الإنجاب الخ.، فجميعها يمكن أن تزول. من جانب آخر كان يوسف الشاب مطوبًا تحت كل الظروف، حينما بيع وصار غريبًا، كما صار عبدًا ثم سجينًا. هذه جميعها لم تفقد سمة الطوبى، إذ كان يتقي الله، يسلك في طرق الله. فلا يكفي الإيمان وحده دون مخافة الرب والسلوك في وصاياه.

سمة أعضاء هذه الأسرة مخافة الرب أو ما ندعوه بالتقوى، وهي سمة تمس الأعماق الداخلية، حيث يدرك المؤمن بنوته لله، فيحمل نوعًا من مخافة الابن أو الابنة نحو الأب المحبوب جدًا. هذه المخافة تُترجم خلال السلوك العملي والطاعة للوصية الإلهية.

علامة مخافة الرب أن يسلك المؤمن في طرق الرب. وكما قيل: "قفوا على الطرق، واسألوا عن السبل القديمة: أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه" (إر 6:16) فمع كثرة الطرق أو السبل المستقيمة يحمل الكل روحًا واحدًا، فتدعى جميعها "الطريق الواحد الصالح" إذ هي إتحاد في المسيح "**الطريق**" الواحد.

لكن المسيح الواحد وهو طريقنا للدخول إلى حضن الآب قدم طرقًا كثيرة للحياة معه، فيستطيع الإنسان التقي المتزوج أن يتمتع به، وأيضًا البتول. كما أن لكل مؤمنٍ موهبة خاصة، هذا في التعليم، وذاك في العطاء، وثالث في الصلوات الدائمة الخ.

بقوله "**كل**" يرى المرتل بعين النبوة ما تحقق في العهد الجديد حيث انفتح باب الإيمان لكل الأمم، فالدعوة موجهة للجميع كي يقبلوا السيد المسيح واهب المخافة الربانية، وحاملنا في الطريق السماوي.

بقوله "**الكل**" يفتح الباب لكل إنسانٍ، بغض النظر عن مركزه أو إمكانياته أو عمره أو ظروفه الاجتماعية. فالله محب كل البشر، يود أن يضم كل إنسانٍ إلى هذه الأسرة الممتدة من آدم إلى آخر الدهور.

❖ الشخص الذي يخاف الله هو متحرر من هجمات الموجات العظيمة، ويستريح في هدوءٍ، في ميناءٍ آمنٍ، يحصد مكافآت التطويب الحقيقي. لهذا فإن الكاتب الملهم بوحي إلهي تجاهل كل هذه الأمور الأخرى ليعلن فقط أنه مطوّب.

❖ لاحظوا أنه يبدأ هنا من حيث انتهى هناك (في المزمور السابق)، إذ يعلن أنهم مطوبون في

هذه النقطة حيث لا يخزون، لأن الله حليف لهم، يقف في جانبهم، هكذا يبدأ هنا أيضًا بهذا بالقول: "**طوبى لكل من يتقي (يخاف) الرب** ". مرة أخرى يضع ملاحظاته في تطبيقه العملي، مبتدأ بأن "الكل حسن". إن كنت عبدًا، سيدًا، فقيرًا، مقعدًا، أيا كان حالك، ليس شيء من هذه الظروف يحرمك من الطوباوية المُشار إليها [1].

❖ كثيرون لهم إيمان حقيقي لكن حياتهم فاسدة، وهم بالأكثر بائسون أكثر من كل أحدٍ .

❖ "**يسلك في طرقه** "... بهذا الطريق في الحقيقة يمكنه أن يرتفع إلى السماء، ويقتني المدينة الأم، ويرى الله نفسه قدر ما يمكن للإنسان أن يراه. هذه تدعى طُرق الله، لأن خلالها يمكن البلوغ إلى الله.

لم يقل "طريق" بل "طرق" مظهرًا أنها كثيرة ومتنوعة. جعلها كثيرة بقصد أن يجعل اقترابنا سهلاً بطرق كثيرة عظيمة، أقصد أن البعض بارزون في البتولية، وآخرون في السمو في الحياة الزوجية، وآخرون يحتملون الترمل كزينة لهم، وآخرون يجردون أنفسهم من كل شيءٍ، وآخرون من نصف الأمور، وآخرون يسلكون حياة بلا لوم (عادية)، وآخرون بالتوبة، جعل هناك طرق كثيرة حتى يمكن السفر بسهولة...

احتمل هذا كله بشكرٍ، فتحصد مكافأة عظيمة[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ يلخص لنا الكتاب المقدس رغباتنا الحرة في درجات مختلفة من الكمال، حسب حالة كل ذهنٍ وقياسه، لأنه لا يُتوج كل البشر بتاجٍ موحد من الكمال، إذ ليس للكل نفس الفضيلة ولا نفس الهدف أو الغيرة. هكذا أشارت الكلمة الإلهية بطريق ما إلى درجات الكمال المختلفة وقياساته المتنوعة...

طبقًا لهذا المبدأ يمدح الكتاب المقدس من يخاف الله قائلاً: "طوبى لكل مَن يتَّقى (يخاف) الرب، ويسلك في طرقهِ" (مز 128:1)، واعدًا إياهم بسعادة سماوية. ومع هذا يرجع فيقول: "لا خوفَ في المحبَّة، بل المحبَّة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج، لأن الخوف له عذاب، وأما من خاف فلم يتكمَّل في المحبَّة" (1 يو4:18).

مرة أخرى بالرغم من أن عبادة الله بخوفٍ شيء عظيم وقد قيل: "اعبدوا الربَّ بخوفٍ"

---

[1] *On Ps. 128.*
[2] *On Ps. 128.*
[3] *On Ps. 128.*

(مز 11:2)، و"طوبى لذلك العبد الذي إذا جاءَ سيّدهُ يجدهُ يفعل هكذا" (مت 46:24)، إلا أنه قيل للرسل: "لا أعود أسمّيكم عبيدًا، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيدهُ، لكني قد سمَّيتكم أحبَّاءَ، لأني أَعلمتكم بكلّ ما سمعتهُ من أبـي" (يو 15:15). مرة أخرى يقول: "أنتم أحبَّائي إن فعلتم ما أوصيكم بهِ" (يو 14:15).

ترون إذن أن هناك درجات مختلفة من الكمال، وأن الرب يدعونا من الأشياء السامية إلى الأسمى بطريقة تجعل ذاك الذي صار مطوبًا وكاملاً في مخافة الله يسير كما هو مكتوب من قوَّةٍ إلى قوَّةٍ (مز 7:84)، أي من كمالٍ إلى آخر. **بمعنى أن يصعد بغيرة الروح من الخوف إلى الرجاء، وأخيرًا إلى المحبة التي هي آخر مرحلة.** فهذا الذي كان "العبد الأمين الحكيم" (مت 45:24)، يبلغ إلى مرحلة الصداقة ثم التبني كابن.

من ثم يمكن فهم كلامنا بالمعنى التالي: إننا لا نقول إن الخوف من العقوبة المنتظرة أو رجاء الجزاء المبارك الذي وعد به القديسين ليس بذي قيمة، لكن وإن كان هذا نافعًا، إذ يدفع أولئك الذين يتبعونها للتقدم خطوة مباركة، إلا أنه في المحبة ثقة كاملة وفرح دائم، تبعدهم عن خوف العبيد ورجاء الأجير إلى محبة الله، وتجعلهم أبناء وتنقلهم من كمالٍ إلى كمالٍ أعظم[1].

الأب شيريمون

كثيرًا ما يكرر **القديس أغسطينوس** في تفسيره لسفر المزامير، خاصة مزامير المصاعد أن المرتل تارة يستخدم صيغة الجمع وأخرى صيغة المفرد، وفي كلتا الحالتين يتحدث عن الكنيسة التي تضم الكثيرين، وفي نفس الوقت هي جسد واحد للرأس الواحد، ربنا يسوع.

❖ عندما أتحدث عن المسيحيين بصيغة الجمع أنهم واحد في المسيح الواحد. أنتم كثيرون ومع ذلك أنتم واحد. نحن كثيرون، ولكننا نحن واحد... لأننا نلتصق بالواحد، كأعضاء له، وإذ رأسنا في السماء، يمكن لأعضائه أن تتبعه... ليتنا نحن جميعًا الملتصقون بجسد المسيح نسلك في طرق الرب[2].

القديس أغسطينوس

❖ كما أن مصباحًا يضيء حجرة مظلمة، هكذا مخافة الرب إذ تخترق قلب إنسان تنيره،

---

[1] *Cassian, Conferences 11:12.*
[2] *On Psalm 128 (127).*

معلِّمة إياه كل الفضائل ووصايا الله.

أحد آباء البرية

❖ خوف الرب يحث النفس على حفظ الوصايا، وعن طريق حفظ الوصايا يُشيد منزل النفس.

❖ ليتنا نخاف الرب ونُشيد منازل لأنفسنا، حتى نجد مأوى في الشتاء حيث المطر والرعد، لأن من لا منزل له يعاني من مخاطرٍ عظيمةٍ في وقت الشتاء.

الأب دوروثيؤس

2. أسرة عاملة

لأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ.

طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لَكَ [2].

جاءت في الترجمة السبعينية: " **ستأكل ثمار أتعابك** "، وكلمة أتعاب هنا تعني أعمال الإنسان، فإن ما يزرعه إياه يحصد (غل 6: 7).

❖ في الوقت الحاضر لنا أتعاب، أما الثمار فستأتي فيما بعد. ولما كانت الأتعاب نفسها ليست بدون فرحٍ، وذلك من أجل الرجاء، الذي تحدثنا عنه منذ قليل. "فرحين في الرجاء" (رو 12: 12)، هذه الأتعاب عينها حاليًا تبهجنا، وتجعلنا فرحين في الرجاء... يوجد فارق بين الرجاء وتحقيقه. إن كان الرجاء عذبًا هكذا، فكم بالأكثر يكون تحقيقه أكثر عذوبة؟ [1]

القديس أغسطينوس

❖ لماذا يضاعف البركة؟ لأنه يعرف عظمتها لهذا يجد مرحًا في الحقيقة .

❖ "**من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فسادًا، ومن يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية** " **(غل 6: 8)**... من يزرع في الجسد عهارة وسكرًا وشهوة بلا ضابط، يحصد ثمار هذه الأمور. ما هي ثمارها؟ عقوبة وجزاء وخز ي وهزء وتحطيم ... أما ثمار الروح فه ي مضادة لذلك تمامًا.

تأمل، هل بذرت صدقات؟ كنوز السماء ومجد أبد ي تنتظرك! هل بذرت الاعتدال؟ تنتظرك الكرامة والمكافأة وتهليل الملائكة وإكليل من قبل الديان [3].

---

[1] *On Psalm 128 (127).*
[2] *On Ps. 128.*
[3] *In Galat., Chapter 6.*

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ تأمل الأسلوب الأرثوذكسي في المعركة وقدر إنجازات المعارك الروحية، كيف أن المناضل المسيحي وقد انتصر على جسده الثائر ووضعه تحت وطأة قدميه يُحمل إلى الأمام كمنتصرٍ في الأعالي. ولذلك فإنه لا يركض كأنه عن غير يقين، لأنه يثق بدخوله توًا إلى المدينة المقدسة، أورشليم السمائية[آ].

القديس يوحنا كاسيان

❖ نحن الذين وُهب لنا الحياة الأبدية ، نصنع الأعمال الصالحة، لا لأجل الجزاء، بل لحفظ النقاوة التي وُهبت لنا[ب].

القديس مرقس الناسك

3. أسرة مثمرة

امْرَأَتُكَ مِثْلُ كَرْمَةٍ مُثْمِرَةٍ فِي جَوَانِبِ بَيْتِكَ.
بَنُوكَ مِثْلُ غُرُوسِ الزَّيْتُونِ حَوْلَ مَائِدَتِكَ [3].

يشبه المرتل الإنسان المؤمن في أسرته المقدسة بغروس الزيتون الصغيرة المحيطة بالشجرة الأصل. فشجرة الزيتون تنتج ثمارًا طيلة خمسين عامًا تقريبًا، وتنبت أشبه بشجيرات أو فروع عند الجذر تحيط بها فتعينها وتزيد تماسكها وإنتاجها. ففي وقت الأزهار تمتلئ الشجرة بالزهر الأبيض، فتصير كرجل أشيب الشعر وتحيط حولها الأشجار الصغيرة. صورة جميلة جذابة للمؤمن، وقد أحاط حوله أولاده يسندونه ويعملون معه، ويعينون والديهم في عمرهم المتقدم[ب].

يقول **القديس جيروم** يجب أن تفهم الزوجة والأبناء روحيًا، وإلا نتوهم أن الملائكة لا ينعمون بمثل هذه البركات، لأن ليس لهم زوجات ولا أبناء. فمن هي الزوجة الروحية؟ لقد تاق سليمان أن تكون له الحكمة زوجة (أم 4: 6، 8).

❖ فلنتخذها نحن أيضًا زوجة لنا، ولنحتضنها (جا 2:8). لا ندعها تفارق أحضاننا، ولا تهرب من بين أذرعنا. فإن تلك العروس دائمًا في حضننا، فسننجب منها أبناء... أعني ما يقوله

[آ] القديس يوحنا كاسيان: المؤسسات لنظام الشركة، 5، النهم 18.
للمؤلف: الفيلوكاليا، 1966، ص 136.

[3] *Boyd's Bible Handbook , 241.*

هنا: "بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك"... فالذي يتخذ الحكمة زوجة له ينجب منها أولادًا...

كما تحمل الكرمة عناقيد كثيرة ولها جذر واحد، تضرب بأغصانها في اتساعٍ وازدهارٍ... هكذا الحكمة التي هي زوجتنا، إن لم ندعها تتركنا ولا تولد فينا عناقيد كثيرة أي فضائل عدة، وإرادة قوية مقدسة وأعمال شريفة كثيرة[1].

❖ من طبيعة زيت الزيتون أن يحفظ الأطعمة، ويشعل اللهب وينعش الجسم ويجدده بعد رحلة طويلة مرهقة، ويصلح ما فسد ويجدد ما قد تهلهل، فيرد الأصل عمليًا إلى ما كان عليه بعد دهنه بالزيت[2].

القديس جيروم

❖ امرأته هنا قيلت بخصوص المسيح، وهي الكنيسة. امرأته هي نحن "مثل كرمة مثمرة"[3].

القديس أغسطينوس

❖ في عبارات كثيرة للتعليم الإلهي... يشار إلى النساء من الجانب الإيجابي كما من الجانب السلبي. كمثال قيل... "امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك، بنوك مثل غروس الزيتون" (مز 128: 3)... من الجانب السلبي يُقال: "لأن شفتي المرأة الشريرة تقطران عسلاً، وخدها أنعم من الزيت. لكن عاقبتها مُرة كالأفسنتين" (أم 5: 4)[4].

القديس ديديموس الضرير

❖ دعنا نستمع ما تقوله الكرمة المزدهرة عن ثمارها، الكرمة الموضوعة في جوانب بيت الله، التي يقول النبي إنها مثمرة (مز 128: 3).

إن الحياة الطاهرة الإلهية تمتزج بالحب. "**طاقة فاغرة حبيبي في كروم عين جدي**".

من هو هذا المبارك هكذا؟ بل بالحري من ذا الذي يسمو فوق كل بركة حتى أنه إذا ما نظر إلى ثمرته يرى في كرمه أي في نفسه الداخلية رب الكرمة؟ لاحظ كيف نمت العروس حتى أفاح ناردينها رائحة العريس الذكية. لقد جعلت منه مرًا نقيًا، ووضعت هذا العطر في صُرَّة، وخبَّأته في قلبها حتى لا تفارقها عذوبته ولا تفقدها أبدًا، وهكذا قد صارت

---

[1] *Homily 42 on Psalms.*
[2] *Homily 42 on Psalms.*
[3] *On Psalm 128 (127).*
[4] *Commentary on Ecclesiastes 227: 7.*

العروس أُمًا لعنقود العنب المقدس الذي أزهر ، أي الذي أزدهر وقت آلام الرب وأثناء هذه الآلام سكب عصيره. الخمر الذي يفرح القلب (مز 103: 15) يسمى دم العنب بعد الآلام[آ].

❖ سمع الكرام بإهتمام إلى الأوامر الإلهية مثل المرأة التي قال عنها داود، "امرأتك مثل كرمة مثمرة" (مز 128: 3). إنها رأت نفسها بعيدة عن القوة المدمرة لهذه الوحوش بواسطة قوة من أمرها ، وفي الحال وهبت نفسها لراعيها الذي أزال الحائط الحاجز. فلا يحجز حائط الوصايا الاتحاد بينها وبين الواحد الذي ترغبه. وهي تقول: "**أنا لحبيبي وحبيبي لي، الراعي بين السَوْسن. إلى أن يفيء النهار، وتنهزم الظلال أرجع وأشبه يا حبيبي الظبيْ أو غفر الأيائل على الجبال المشبعة**" (نش 2: 17)، أي أنها عرفته وجهًا لوجه، الواحد الذي يعيش منذ الأزل، ومن أجل خلاصي جاء في صورة إنسان إني أستريح فيه و أسكن. لأنه هو الراعي الصالح الذي يرعى غنمه ليس بالعُشب بل بالنرجس النقي.

حقيقة إنهم لا يتغذون على العشب، فالعشب هو الغذاء الصحيح للحيوانات الغير عاقلة، ولكن الإنسان عاقل ويتغذَّى على الكلمة الحقيقي. أما إذا اكتفى الإنسان بالعشب، فسوف يتحول إلى عشب "كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل" (إش 40: 6)، طالما هو جسد. أما إذا تحول الشخص إلى روح وولد من الروح، فلا يتغذى بعد ذلك على العشب، بل يتغذى على الروح ، التي ترمز إليها بنقاء النرجس ورائحته الذكية. وسيتحول إلى نرجسة نقية وعَطرة ، فلقد تغيّر حسب المادة الطيبة التي يأكلها. هذا هو اليوم الذي أرسل فيه أشعته إلى الأ رلم... وبواسطة نوره تختفي ظلال الحياة. ويُسرع هؤلاء الذين لم تُضأ عيون نفوسهم بواسطة نور الحق، وراء تلك الظلال. وهم يعتبرون الظلال، الباطلة كأنها حقيقة بينما ينظرون إلى الحق على أنه غير موجود. ولكن هؤلاء الذين تغذوا على النرجس، أي الذين نمت وترعرعت نفوسهم على تغذية عطرهونقائه، قد خلَّصوا أنفسهم من كل مظاهر الظلال والخداع التي يسعى الناس إليها أثناء هذه الحياة. لقد أصبحوا أولاد النور والنهار، وسوف يتعرفون على المادة الحقيقية للأشياء[ب].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

[آ] عظة 3 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.

[ب] عظة 5 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.

❖ الحقل مملوء بالزهور. إنه مملوء بثمار متنوعةٍ. لتحرث حقلك إن أردت أن تُرسل إلى ملكوت الله. دع حقلك يزهر، ويثمر بالمكافاءات الصالحة. لتوجد كرمة مثمرة على جوانب بيتك وغروس زيتون حول مائدتك (مز 128: 3). لتدرك خصوبتها، **دع نفسك يغرسها كلمة الله، ويحرسها مزارع روحي.** قل للمسيح: "تعال يا أخي، لنخرج إلى الحقل" (راجع نش 7: 11). دعه يجيب: "دخلت جنتي يا أختي العروس، قطفت مري" (نش 5: 1). أي شيء أفضل من قطف الإيمان الذي به تُخزن ثمرة القيامة ونبع الفرح الأبدي يتدفق؟[1].

القديس أمبروسيوس

يُدهن المعمد حديثًا بمسحة الميرون، فليس من حق الطفل فقط في العائلة المسيحية أن ينعم بالانضمام إلى جسد السيد المسيح المصلوب والمقدم للإنسانية كلها، وإنما من حق الكنيسة أيضًا أن تضم إلى شركتها في الرب جماعة الأطفال كجزء حيّ وأساسي في الجماعة، فيتحقق فيها قول المرتل: "امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك" (مز 128: 3).

إن كنا نفرح بولادتهم الجسدية ، فنقدم للرب تسبحة شكر لأجل هذه العطية ، فكم بالأحرى تتهلل الكنيسة الجامعة وكنيسة البيت بضمهم خلال الولادة الروحية؟!

هَكَذَا يُبَارَكُ الرَّجُلُ الْمُتَّقِي الرَّبَّ [4].

❖ تحيا الفضيلة مع الإنسان الحكيم في اتحاد شرعي، حتى يمكن أن يلد منها ذرية مقدسة. ففي الحقيقة تلد الحكمة رجل تمييز (أم 10: 23). الإنسان الورع والمقدَّس يوجه إليه في الكتاب المقدس الكلمات: "امرأتك مثل كرمة مخصبة... بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك. هكذا يُبارك الرجل المتقي الرب" (مز 128: 3-4)[2].

القديس ديديموس الضرير

4. حياة كنسية سماوية

يُبَارِكُكَ الرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ،
وَتُبْصِرُ خَيْرَ أُورُشَلِيمَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ [5].

إذ يختبر المؤمن عضويته في الأسرة السماوية، لا يقدر العالم بكل أحزانه ومتاعبه أن

---

[1] *Exposition of Luke 8: 43.*
[2] *On Genesis, 235.*

ينزع عنه بركات الرب وصلاحه، بل تبقى مراحمه جديدة في كل صباح.

5. حياة ممتدة مملوءة سلامًا

وَتَرَى بَنِي بَنِيكَ.

سَلاَمٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ [6].

❖ إن كنتم قد تعلمتم شيئًا من عظتي أكون قد اعتنيت بأبنائي، وإن كنت قد علمت آخرين، فلنصلِ إلى الرب ليكون لنا أبناء وأحفاد، وأن تكون ذريتنا وفيرة. فلنسرع لننجب مثل هؤلاء الأبناء، فهذا اتحاد مقدس. وأنني أخبركم بما هو غريب، أن يولد مثل هؤلاء الأبناء بدون زوجة[1].

القديس جيروم

من وحي المزمور 128

عجيب أنت في حبك للأسرة البشرية

❖ أعطت البشرية ظهرها لك،
وحملت فيها روح العداوة لك، والتغرب عنك،
حسبت وصيتك قيدًا،
والحياة معك حرمانًا!

❖ ونحن أعداء، نزلت يا مخلصي لمصالحتنا.
حملتنا فيك كطريقٍ عجيبٍ يحملنا إلى السماء.
صيرتنا أسرة متهللة نمارس الحياة السماوية.
عوض اللعنة التي حلت بنا، صرنا بك مطوبين.

❖ حولت تعب العمل إلى العذوبة.
وقدمت لنا خيرات من عندك يا إلهي.
قدمت لنا الحكمة السماوية قرينةً لنا،
تملأ جوانب البيت بثمار الروح العجيبة.

---

[1] *Homily 42 on Psalms.*

❖ وهبتنا بنين مولودين لا من الجسد،
بل بالروح، صاروا مغروسين في بيتك.
قدمت لنا أبناء للبنين،
وتبقى الأسرة ممتدة إلى يوم مجيئك.
لك المجد يا من أقمت من المؤمنين أسرة مطوّبة.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالتَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

مع المسيح صُلبت

تبدأ المجموعة الرابعة من مزامير المصاعد، وهي تقابل سفر العدد حيث ينطلق الشعب في البرية متجهًا نحو كنعان. وقد التزمت المحلة أن تسير في شكل صليب، حيث تتشكل الأسباط كل ثلاثة معًا في اتجاه (الشرق والغرب والشمال والجنوب)، بينما يسير موسى وهرون وعشائر اللاويين في المنتصف أيضًا على شكل صليب. وكأنه لا عبور إلى أرض الموعد، رمز السماء بدون الصلب مع السيد المسيح.

1. الكنيسة المصلوبة 1-2.

2. المسيح المصلوب 3.

3. عشب السطوح 4-8.

1. الكنيسة المصلوبة

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

كَثِيرًا مَا ضَايَقُونِي مُنْذُ شَبَابِي.

لِيَقُلْ إِسْرَائِيلُ: [1]

منذ نشأت الكنيسة وهي تعاني من الضيق، أو بمعنى أدق يُوهب لها الضيق، الذي بدونه لا تقدر أن تتمتع ببهجة القيامة وبلوغ المجد الأبدي.

يسرد لنا **القديس أغسطينوس** كيف احتملت الكنيسة منذ شبابها الضيق، فقدم لنا أمثلة حية مثل هابيل ونوح والشعب قديمًا. ويرى الأنبياء في الشعب الخارج من أرض مصر الكنيسة في شبابها، كما جاء في إرميا وحزقيال: "قد ذكرت لكِ غيرة صباكِ، محبة خطيبكِ، ذهابك ورائي في البرية في أرض غير مزروعة" (إر 2: 2). "أما ميلادك يوم وُلدتِ فلم تُقطع سرتكِ، ولم تقمطي تقميطًا، لم تشفق عليكِ عين" (حز 16: 4-5).

❖ تتحدث الكنيسة عن أولئك الذين احتملتهم، وكأنها قد سُئلت: "هل هذا يحدث الآن؟" تألمت الكنيسة منذ مولدها القديم، منذ دُعيت، منذ كانت على الأرض.

ففي وقتٍ ما كانت الكنيسة في **هابيل** وحده، وقد حاربه أخوه الشرير الضائع قايين (تك 4: 8).

وفي وقتٍ آخر كانت في **أخنوخ** وحده، ونُقِل من أجل برِّه (تك 5: 24)،

وفي وقتٍ كانت الكنيسة في بيت نوح وحده واحتمل كل الذين هلكوا في الطوفان، والفلك وحده طفا على الأمواج، وهرب إلى الشاطئ (تك 6-8)...

وبدأ وجود الكنيسة في **شعب إسرائيل**، واحتملت فرعون والمصريين، ونحن جئنا إلى ربنا يسوع المسيح، وكُرز بالإنجيل في المزامير (مز 40: 5)...

لهذا السبب لئلا يتشكك أحد في الكنيسة، هذا الذي يود أن يكون عضوًا صالحًا فيها، فليسمع الكنيسة نفسها أمه تقول له: لا تعجب من هذه الأمور يا ابني " **كثيرًا ما ضايقوني منذ شبابي**" [1].

❖ في الوقت الحاضر، حيث صار عمر الكنيسة كبيرًا لازالت تُقاوم، ليتها لا تخاف.

هل فشلت في أن تبلغ السن الكبير لأنهم لم يتوقفوا عن محاربتها منذ شبابها؟ ليت إسرائيل (الجديد) نفسه يتعزى، لتعزي الكنيسة نفسها بالأمثلة القديمة .

القديس أغسطينوس

كَثِيرًا مَا ضَايَقُونِي مُنْذُ شَبَابِي،

لَكِنْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيَّ [2].

إن كان الضيق قد لازم الكنيسة منذ نشأتها حين كان أعضاؤها أحيانًا شخص واحد أو قلة قليلة، وفي كل عصر يتوقع البعض القضاء عليها تمامًا، لكن التاريخ كله يؤكد فشل الأعداء المقاومين لها بالرغم من كثرتهم وعنفهم وإمكانيتهم. يبقى التاريخ يفتح باب الرجاء أمام الكنيسة، ويؤكد لها أن نصرتها من قبل الرب فوق كل الحسابات البشرية.

يقدم لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** مثلاً عمليًا لذلك، فقد سمح الله بالسبي البابلي، وامتد حوالي السبعين عامًا، ولم تكن هناك أية بوادر لرجوع الشعب وإعادة بناء الهيكل وتعمير أورشليم، لكن انتهت دولة بابل، وعاد الشعب.

لقد ظنت بابل أن آلهتها أعظم من الله الحيّ، وأن عودة الشعب من السبي مستحيلة، ولم يدرك البابليون أن ما حدث ليس بسبب قوتهم وإمكانيتهم العسكرية، وإنما لتأديب إسرائيل الذي انحرف عن عبادة الله الحي.

---

[1] *On Psalm 129 (128).*
[2] *On Psalm 129 (128).*

❖ بالرغم من أن الأعداء كثيرًا ما يهاجمون، لكنهم ليسوا أقوياء بما فيه الكفاية ليغلبوا، ولم يبلغوا قط النصرة القاطعة. لتأكيد ذلك قد أُخذوا أسرى، ونقلوهم إلى مناطق غريبة، وكسبوا معارك كثيرة... لم تكن نصرتهم بسبب قوتهم في ذلك الحين، وإنما بسبب خطية إسرائيل ولأسباب أخرى لم يستمروا كغالبين حتى النهاية. لم تكن لهم القوة في الحقيقة أن يزيلوا الجنس (اليهودي) تمامًا، ويحطموا المدينة بالكامل، ويزيلوا الشعب حتى آخر إنسانٍ، وإنما بسماح الله غلبوا إلى حين وبعد ذلك انهزموا. الآن كيف انهزموا؟ بعودة اليهود إلى رخائهم السابق [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. المسيح المصلوب

عَلَى ظَهْرِي حَرَثَ الْحُرَّاثُ.

طَوَّلُوا أَتْلاَمَهُمْ [3].

صورة بشعة لشر الأشرار، إذ يقومون بالحرث بمحراث على ظهر البار، بل ويطولون أتلامهم (ما تشقه سكة المحراث في الأرض)، لكي تصير الجراحات عميقة وممتدة. هذه الصورة تنقل إلينا العنف الذي كان يُمارس بالنسبة لمعاقبة العبيد والمجرمين حيث كانوا يُجلدون بأسواط بها قطع من الحديد، تسبب جراحات عميقة وكثيرة على ظهورهم.

سرّ هذا التصرف المرير ضد البار، أن الشرير لا يحتمل أن يجد من لا يتفق معه في شره، حتى وإن لم يضايقه في شيء. يحسب برّ البار شهادة مُرة ضده، فيحاول الخلاص منه.

من جهة أخرى استخدم المرتل هذا التشبيه، لأنه وإن كان الأشرار يُسرون بمضايقة الإنسان البار لكن كل ما يفعلونه من شرور ضده، إنما يكون مثل ما يفعل المحراث في التربة، إذ يهيئها بالأكثر للزراعة والإثمار. فالضيق يزيد البار صبرًا خلال نعمة الله، ويزكيه ويمجده، لذلك سبق فقال المرتل: "لكن لم يقدروا عليّ" [2]. تتحول المتاعب إلى أمجاد سماوية.

❖ إنني لم أتفق معهم في الخطية. فإن كل إنسانٍ شريرٍ يضطهد الصالح لهذا السبب: إنه لا يتفق مع الشرير في الشر .

القديس أغسطينوس

---

[1] *On Ps. 129.*

[2] *On Psalm 129 (128).*

❖ لقد أظهر أنهم يهاجمون ليس فقط بعنفٍ، وإنما أيضًا بإصرارٍ شديدٍ، يقضون وقتًا طويلاً، ويكرسون أنفسهم للخطة، ويعملون بلا عائقٍ. لا يعود عليهم هذا بنفع، ليس من أجل قوتنا، وإنما من أجل قوة الله[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

إن كان الأشرار لا يكفون عن مضايقة الإنسان البار، فإن **الأب غريغوريوس (الكبير)** يرى في حديثه عن الرعاية أنه يليق بالراعي أن يحتمل أتعاب الرعية وأخطاءهم، مقدمًا ظهره ليحمل أثقالهم، قائلاً: "على ظهري حرث الحرَّاث".

❖ يُختبر صبر الراعي في تحمل أخطاء الرعية أثناء بحثه عن فرصة لإصلاحهم. ولهذا قال صاحب المزامير: "**على ظهري حرث الحرَّاث**" (مز 129: 3)، لأننا نحمل الأثقال على ظهورنا. وهكذا يشكو داود من أن الخطاة قد أثقلوا ظهره، وكأنه يريد أن يقول إن "أولئك الذين لا أستطيع إصلاحهم، أحملهم كحمل ثقيل". ومع ذلك فإن هناك بعض الأمور السرية التي يجب البحث فيها بتدقيق، فإذا ظهرت بعض الأعراض أمكن للراعي أن يكتشف كل ما يُعمل داخل عقول الرعية، وبالتوبيخ في الوقت المناسب يمكنه أن يستخلص من الأشياء غير المهمة أشياء مهمة. ولهذا قيل لحزقيال: "**يا ابن آدم، أنقب في الحائط**". ويضيف نفس النبي: "**فنقبت في الحائط، فإذا باب. وقال لي: "ادخل وأنظر الرجاسات الشريرة التي هم عاملوها هنا. فدخلت ونظرت، وإذا كل شكل دبابات وحيوان نجس وكل أصنام بيت إسرائيل مرسومة على الحائط**". (حز 8: 8-10)[2].

الأب غريغوريوس (الكبير)

3. عشب السطوح

الرَّبُّ صِدِّيقٌ.

قَطَعَ رُبُطَ الأَشْرَارِ [4].

ماذا يعني بقطع ربط الخطاة؟

1. يشير إلى الربط التي تربط الثور بالمحراث، فلا يستطيع الحارث أن يحرك المحراث؛ يبذل مجهودًا ضخمًا، فيتعب دون أن يفعل شيئًا. وكأن كل مقاومة الأشرار

---

[1] *On Ps. 129.*
[2] *Pastoral Care, 2:10.*

ومضايقتهم ترتد إليهم.

2. تشير إلى الربط التي بالسوط، فإذا بالشرير يبذل كل الجهد ليجلد من هو أمامه، من دون أن يسبب له الشخص أذية.

3. لعله يقصد بالربط هنا القيود التي كان الأسرى يُقيدون بها عند سحبهم من بلادهم إلى بلادٍ غريبةٍ.

جاءت في الترجمة السبعينية: " **الرب البار يقطع عنق الخطاة** ". ويرى **القديس أغسطينوس** أن المرتل لم يقل: "الرب البار يقطع أيادي الخطاة" أو "أقدامهم"، بل عنقهم، إذ يبرر الشرير نفسه أمام الله في كبرياء وتشامح يهلك، لكن الله يقطع العنق المتصلب الذي للشرير، حتى يتمثل بالعشار الذي لم يجسر أن يرفع عينيه نحو السماء (لو 18: 13)، فتبرر أمام الله.

❖ مجهودات الأعداء تذهب هباءً بينما تنتعش الكنيسة[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

فَلْيَخْزَ وَلْيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ كُلُّ مُبْغِضِي صِهْيَوْنَ [5].

يقدم هنا المرتل صلاة أو نبوة عن الذين يريدون أن يحطموا كنيسة الله، ويدفعوا بها إلى الخزي والعار، فإن ما يفعلونه إنما يرتد عليهم.

❖ يختم نصيحته بصلاة تجعل المستمع له ثقة خلال قصة الأحداث الماضية والصلاة، وتظهر سبب العداوة الظالم. تحدث العداوات من الحسد والكراهية، قائلاً: "**فليخز وليرتد إلى الوراء كل مبغضي صهيون** " إنهم ليس فقط لا ينتصرون وإنما يصيرون أيضًا في خزي وسخرية .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذين يدخلون الكنيسة في رياء يبغضونها. الذين يرفضون حفظ كلمة الله يبغضون الكنيسة... ماذا تفعل الكنيسة، إلا أنها تحتمل الثقل حتى النهاية[2].

القديس أغسطينوس

=يرى **العلامة أوريجينوس** أن هذه الصلاة التي يقدمها المرتل ليست ضد الأشرار،

---

[1] *On Ps. 129.*
[2] *On Ps. 129.*
[3] *On Psalm 129 (128).*

إنما طلبة لأجل خلاصهم، فقد عرف الوثنيون بأنهم يفتخرون بشرورهم ورجاساتهم ولا يخزون مما يمارسونه. الآن يطلب المرتل من الله أن يهبهم روح التوبة، فيخزون مما فعلوه ويرجعون إلى الله بروح الانسحاق.

❖ ثم بعد ذلك، باعترافنا بالخطايا التي عشنا فيها، نحن وآباؤنا، بعبادتنا للأوثان سوف نقول: "**وقد أكل الخزي تعب آبائنا منذ صبانا غنمهم وبقرهم بنيهم وبناتهم**" يجب ان يكون هناك **خزي** حتى **يأكل التعب** الباطل والأعمال الكاذبة التي لآبائنا، فإنه بدون **الخزي** لن تنتهي هذه الأعمال الباطلة والكاذبة.

وفي هذا الصدد دعونا نستعرض بعض أوجه الاختلاف ما بين الخطاة:

يوجد خطاة ليس عندهم خزي ولا حياء من خطاياهم، فهم لا يخجلون منها. هؤلاء هم الذين فقدوا كل حس والذين أسلموا لكل نجاسة.

وأنت تري بالفعل كيف أن الشعوب الأممية يستعرضون في بعض الأحيان ويتفاخرون بقائمة فسقهم وزناهم كما لو كانت بطولات، دون أن يخجلوا من قيامهم بهذه الأفعال ودون أن يطلقوا عليها خطايا. وطالما لا يوجد عندهم **خزي** فإن خطاياهم لن **تؤكل** (لن تمحي). إن بداية الصلاح هي أن نشعر بالخجل من الأشياء التي كنا لا نخجل منها قبل ذلك. لذلك فإنني لا أظن أن تكون الكلمات التالية التي كان يقولها الأنبياء يقصد بها لعنة: "**فليخز وليرتد إلي الوراء كل الذين يبغضون صهيون**" (مز 129: 5) [7].

العلامة أوريجينوس

لِيَكُونُوا كَعُشْبِ السُّطُوحِ،
الَّذِي يَيْبَسُ قَبْلَ أَنْ يُقْلَع [6].

أسطح البيوت في الشرق الأوسط غالبًا ما تكون مسطحة، فإذا ما تجمعت طبقة صغيرة من التراب، ونزلت أمطار أو ندى تنبت بعض الأعشاب، لكن سرعان ما تجف لعدم وجود طبقة كافية من التربة؛ هكذا ييبس العشب قبل أن يُقتلع.

إنها صورة للخدمة المظهرية المتشامخة، سرعان ما تزدهر، وسرعان ما تيبس وتُقتلع.

❖ هذا في الحقيقة طبيعة الوفرة (الازدهار) للذين يعيشون في الشر، جاذبية أمور هذه الحياة

---

[7] عظات للعلامة أوريجينوس على سفر إرميا ترجمة جاكلين سمير كوستى، 5:5.

تظهر وتختفي من وقتٍ إلى آخر، ينقصهم العون والوجود الحقيقي. لهذا يلزم للشخص ألا يعطي اهتمامًا لهذه الأمور التي لا تدوم، بل يشتاق إلى الأمور الخالدة التي لا تفنى ولا تتغير[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ربما تبدو مثل هذه الأمور للبعض تافهة ولا تستحق إعارتها الانتباه، لكن متى ركز الإنسان عيني ذهنه عليها فسيتعلم من أي عيب تخلّص الإنسان، وأي تدبير حسن توجده فيه. فإن الجري وراء الكرامات بطريقة غير لائقة لا تناسبنا ولا تليق بنا، إذ تظهرنا أغبياء وعنفاء ومتغطرسين، نطلب لا ما يناسبنا بل ما يناسب من هم أعظم منا وأسمى.

من يفعل هذا يصير مكروهًا، وغالبًا ما يكون موضع سخريَّة عندما يضطر بغير إرادته أن يرد للآخرين الكرامة التي ليست له... يلزمه أن يعيد ما قد أخذه بغير حق.

أما الإنسان الوديع والمستحق للمديح الذي بدون خوف من اللوم يستحق الجلوس بين الأولين لكنه لا يطلب ذلك لنفسه بل يترك للآخرين ما يل يق به، فيُحسب منتصرًا على المجد الباطل وسيتقبل مثل هذه الكرامة التي تناسبه، إذ يسمع القائل له: "**ارتفع إلى فوق**".

إذن العقل المتواضع عظيم وفائق الصلاح، يخّلص صاحبه من اللوم والتوبيخ و من طلب المجد الباطل...

إن طلبت هذا المجد البشري الزائل تضل عن طريق الحق الذي به يمكنك أن تكون بالحق مشهورًا وتنال كرامة تستحق المنافس! فقد كُتب: "لأن كل جسد كعشبٍ، وكل مجد إنسان كزهر عشب" (1 بط 1: 24). كما يلوم النبي داود محبي الكرامات الزمنيَّة، قائلاً لهم هكذا: "ليكونوا كعشب السطوح الذي ييبس قبل أن يُقلع" (مز 129: 6). فكما أن العشب الذي ينبت على السطح ليس له جذر عميق ثابت لذا يجف سريعًا، هكذا من يهتم بالكرامات الدنيويَّة بعد أن يصير ظاهرًا في وقت قصير كالزهرة يسقط إلى النهاية ، ويصير كلا شيء.

إن أراد أحد أن يسبق الآخرين فلينل ذلك بقانون السماء، وليتكلل بالكرامات التي يهبها الله. ليسمُ على الكثير ين بشهادة الفضائل المجيدة، غير أن قانون الفضيلة هو الذهن المتواضع الذي لا يطلب الكبرياء بل التواضع! هذا هو ما حسبه الطوباوي بولس أفضل

[1] *On Ps. 129.*

من كل شيء، إذ كتب إلى أولئك الذين يرغبون في السلوك بقداسة: أحبوا التواضع (كو 3: 12). وقد مدح تلميذ المسيح ذلك، إذ كتب هكذا: "ليفتخر الأخ المتضع (المسكين) بارتفاعه، وأما الغني فبتواضعه لأنه كزهر العشب يزول" (يع 1: 9-10). الذهن المتواضع والمنضبط يرفعه الله، إذ "القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره" (مز 51: 17).

من يظن في نفسه أمرًا عظيمًا وساميًا فيتشامخ في فكره وينتفخ في علو فارغ يكون مرذولاً وتحت اللعنة، إذ يسلك على خلاف المسيح القائل: "تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب" (مت 11: 29). كما قيل: "لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (1 بط 5: 5). لقد أظهر الحكيم سليمان في مواضع كثيرة الأمان الذي يحل بالذهن المتواضع، إذ يقول: "لا تنتفخ كي لا تسقط" (ابن سيراخ 1: 30)؛ كما يعلن ذات الأمر بطريقة تشبيهية: "المعلي بابه (بيته) يطلب الكسر" (أم 17: 19). مثل هذا يبغضه الله بعدل إذ يُخطئ في حق نفسه ويود أن يتعدى حدود طبيعته بغير شعور...

أسألك، على أي أساس يظن الإنسان في نفسه أمرًا عظيمًا؟!...

ليت كل إنسان ينظر إلى حاله بعينين حكيمتين، فيصير كإبراهيم الذي لم يُخطئ في إدراك طبيعته بل دعي نفسه ترابًا ورمادًا (تك 18: 27)[1].

كما أن العشب الذي ينبت على السطح ليس له جذر عميق ثابت لذا يجف سريعًا، هكذا من يهتم بالكرامات الدنيوية بعد أن يصير ظاهرًا في وقت قصير كالزهرة يسقط في النهاية ويصير كلا شيء[2].

القديس كيرلس الكبير

الَّذِي لاَ يَمْلأُ الْحَاصِدُ كَفَّهُ مِنْهُ،
وَلاَ الْمُحَزِّمُ حِضْنَهُ [7].

بدأ المزمور بخدمة الصليب، حيث يُصلب المؤمنون الحقيقيون مع السيد المسيح المصلوب. يحتملون الآلام والحرث على ظهورهم، فيصيرون أشبه بفردوسٍ مثمرٍ يحمل ثمر الروح. وينتهي بخدمة الشكليات والمظهريات التي تهرب من الصليب، وتطلب الأمجاد الزمنية،

---

[1] *In Luc Ser 102.*
[2] *In Luc. Ser. 102.*

فتكون كعشب السطوح الذي يظهر ابن يوم ويبس قبل أن يُقلع.

خدمة الصليب تبدو كأنها فاشلة، إذ كاد أن يترك الجميع المصلوب يوم صلبه، حتى تلاميذه هربوا، والذين تمتعوا بأعمال محبته لم نسمع لهم صوت، ربما بعضهم كانوا ضمن الصارخين: "اصلبه! اصلبه!" أما خدمة الشكليات فبرّاقة وتبدو ناجحة ومزدهرة وجذابة للنفوس. لكن لننظر فنرى مجد قيامة المصلوب! وانهيار الخدمة الشكلية!

❖ ينمو عشب السطوح على قرميد أسطح البيت، يُرى في العلا وبلا جذور. كم كان أفضل له لو أنه نما في الأسافل، لكان قد أزهر وسبب فرحًا عظيمًا!

إذ ظهر في العلا، يبس سريعًا. لم يُقلع لكنه يبس.

لم يصدر بعد ضده حكمًا من الله، ومع ذلك استنزف حيويته.... سيأتي الحاصدون لكنهم لا يملأون حزمهم منهم. سيأتي الحاصدون وسيجمعون الحنطة في البيدر، ويربطون الزوان معًا، ويطرحونه في النار. هكذا أيضًا عشب السطوح يُزال، وما يُقتلع منه يُلقى في النار، لأنه قد يبس حتى قبل أن يُقتلع. " **لا يملأ الحاصد كفه منه، ولا المحزِّم حضنه**" [7] والحاصدون هم الملائكة، يقول الرب (مت 13: 39)[1].

القديس أغسطينوس

❖ مرعب هو الموسم غير المثمر، والذي تحدث فيه خسارة في المحاصيل... مرة أخرى مرعب هو الحصاد الغير لائق، عندما يعاني الفلاحون من ثقل قلوبهم، فيجلسون بجوار قبر محاصيلهم الذي أنعشته الأمطار الخفيفة، لكن الزوابع اقتلعته، "الذي لا يملأ الحاصد كفه منه، ولا المحزِّم حضنه" (مز 129: 7). ولا ينالون البركة التي يمنحها العابرون بالمزارعين. بالحقيقة إنه لأمر بائس هو التطلع إلى أرضٍ قفر، نُزع عنها زينتها، هذه التي يولول يوئيل عليها في صورة المأساة الشديدة لخراب الأرض وفاجعة المجاعة (يوئيل 1: 10). يولول نبي آخر عندما يقابل جمالها السابق بالفوضى التي حلت بها في النهاية، وبهذا يتحدث عن غضب الرب عندما يضرب الأرض: أمامه جنة عدن، وخلفه برية قفر[2].

القديس غريغوريوس النزينزي

وَلاَ يَقُولُ الْعَابِرُونَ:

---

[1] *On Psalm 129 (128).*

[2] *In His Father's Silence, oration 16: 6.*

بَرَكَةُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ.

بَارَكْنَاكُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ [8].

يكشف لنا سفر راعوث عن عادة جميلة كانت قائمة، ألا وهي عندما يعبر صاحب الحقل بالحصادين، يحييهم قائلاً: "الرب معكم". ويجيبونه: "يباركك الرب" (را 2: 4).

❖ أنتم تعرفون أيها الإخوة أنه من العادة عندما يعبر أناس على عاملين يخاطبونهم، قائلين: "**بركة الرب عليكم**".

هذه العادة كانت سائدة على وجه الخصوص في الأمة اليهودية... إنه لا يجوز لأحد يعبر ويرى أحدًا يمارس أي عملٍ في حقلٍ أو كرمٍ أو حصادٍ أو أي شيء من هذا القبيل دون أن يبارك... من هم العابرون؟ هؤلاء الذين بالفعل عبروا هنا في مدينتهم خلال الطريق، أي خلال هذه الحياة، وهم الرسل والأنبياء. من الذين باركهم الأنبياء والرسل؟ هل الذين رأوا فيهم جذور المحبة!

القديس أغسطينوس

إن كان يليق بصاحب الحقل حين يلتقي بالحصادين أن يحيي الواحد الآخر بأن الله حاضر في وسطهم، وأنه يبارك صاحب الحقل، فيليق بالمؤمن أيضًا إلا ينشغل بخطاياه السابقة لئلا بتذكرها يفسد نقاوة قلبه. هذا ما تحدث عنه **الأب بفنوتيوس** في مناظرته مع القديس يوحنا كاسيان.

❖ أما بالنسبة لما قلته منذ قليل، أنه بسبب هدف موضوع أمامك لا تريد أن تذكر خطاياك السابقة مرة أخرى، فبالتأكيد يلزم ألا تذكرها، إلا إذا باغتتك بغير إرادتك، فللحال أطردها فإنها تحرم الروح بقوة عن التأمل النقي، خاصة بالنسبة للمتوحد، فهي تعرقله في وصمات هذا العالم وتغرقه في الخطايا النجسة. فبينما تتذكر الأمور التي كنت تصفها في جهل وطيش... فإنه حتى **وإن كنت في تذكرك لها لا تشعر بلذة، فلا أقل من أن عفونة النجاسات تفسد روحك برائحتها الكريهة وتبطل أريج رائحة الحياة الصالحة، أي رائحة الطيب الذكية.**

عندما تخطر بذاكرتك الخطايا السابقة، اهرب منها كما يهرب الإنسان البار الشريف متى وجد امرأة عاهرة شريرة تطلبه في الطريق العام بواسطة حديثها معه أو تقبيلها إيَّاه. فإنه إن لم يهرب منها للحال، متباطئًا في الحديث معها بأحاديث مشوبة، فإنه وإن رفض

التمتع باللذة المعيبة إلا أنه لا يقدر أن يتجنب احتقار العامة له ونظرات السخرية المتسلطة عليه. هكذا نحن أيضًا، بتذكرنا المهلك هذا نسقط في أفكار كهذه. لهذا يلزمنا أولاً أن نمتنع عن التمسك بها، منفذين وصية سليمان القائل لا نذهب إلى هناك ولا نبطئ في مكانها، ولا نثبت نظرنا عليها، لئلا عندما ترانا الملائكة المارة بنا، أننا مشغول ون بأفكار نجسة، فلا تقدر أن تقول لنا: "بركة الرب عليكم" (مز 8:129). فإنه يستحيل أن يستمر الفكر مشغولاً في الأمور الصالحة، إن كان النصيب الأكبر من القلب غارقًا في تأملاته الأرضية الشريرة. لقد حق قول سليمان: "عيناك تنظران الأجنبيات، وقلبك ينطق بأمور ملتوية. وتكون كمضطجع في قلب البحر أو كمضطجع على رأس سارية. يقول "ضربوني ولم أتوجع. لقد لكأُوني ولم أعرف" (أم 23:33-35).

يلزمنا أن نهجر لا الأفكار الشريرة فحسب، بل والتفكير في الأمور الزمنية، رافعين اشتياقات نفوسنا نحو الأمور السمائية كقول مخلصنا: "حيث أكون أنا هناك أيضًا يكون خادمي" (يو 12:26). **لأنه يحدث أيضًا حتى من باب العطف أن نفكر في سقطات الغير أو أخطائهم، فنتأثر باللذة ونسقط بالتالي في هموم الآخرين.** فتكون النتيجة أن ما بدأنا به حسنًا ينتهي نهاية مهلكة، لأنه "تُوجَد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت" (أم 14:12)[1].

الأب بينوفيوس

من وحي المزمور 129

مع المسيح صُلبت!

❖ الباب ضيق، والطريق كرب،
لكن ما ذقت في رفقتك، فهو عذب وحلو!
هب لي أن أختفي فيك،
فأستعذب كل ما يحلّ بي.

---

[1] *Cassian: Conferences, 20:9.*

❖ أنت تقطع رُبط الأشرار،
كل ما يبذلونه من مقاومة ومضايقات يصير باطلاً.
يودون تدمير حياتي،
لكنك أنت هو حياتي الأبدية،
من يقدر أن يحطم شركتي معك؟!

❖ يود الأشرار أن يدفعوني إلى الخزي والعار،
لتكشف لهم شرهم، فيخزون مما يمارسونه.
يرجعون إليك فيتقدسون.

❖ هب لي أن استعذب الصليب معك.
فأحمل أتعاب الآخرين بفرح.
وتبتهج نفسي بقوة قيامتك العاملة فيّ.
لست أطلب الثمر السريع،
إنما أفرح بحضورك الإلهي وسط آلامي.

❖ لتجتذبني إليك، فلا أنشغل ببريق المظاهر الخارجية.
لا أكون كعشب السطوح الذي يراه الكثيرون.
بل أُغرس بروح التواضع،
فأنال بركة صليبك!

13 (129 في الأجبية) - تفسير سفر المزامير

الرجاء وسط الضيق

بمناسبة شدَّة عظيمة لحقت بالمرتل. إنه يعترف بأنه صار في اِرتباكٍ شديدٍ، إذ لم
، وأنه ليس من حلّ في مواجهة هذه الضيقة سوى الإيمان بالله ملجأ النفس! فإن
ة، لكن تذكر معاملات الله معنا، وارتفاع القلب إلى السماء يهب أعماقنا عربون
حتفال بسبتٍ سماوي بهيج.

"يفكر" ٤ مرات (ع ٣، ٥، ٦، ١١). فيليق به وسط الضيق والاِرتباك أن يفكر في
شعبه ومعه.

١-١٠.
١١-١٥.
١٦-٢٠.

يَدُوثُونَ. لآسَافَ. مَزْمُورٌ

الترجمة السبعينية: "**إلى النهاية (التمام)، لأجل يدوثون. مزمور لآساف**".
س على هذا العنوان قائلًا بأن "يدوثون "معناها "يثب"، وآساف معناها "جماعة
اعة التي تثب لتبلغ إلى النهاية الذي هو يسوع المسيح [1].

ورد هذا العنوان في المزمورين ٣٩ و٦٢، ومعناه: "مقدم تسبحة". فإن كانت
ة شديدة، فإنها لن تحرم المؤمن من تقديم تسبحة، فيها يتغنَّى بكل صراحة. في
ل مسبحًا الله ملجأه وسرّ راحته وتعزيته.

هها إلى الله، مظهرًا يقينه في الله السامع لصراخه وسط الضيق، وأنه يجيب على أسئلة محيِّرة. يسمع الله لصرخات القلب الصامتة، ويستجيب لنا، ليس من أجل أجل إيماننا به وثقتنا فيه. قيل عن الرب نفسه إنه صلى بصرخات عالية ودموع، ه التقوية (عب ٥: ٧).

رتل لا يمكن إغلاقها، إذ كان يتطلع إلى ما في أعماقه خلال ليالٍ لا تغمض له فيها تأثر جدًا ولم يجد كلامًا يعبر به عما في داخله، فالتزم الصمت. عاد إلى مشاعره سبق أن كان يترنم به. لعله بهذا تهدأ نفسه، وتستريح خلال ثقتها في الرب أنه لن لذكريات قد أثارت في نفسه تساؤلات عبّر عنها في هذا المزمور [٧-١٠]. هذه لأن الله أمين في كلمته، ووعوده وعهوده لن تخيب.

صْرُخُ.

صْغَى إِلَيَّ [1].

ى الله بكل قلبه، بغيرة وفي إخلاص تحرك الله - إن صح التعبير - ليصغي إليه. قلب تحرك الله نفسه الذي يسكن في القلب ويقيم منه هيكلًا .

خ بقلبه لا يحرك شفتيه فحسب، إنما يتحرك كل كيانه الجسدي والنفسي والروحي.

جعل الإنسان بعيدًا عن الله، لذا يصرخ كمن يتحدث مع من هو بعيد عنه، لكنها ة بالأذنين، إنما صرخات قلب يطلب أن يتقدس، فيشعر أنه في حضن الله، أو سان الإلهية بالنقاوة والقداسة خلال غنى نعمة الله وعمل روحه القدوس.

الحوار مع الله يتحقق بالعمل، فصراخ المرتل هنا لله هو خلال العمل الصالح ابة الله أيضًا بالعمل.

صرخ... فيصغي إليّ، في يوم ضيقي التمست الرب". أُنظروا كيف كان مضطربًا، ا الله... الصرخة العالية ضرورية للغاية عندما يكون القلب المضطرب بعيدًا. هذا أقوله: "بسبب خطاياي صرت بعيدًا عنك، لهذا وجب عليّ أن أصرخ إليك لكي ما

... إن وَجَدت الله، ففيه استرد كل شيء [5].

الصالحة تصرخ إلى الرب، حتى ونحن صامتون. ولهذا السبب جاء في الكتاب رب عن يد حجِّي النبي" (حج ١: ١، ٣). لم تأت كلمة الله بالكلام، وإنما باليد -

ميا: "ليته لا تكون راحة لعينيّ". أُنظروا فإنه حتى حدقة عيننا ليست صامتة. **نا في دفعات كثيرة، كما نصرخ إليه بدموعنا** [6].

القديس چيروم

رخت متضرعًا إليه، وطالبًا منه الفرج. وبما أن صراخي كان مستحقًا الإجابة، أحزاني. فإذًا اعلم يا يدوثون أن الله سميع وقريب لمن يسأله بما يليق.

الأب أنثيموس الأورشليمي

طينوس أن المؤمن يصرخ إلى الرب وقت ضيقه، لا لكي يتخلص من الضيق، فوق كل العالم وكل متاعبه، يقفز ليكون في حضن الرب، طالبًا الرب نفسه.

لا تخص أمرًا معينًا بذاته، بل الحياة كلها بكل متاعبها، لتستقر النفس في موطنها

يس أغسطينوس أحاديثه في ضرورة الوثب أو القفز فوق كل المتاعب لأجل بأحضانه الإلهية.

لى الرب من أجل مثل هذه الأمور (الزمنية)، لكن نادرًا ما يصرخ أحد من أجل على الإنسان أن يطلب من الرب شيئًا، ولا يطلب الرب نفسه. كما لو كان بالحقيقة عذوبة من أن يعطي الرب ذاته. لذلك من يصرخ إلى الرب لأجل شيء ما ليس ه بالحق يسمع لك في الوقت الذي تطلبه هو، وليس من خلاله تطلب شيئًا ما. يقال ن ولا مخلص. إلى الرب فلا يستجيب لهم" (مز 18: 41)[7].

ق ماذا تطلب؟ إن كان السجن هو سبب الضيق، تطلب أن تخرج منه. إن كانت ، تطلب الصحة. إن كان الجوع هو علة الضيق، تطلب الشبع. إن كانت الخسارة الربح... أتريد أن تكون إنسانًا يثب؟ في وقت ضيقك أطلب الله، ولا تطلب شيئًا ة ينزع الله عنك الضيق حتى ما تلتصق بالله دون قلق [8].

طْتْ، وَلَمْ تَخْدَرْ.

[2].

يطلب المرتل مجرد إنقاذه من المتاعب، إنما يتلمس الله نفسه، إذ هو سرّ تعزيته
ي وسط ليل هذا العالم يبسط يديه كمن يود أن يحتضن محبوبه، ومقدسه. بهذا لا
عه، ولا أن يفقده التعزيات الإلهية.

ر: "في ساعات الليل ارفعوا أياديكم نحو المقدس، وباركوا الرب". في ليل هذا
ما يسرع الآخرون نحو رذائلهم، أقدم أعمالي إليك وحدك. "**ولم أنخدع**". لأنني
ي، فلم أنخدع. يوجد تفسيران هنا: إما أن صلاتي قد اُستجيبت، أو أنني لم أُخدع
الشيطان أن ينصبها لي.

"بالليل أبسط يدي بدون تردد"، يدي مبسوطة دائمة للأعمال الفاضلة، لن ترد إلى

". لقد انغمست نفسي في الخطية، فلا أستطيع أن أُعزي نفسي بأي رجاء. "عندما
". نفسي انغمست عميقًا في الخطية، لا أستطيع أن أجد أيَّة تعزية، لكنني أحوِّل
ى قلبي مرة أخرى في حنو مراحمه...

دما أتأمل فيُغشى على روحي" [٣]، إما باليأس أو بالاِشتياق إلى الله [9].

القديس چيروم

ًا ما بيننا يفقد ابنه. أي شيء لا نفعله لكي نجده؟ أي أرض لا نجول فيها، أي بحر
المال والبيوت، ونحسب كل شيء ثانويًا لكي نجده. وإذ نجده نلتصق به، ونمسك
ندما نذهب للبحث عن شيءٍ ما، فإننا نستخدم كل وسيلةٍ لنجد ما نبحث عنه. كم
ل من أجل الله، إذ نبحث عن من لا غنى لنا عنه؛ لا، ليس بنفس الطريقة، بل
ن ضعفاء، فعلى الأقل تطلبون الله كما تطلبون أموالكم أو أولادكم.

ل المال؟ ألم تنشغل به بكل وسيلة؟ وإذ تجده، أما تصير مملوءًا ثقة بالنفس؟ *[10]*

القديس يوحنا الذهبي الفم

ست الرب" [٢]. لم أطلب الذهب ولا فضة العالم، بل الله وحده. لا يريد أحد أن
فعند حلول الضيق بالإنسان يلزم اِلتماس الله كأمر حسن... يرسل الله الضيقة ليس

علاوة على هذا إذ هو في السماء وفوق السماوات، بالتأكيد يلزمنا أن نهرب من هنا سلام وراحة من الأتعاب، وحيث يمكننا أن نعيِّد في السبت العظيم، كما يقول هو طعام لكم". إنه وليمة، حيث يمتلئ الشخص بالبهجة والسكون، ليستريح في ه. نلجأ إلى الله، فهل نرجع إلى العالم؟ لقد متنا عن الخطية، فهل نعود نطلب ، فهل نعود فنلتصق بوحله؟ [11]

القديس أمبروسيوس

إليه، لا بالنهار فقط، بل وبالليل أيضًا. وصرت امتنع عن النوم جائزًا الليل كله في ولم **أضل**، أي أصبت مطلوبي، ولم يخب أملي.

ي لست باللسان فقط كنت أطلب المعونة، بل بالعمل الصالح أيضًا، لأن شدتي قد

الأب أنثيموس الأورشليمي

. سِلاَهْ [3].

سبعينية: **"تذكرت الله فابتهجت، سكبت شكواي فصغرت نفسي"**. وكأن المرتل إذ املاته معه تتهلل أعماقه وتبتهج، لكن إذ ينشغل بمتاعبه وشكواه تذوب نفسه فيه

كرى خاصة ببركات الله علينا. يلزمنا أن نصلي في الصباح الباكر لكي تكون بدء كرسة لله، وأننا لن نلمس شيئًا ما لم نبتهج أولًا بالتأمل في الله، كما يقول **فابتهجت**" (مز 76: 3*LXX*). ولن نبدأ أيّ عمل ما لم نتمم ما هو مكتوب: "إليك مع صوتي. في الصباح المبكر أوجه صلاتي إليك وأنتظر" (مز 5: 2-3).

القديس باسيليوس الكبير

لنفس، كما قيل في المزمور: "تذكرت الله فصرت سعيدًا" [12].

الأب دوروثيؤس من غزة

قد وجدتا معزيًا عظيمًا. فإذ لم أكن متراخيًا كنت منشغلًا بالله فابتهجت [13].

القديس أغسطينوس

يَّ.

[4].

ذه بسبب إصرار الأعداء المستمر نهارًا وليلًا على مقاومته، يصير الإنسان كمن
ن فتح شفتيه لينطق بكلمة، فيكتم في داخله تأوهات قلبه وتنهداته وشكواه.

خطاياي، لم أجسر أن أرفع عينيَّ إلى السماء، لأن الله يقول للشرير: "ما لك تُحدث
١). لهذا صرت مفلوجًا، إنني خائف، لا أستطيع أن أنطق بكلمة [14].

القديس چيروم

ل إلى نوبتهم كنت أنا أسبقهم، وكانت عيناي مفتوحتين، ولا يأخذني نوم من كثرة
ت تقلقني، لكن لم أكن أبرزها من فمي.

الأب أنثيموس الأورشليمي

سبعينية: "**وضع جميع أعدائي حراسًا ضدي، قلقت ولم أتكلم**" إذ وضع الأعداء
ستطع أن ينم طوال الليل، فكانت عيناه مفتوحتين بسبب كثرة الأفكار التي كانت
طع أن ينطق بها.

ي حراسًا ضدي". لقد تفوقوا في وضع حراسة ضدي، أسرعوا ووضعوا حراسة
ع لم يضعوا فيه مصائد ضدي؟ ألم يسبق ويضع أعدائي حراسًا؟ من هم هؤلاء
عنهم الرسول: "فإن مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ" (أف 4: 12)... إننا نحمل
كته. يدعوهم "**ولاة العالم**"، لأنهم يحكمون الذين هم محبين للعالم. أنهم لا يحكمون
السماء والأرض، بل خطاة العالم... لا يوجد انسجام بيننا وبين إبليس وملائكته.
أجل ملكوت السماء. لا يمكن أن يرضوا علينا، لأن "**جميع أعدائي يسبقون**
. إنهم يراقبونني لكي يخدعوني أكثر من حراستي أنا لنفسي [15].

القديس أغسطينوس

ير يقف في قلقٍ، ولا يعرف المرتل بماذا ينطق.

ى مقاومة الأعداء له حتى في الليل، حيث يقيموا حراسًا ضده، تضطرب نفسه.
ب الله معه في الماضي، وخطته الأزلية لخلاصه تترنم نفسه وتتهلل.

ل عن حاله، فقد كبت في داخله المرارة، وعجز لسانه عن الكلام، لكن تحول
ت داخلية إلى ذاك الذي يسمع لغة القلب، وانطلق فكره إلى معاملات الله السابقة،
لمكبوتة وإلى بهجة لا يُعبر عنها، وتهليل لا يستطيع اللسان أن ينطق به.

نوس أن المرتل صار كمن قد ضُرب خارج الأبواب، فالتجأ إلى أعماقه الداخلية
ائد التي نصبها له الأعداء في الخارج، وذلك بتفكير في أيام القدم. لقد صمت ولم
م هول مقاومة الأعداء، فالتجأ إلى التفكير في هدوء داخل قلبه. [لقد وثب إلى تلك
رثرة الكلام في الخارج، بل بالسكون في الفكر [16].]

ى التي في ذهن المرتل، يفكر فيها على الدوام؟ يجيب **العلامة أوريجينوس** إنه
ة الله الأزلية لخلاصنا. فالله مشغول بخلاصنا منذ الأزل. هذه هي البشارة الأزلية
بها ملاك الساكنين على الأرض. [هذا الإنجيل سيُعلن عندما يُبتلع الموت وتُرد
سنوات السرمدية التي تحدَّث عنها النبي تخص هذا الإنجيل الأبدي. "**تفكرت في**
ر 77: 5) [17].]

س الأورشليمي أن المرتل يتذكر معاملات الله مع شعبه في الماضي، مثل خروج
يته لهم في البرية، واهتمامه بهم في أرض الموعد. فإذ نذكر معاملاته نمتلئ رجاءً
يته.

يْلِ.

وحِي تَبْحَثُ [6].

رنة بين مقاومة الأعداء له ليلًا ونهارًا وبين رعاية الله له واهتمامه به. فإن المرتل
والبحث عن عناية الله به.

رتل ومراثيه إلى أغانٍ داخليةٍ وفرحٍ مجيدٍ، فقد أدرك لماذا سمح الله له بالضيق،
لام، وامتلأت نفسه بالرجاء في خلاص الله المجيد.

م أن المرتل لا ينشغل بأحدٍ أو بشيء ما في الليل سوى بالله ومعاملاته معه.

هو في أمان، حيث يوجد وحده في السرّ، إنه يفكر في السنوات الأزلية [18].

فهو وقت التأمل بعمقٍ على الفضيلة... إنني مثل من يحفر حقلًا ليغرس بذار تعاليم

القديس چيروم

ا، إذ بطبيعتنا نتذكر ما نفعله أو فعلناه أو سمعناه. ويقول عن ذلك الطوباوي داود: سنين الدهرية. أذكرُ ترنميْ في الليل. مع قلبي أناجي وروحي تبحث" (مز 77: 5- لرب يعرف أفكار الإنسان أنها باطلة" (مز 94: 11)، "أفكار الصدّيقين عدل..." ل يقول الرب للفريسيين: "لماذا تفكرون بالشرّ في قلوبكم؟!" (مت 9: 4) [20]

الأب موسى

فُضُ الرَبُّ،

ذُ؟ [7]

وسط متاعبه كأن الله رفضه ولا يُسر به، لكن هل يبقى الله الكلي الحب والرحمة ر به؟ مستحيل! فإنه ينتظره ليحتضنه، ويدخل به إلى الأمجاد السماوية.

ة جدًا، فكر بالأكثر في حياة أخرى حيث لا توجد فيها محنة. متى يمكنه أن يبلغ ا لم ندرك أن متاعبنا هنا هي من غضب الله. هذا ما يتحدث عنه بإشعياء: "لأني لا غضب إلى الدهر" (إش 57: 16)... هل غضب الله يدوم هذا ما اكتشفه (المرتل) "هل انقطعت رحمته إلى دورٍ فدور؟" (8

القديس أغسطينوس

رَحْمَتُهُ؟

إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ؟ [8].

اليأس أعيننا، فإن مراحم الله لانهائية، ووعوده تبقى من دور إلى دور، فهو أمين

رَاحِمَهُ؟ سِلاَهْ [9].

ى الله رأفته، فإنه وإن غضب بسبب خطايانا لن ينزع مراحمه عنه، فهو رحوم

دام الناس... ولكن **من** ينكرني قدام الناس..." ، فبقوله **"كل"** للذين يمجدهم أبديًا
ي حديثه عن الذين يحرمون أنفسهم من المجد الأبدي، يكشف عن اشتياق الرب إلى
لى الساقطين منهم.

ن يكشف عن ميل ربنا يسوع إلى الرحمة، فلنتركه أيضًا يحدِّثنا بنفسه، فإنَّه عندما
بِي قدَّام الناس أعترفُ أَنَا أيضًا بِهِ قدَّام أَبِي الذي فِي السماوات" (مت ١٠:

رفين به قال: "كل من"، أمَّا عن حديثه عن حالة الإنكار فلم يذكر كلمة **"كل"**...
وعد به جميع المعترفين به، أمَّا عند العقاب فلم يهدِّد الكل...

رب يسوع المسيح الذي سجَّله متَّى فقط، بل وما سجَّله لوقا أيضًا (١٢: ٨-٩) حتى
بمحض الصدفة.

قوله: **"كل من** يعترف بي قدَّام الناس". إنه يقصد من يعترف به أيًّا كان عمره، وأيًا
ستثناء. أمَّا في الإنكار فلم تذكر عبارة مشابهة.

ى إلى الدهور يرفض الرب؟! هل انتهت إلى الأبد رحمته؟! هل نسى الله رأفة أو
" (مز ٧٧: ٧-٩). هذا هو ما يعلنه لنا النبي بينما يصر أولئك على إنكار مراحم

القديس أمبروسيوس

:

10].

سبعينية: **"فقلت الآن ابتدأت. هذا هو تغير يمين العلي"**. بعد أن أدرك المرتل أن
م يُسر بالإنسان بسبب خطيته، لكنه لا ينسى وعوده الإلهية بالخلاص ورحمته
رنم المرتل: **"فقلت الآن ابتدأت"**. قد صار كمن له بداية جديدة، إذ أدرك أن كلمة
إنسانًا لأجله. ذاك الذي هو غير المتغير يتأنس ويأخذ شكل العبد ليخلصه.

من جهة لاهوته، لكنه نزل إلينا لكي يجدد طبيعتنا، ويقيمنا من فسادنا إلى عدم
الأمجاد الفائقة.

هذا هو تغيير يمين العلي" (الترجمة السبعينية وأيضًا القبطية). الآن يمين العلي

[ع١٠]. ما لم تتغير يمين العليّ، أي الابن، ويأخذ ناسوت الإنسان، لا نستطيع أن

القديس چيروم

هذا هو تغيُّر يمين العليّ" (مز ٧٧: ١٠)، مشيرًا إلى أنه بالرغم من أن الطبيعة
عدم تغيرها، فإنه بتنازله إلى ضعف الطبيعة البشرية تغيرت إلى شكلنا.

ناموس من حضنه تغير إلى تغيير غير طبيعي؛ وعندما أعادها إلى حضنه عادت
ي.

وحيد الذي في حضن الآب هو يمين العلي [24].

القديس غريغوريوس النيسي

الأمم أيضًا، ونقلتهم من الضلالة الخبيثة إلى ما هو أفضل. فلأجل هذا إذا رأينا
ى الخير. نقول هذا تغيير يمين العلي.

الأب أنثيموس الأورشليمي

ماضيه، فماذا يعني التاريخ بالنسبة له؟ إنه قصة رأفات الله وأمانته وقدرته وأبوته

ي نورٍ لا يُدنى منه. مُرهب لمن يدخل معه في عداوة، وعجيب في حنوّه مع من
علاقته مع الشعب أعظم من أن تكون علاقة صداقة، إنه شعبه، يدخل معه في عهدٍ،
رته.

نْذُ القِدَم [11].

نين وسط متاعبهم الكثيرة في تذكر أعمال الله عبر التاريخ وعجائبه منذ خلق
معه على السحاب. سرّ عزائهم أعماله العجيبة ووعوده الفائقة.

ن يتكلم، وذلك فقط إن بدأنا هذا مع ذاك الذي يتكلم... أن تبتهج بأعمال الله هو أن
ت تبتهج به وحده. فإنه أي شيء أفضل منه؟ [25]

القديس أغسطينوس

أعماله العجيبة مع موسى، الأعمال التي صنعها ما قديسيه... فإنه بالتأمل في حنو
يك لا أعود بعد بلا رجاء [26].

القديس چيروم

الله **أعمالًا وعجائب وصنائع. فالأعمال** هي خلائقه التي اخترعها من العدم إلى
منها عامة ومنها خاصة. فالعامة مثل عمله الإنسان من التراب حيوانًا
ا أنه صنعه على صورته ومثاله، أعنى أن يكون رئيسًا على ما دونه وما أ شبه

ب التي صنعها في مصر وفي برية سيناء وما شاكلها. وأما **صنائعه** من الأنواع
ح الإنسان وخلاصه. وهي التأديبات التي أتى بها ليرجعه إلى التوبة باشتراعه عليه

الأب أنثيموس الأورشليمي

كَ،

.[12]

رِيقُكَ.

للهِ! [13].

المتألم في مراحم الله الأزلية ورأفته التي لن تفرغ، انشغل بأعماله العجيبة مع
ن يدخل إلى أعماق نفسه ليرى غاية هذا كله، وهو أن يقيم من أعماقه هيكلًا مقدسًا
رب، وطريقًا يعبر من الأرض إلى السماء. هذه هي أعظم أعجوبة، أن يقيم الله من
لله، ويشكلنا لنصير على شبه الملائكة. هذا ما تغنى به **القديس يوحنا الذهبي**
نه ليس ما يشغله شيء في كل حياته سوى أن يرى بالمسيح يسوع تحولت الأرض
لى شبه ملائكة.

أنا هو الطريق والحق والحياة" إنه المخلص القائل بهذا. لهذا فإن الطريق هو ابن

القديس چيروم

طريقك"، أي شريعتك التي أعطيتها لنا في قدسك، الذي هو جبل سيناء، وهناك
ارة بسننك وبما صنعته من العجائب.

الأب أنثيموس الأورشليمي

لعَجَائِبَ.

بِ قُوَّتَكَ [14].

لا يخص شعبًا معينًا بل: **"عرفت بين الشعوب قوتك** " لقد دُعي كل الأمم لتتمتع
ار قوة خلاصه وعمل صليبه الفائق.

ما أنت فالله بالطبيعة. أنت هو الله الصانع العجائب. لم يقل المرتل: "الذي صنع"،
وم يصنع الله عجائب... [28]

القديس چيروم

تك. لم يقل: "عرف الشعب قوتك" بل **"الشعوب"**، لأن عجائب الله في ذلك الحين
ريين والإسرائيليين. إن قوة كانت تخرج منه، وتشفي جميعهم، وذاق الموت عن
م ليفدي كافة الشعوب من تصرفهم الباطل الذي تقلدوه من آبائهم كما كتب بطرس

الأب أنثيموس الأورشليمي

العظيم، الصانع عجائب في الجسد وفي النفس، أنت وحدك الصانع هذه. الصم
رون، والضعفاء يشفون، والأموات يقومون، والشُل يتقوون. لكن هذه العجائب
م في الأجساد. هلم ننظر تلك التي تتم في النفس. صار الذين منذ قليل سكارى
ذ قليل عبدة أوثان صاروا مؤمنين. والذين كانوا قبلًا يسلبون الآخرين صاروا

القديس أغسطينوس

كَ،

. سِلاَهْ [15].

طينوس أن بذراع الله أي بقوته تحرر اليهود والأمم، والتحم الاثنان معًا بواسطة
2) حيث ارتبط الحائطان معًا.

ت من عبودية مصر، أعنى بهم الذين ولدوا من سلالة يعقوب، وارتفع شأنهم من
ابن الله الوحيد كما يدعى يمين الله كذلك يدعى ذراعه، وأما يوسف فمعناه "إضافة
ي: **"بذراعك"** يا الله، أي بابنك أنقذت شعبك المتآلف من بني يعقوب، أي من أهل
، أي من الأمم الذين هم إضافة الله لشعب إسرائيل.

الأب أنثيموس الأورشليمي

حر

طبيعة والمعتني بها، ضابط الكل، وطريقه في البحر.

للهُ،

رَعَتْ.

جُ [16].

سوف وأيضًا مياه الأردن قد ارتعبت وفزعت أمام الله مخلص شعبه، فاستطاع
برية سيناء ثم إلى كنعان، ففي العهد الجديد ترتعد مياه المعمودية أمام عمل السيد
ية من العبودية لإبليس إلى حرية مجد الله.

طينوس أن المياه تشير إلى الشعوب كما جاء في سفر الرؤيا 17: 15، وإن إلى
، الذي يرتعد حين يعترف الشخص.

حر الأحمر، ونهر الأردن، تعرفت المياه على خالقها، أما الشعب فلم يعرف...

أيَّة مياه؟ العقول النقية والقلوب الطاهرة. **"أبصرتك المياه ففزعت"**. لقد خافت، لا
لإيمان. **"اللجج (الأعماق عينها) ارتعدت"** [30].

القديس چيروم

ين خروج بني إسرائيل من مصر، ومياه الأردن حين عبورهم إلى أرض الموعد

الأب أنثيموس الأورشليمي

ا.

تًا.

تْ [17].

س الأورشليمي أن السحب (الغيوم) هنا تشير إلى الرسل القديسين الذين أعطوا
المقدس حتى خرج منطقهم في كل الأرض.

ين يرافقوننا طوال حياتنا على الأرض، إما أنهم يفرحون لنا، أو ينوحون عندما

ن تنوح بسبب **الساكنين فيها**: ويقصد بكلمة "أرض" أي الملاك الساكن فيها، فإنه
المصنوع صنمًا فملعون هو وصانعه" (حك 14: 8)، ليس أن اللعنة تقع على
ما يقصد بكلمة "**صنمًا**" أي الشيطان الساكن فيه، والذي يتخذ من "الصنم" اسمًا
طيع أن أقول إن "الأرض" يقصد بها الملاك المسئول عن الأرض، و"الماء"
ماء، والذي كتب عنه: "**أبصَرَتْكَ المياه يا الله، أبصرتك المياه ففزعت. ارتعدت**
وم مياهًا، أعطت السحب صوتًا. أيضًا سهامك طارت" (مز 77: 16-17) [31].

العلامة أوريجينوس

تها". السحب أو الأنبياء الذين كانوا صامتين بالنسبة لليهود صاروا متحدثين معنا.
أيضًا سهامك طارت". انتشرت الكرازة بكلمة المسيح في كل العالم.

روبعة (العجلة)". الصوت ملوكي، لأن التعليم سامي.

جه الخصوص عن الإنسان الداخلي. فإن العجلة كما تعرفون تستقر على الأرض
ي تدور دومًا ولا تستقر. لا تقف إنما تلمس الأرض وتعبر.

العلوية يحمل في نفسه كلمتك.

القديس چيروم

زَوْبَعَةِ.

دي يوسيفوس أنه ما أن دخل جيش فرعون بحر سوف حتى اندفعت المياه عليهم، ن السماء، وحدثت بروق ورعود، وحلت الظلمة عليهم.

يصير الموضع الذي للخلاص العجيب للمؤمنين هو بعينه موضع الدمار الرهيب

ة رمزًا لما يحدث في المعمودية، حيث تتهلل الطغمات السمائية بالمعمدين حديثًا ضض رؤوس إبليس التنين، ويفقد سلطانه عليهم.

طينوس أن صوت الرعد في الزوبعة يشير إلى صوت الوصية الإلهية التي ترعد البروق فهي تضيء كالبرق في أعماقنا.

لكَثِيرَةِ،

19].

سط البحر وسط المياه على الجانبين وفي طريق لم تعبر عليه قدم إنسان من قبل. ريد وفائق لا يقدر الفكر أن يحصره أو يدركه.

طينوس أن الأمم جميعًا تشبه البحر، مياهه مالحة ومرة، وعواصفه وتياراته لا في قدسه [13] هو في البحر، إذ نزل المسيا القدوس إلى العالم وبشرّ الأمم وصار مع هذا فإن اليهود لم يؤمنوا به، وكأنهم لم يعرفوا آثاره. يقولون إن المسيا لم يأتِ يمشي على البحر.

ن يرى أثرًا على المياه لإنسانٍ أو لمركبٍ ولأولئك الذين يسبحون فيها، هكذا لا طرق الإلهية فائقة الوصف [32].

القديس كيرلس الكبير

على البحر لو لم يكن خالق المسكونة؟ إنه بالحق تحدث عنه الروح القدس منذ زمن يوب: "الباسط السماوات وحده، والماشي على أعالي البحار" (أي 9: 8). وتحدث الحكمة: "سكنت في الأماكن العالية، وعرشه كان على عمود السحاب، وأسير في أمشي على أمواج البحر" (سي 24: 4-5) بالمثل أعلن داود في مزموره: "**في وسبلك في المياه الكثيرة يا الله**" (مز 77: 19 .

خاصة في الشرق - يتقدم الراعي الغنم، حتى تسير وراءه في طمأنينة من أي ذئب

لخفي، الذي لن يحرم الإنسان من التمتع بروح القيادة والرعاية، فقد وهب موسى شعبه بقوته الخفية.

طينوس أن الرب الذي أرسل موسى وهارون لرعاية اليهود وشق لهم البحر ط البحر لم يؤمنوا بعد أنه جاء وجعل طريقه وسط الأمم الشعوب الكثيرة.

متع براحة السماء!

ة للغاية،

هي.

في ضيقٍ مثلي،

غضبك عليّ.

تك معي في الماضي، فأتساءل:

ك؟

ووعودك إلى دهر الدهور؟

تعلم الصراخ إليك.

تتكلمان بلغة الدموع.

وحدك تسمعه وتستجيب له!

د الضيق.

سواك.

م كله في عيني،

نك ليلتقي بك، يا ملجأ البائسين!

سبت السماوي.

.

العالم!

: "جيد يا رب أن نكون ههنا!"

ن لإغرائي.

ب الشباك لي في طريقي!

ر الطريق!

يمين الآب كأنك قد تغيرت،

واليوم وإلى الأبد.

إنسانًا،

مع أبيك!

.

ك القدوس.

بالحياة المقدسة.

والحق والحياة،

سةً!

لأحمر ونهر الأردن.

جج فارتعدت.

لشعوب وآمنت بك يا مخلص العالم.

صوتًا،

ت السحب، أنبيائك!

يلك يرعد في كل المسكونة!

ع إلى رحلة سماوية مبهجة.

عربون السماء!

وسنا،

نلتقي بك يا مخلص النفوس!

13 (130 في الأجبية) - تفسير سفر المزامير

فرح بالصليب واهب النضوج

من المجموعة الرابعة من مزامير المصاعد التي تمثل سفر العدد. فإن كان سفر
حول أرض الموعد، فإن المرتل يشعر أنه يتمتع بأرض الموعد لا من أجل برِّه ولا
هبةٍ يقدمها الله كأبٍ لابنه الطفل الفطيم.

البرية تمثل الصلب مع السيد المسيح، وقد رأينا في المزمور 129 الدعوة للصلب
ور 130 بالصليب ينفتح لنا باب الرجاء وننعم ببهجة القيامة وقوتها، ففي هذا
د أدرك أنه بالفرح بالصليب ينعم بالنضوج والنمو المستمر.

غير عن روح التواضع الذي اتسم به داود النبي، الذي قلبه مثل قلب الله.

مور جاء كرد فعل لتصرف ميكال ابنة شاول حين رقص أمام تابوت العهد. قالت:
ئيل اليوم حيث تكشف اليوم في أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء" (2 صم
ه: "إني أتصاغر دون ذلك، وأكون وضيعا في عيني نفسي، وأما عند الإماء التي
6: 22).

تشامخ أصحاب السلاطين، فقد قيل للكاروب الساقط: "قد ارتفع قلبك لبهجتك،
هائك، سأطرحك إلي الأرض" (حز 28: 16-17) "مكرهة الرب كل متشامخ
أم 16: 5).

حا أن يصيرا كالله (3: 5) وذلك بروح الكبرياء، فإن المرتل داود اشتهي أن يكون
اشتهى أن يكون كل شعب الله أو كنيسته كالرضع الصغار يتكئون على الله ويثقون
.

المزمور متذكرًا أنه عاش كصبي يرعى الغنم، ولم يطمح يومًا ما في الجلوس
اتهمه أخوه الأكبر أليآب بالكبرياء ظلمًا، حين قال له: "لماذا نزلت؟ وعلى من
يلة في البرية. أنا علمت كبرياءك وشر قلبك، إنما نزلت لكي ترى الحرب" (1

به دفاعًا عن نفسه عندما اتهمه البعض من حاشية شاول الملك أنه كان يطمع في
ط لذلك [1].

.1-2
.3

دَاوُدَ

ي،

ائِمِ،

ي [1].

ة للرب، معلنًا عطية التواضع النابعة من أعماق قلبه، كعطيةٍ قدمها الله له. وفي لموهبة بعدم رفع عينيه متطلعًا إلى نوال مركز أكبر، ولا التصق بالعظماء لهدفٍ في أمور فوق قدراته أو مواهبه.

لا للافتخار وإنما للشكر، فإذ كانت التجارب تلاحقه منذ صباه، فخلالها تمتع بروح يب الذي يسمح الله له به لأجل بنيانه ونموه الروحي.

هبي الفم كيف يفتخر المرتل، ليس أمام شخص أو اثنين أو عشرة أشخاص بل وديع ومتواضع وبسيط كالفطيم نحو أمه [2]. فإنه أحيانًا يلتزم الإنسان بالافتخار

بالرب" (2 كو 10: 17؛ راجع إر 9: 24). من لا يفتخر بالصليب يكون غبيًا (المسيحي). من لا يفتخر بالإيمان يكون أكثر بؤسًا من الجميع. من لا يفتخر ويتكلم يكون في طريق الدمار. لهذا كان الرسول واثقًا بما فيه الكفاية، ليقول: "وأما من تخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح" (غل 6: 14). وبطريقةٍ مماثلةٍ: "لا يفتخر م بحكمته، وإنما ليفتخر بفهمه ومعرفته للرب" (راجع إر 9: 23-24).

القديس يوحنا الذهبي الفم

الروح.. وكذلك **داود الطوباوي**، بالرغم من أنه كان شديد الحرص على مخازن يخاطب الله الذي لا يُخفي عنه أسرار ضمائره (أسراره الداخلية) كما في مز 130 (101): 1-2. مع هذا لكونه عرف صعوبة السهر حتى بالنسبة **للكاملين لم يعتمد** ، بل صلى إلى الله وطلب معونته، حتى يمكنه أن يخرج منتصرًا من ضربات **رب مخاصميّ، امسك مجنًا وترسًا وانهض إلى معونتي**" (مز 1:35، 2). ولأنه . فيما قيل عن الكبرياء لذلك يقول: **"يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعين**)، **"مكرهة الرب كل متشامخ القلب، يدًا ليدٍ لا يتبرّأُ"** (أم 5:16) [3].

القديس يوحنا كاسيان

[1]. إنه يقدم ذبيحة. كيف نبرهن أنه يقدم ذبيحة؟ لأن **تواضع القلب هو ذبيحة**...

وجد كاهن. ولكن إن كان لنا رئيس كهنة في السماوات يشفع لدى الآب عنا (إذ داخل الحجاب)...

اهن؛ لنقدم ذبيحتنا هناك. لنضع في اعتبارنا أية ذبيحة يلزمنا أن نقدمها، لأن الله لا سمعون في المزامير (مز 51: 16). ولكن في ذات الموضع يُظهر ما يقدمه: سرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره" (مز 51: 17).

القديس أغسطينوس

سِي كَفَطِيمٍ نَحْوَ أُمِّهِ.

م [2].

فدعا يسوع إليه ولدًا وأقامه في وسطهم، وقال: الحق أقول لكم، إن لم ترجعوا ن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت 18: 1-4).

وت التزامهم بالرجوع ليصيروا مثل الأولاد، فيدخلوا ملكوت السماوات. إنه ليس نمو نحو الطفولة المتواضعة البسيطة. فالإنسان خلال خبراته على الأرض تنتفخ لدخول من الباب الضيق. لهذا يليق به أن يتخلّى عن كل كبرياء لكي تصغر ذاته بر خلال سيّده المصلوب من باب التواضع، الذي هو الباب الملوكي والمدخل .

عنى الوداعة، وكما يقول الرسول بطرس: "إنسان القلب الخفي في الحديمة

ً ينتفخ بل بالأكثر يتواضع، وكما يقول ابن سيراخ: "ازدد تواضعًا ما ازددت
الرب" (سي 3: 18).

أكون معروفًا بين الناس بقواتٍ عجيبة، ولا أطلب شيئًا فوق قدرتي، أفتخر بها بين
ن الساحر الذي أراد أن يتقدم في العجائب فوق قدراته، ولهذا سُر بالأكثر بسلطان
[4].

القديس أغسطينوس

ا، ومجدنا في عدم محبّتنا للمجد، وليكن اشتياقنا منصبًّا فيما يُسِر الله، واضعين في
: **"إذ تصيرون عظماء تتّضعون بالأكثر، فتجدون نعمة لدى الرب"** (ابن سيراخ
المتعجرفين، ويحسب المتكبّرين كأعداء له، لكنّه يكلِّل الودعاء ومتواضعي الذهن

القديس كيرلس الكبير

يليق بتلاميذ المسيح أن يتمثلوا به إلا الذي قال عنه إشعياء: **"يُولد لنا ولد ونعطَى**
ذا الذي قال: **"اِحمل صليبك واتبعني"** (مت 16: 24). هذا الذي تميّز بأنه **"إذ**
ًا، وإذ تألّم لم يكن يهدّد" (1 بط 2: 23). هنا الفضيلة الكاملة في الطفولة حيث
كرّمة، كما تحمل الشيخوخة براءة الطفولة[6]".

القديس أمبروسيوس

ضدها المبالغة، اخترت التواضع والاعتدال والندم. هذا هو ذات الوصية التي
بالقول: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تدخلوا ملكوت السماوات"
رتل: مارست تواضعًا مثل هذا، مثل رضيع على الصدر، كما يلتصق بأمه في
امخٍ، يحيا في بساطة وبراءة، هكذا أنا في علاقتي بالله، التصق به دون توقفٍ [7].

القديس يوحنا الذهبي الفم

فسطينوس عدة آراء بخصوص تشبيه المرتل نفسه بالفطم نحو أمه، من بينها أن
متواضعين، فلا نطلب عجائب فوق قدراتنا، وأن نرتفع ونسمو بفطمنا عن اللبن
ضح يا إخوتي أن الله يريدنا أن نعرف متى نكون متواضعين ومتى نرتفع. نكون
كبرياء، ونرتفع لكي نكون في الحكمة. نقتات باللبن لكي ما ننتعش، وننتعش لكي
بزًا. ولكن حين نأكل خبزًا نُفطم فلا نتغذى باللبن بل بالطعام القوي. هذا ما عناه...
[8]

ولم يدركوا أنها بداية عملية للتمتع بأرض الموعد.

ّ،

رِ [3].

ائيل الجديد) تترجى الرب حتى تبلغ الأبدية، حيث ينتهي الرجاء، وتنعم بالحقيقة

ية لنتكل على الرب الإله؛ لأنه عندما نبلغ الأبدية لا يعود بعد رجاء، بل تصير

القديس أغسطينوس

يريح المستمع ويتمثل به، لذلك يقول: **"لِيَرجُ إسرائيل الرب، من الآن وإلى**

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 131

لتفطمني عن محبة الله

بعذوبة صليبك

ت العالم،

حب الفائق.

ات الزمنية،

ن،

و بغنى نعمتك!

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالثَّلاَثُونَ

صداقة فريدة

رأينا في المقدمة على مزامير المصاعد أن المجموعة الخامسة منها (مز 132-134) تمثل سفر التثنية، حيث يشتهي المؤمن أن يدخل في صداقة مع الله كما كان موسى النبي. الآن في هذا المزمور نجد نوعًا من الميثاق بين الله وداود. فالأخير في وداعةٍ وتواضعٍ لا يجد راحته، ولا يدخل إلى بيته، ولا يصعد على سرير فراشه، ولا يعطي لعينيه نومًا حتى يجد موضعًا للرب، ومسكنًا لإله يعقوب. ومن جانب الرب نفسه، فقد اقسم لداود أن يجعل من بنيه من يجلس على كرسيه إلى الأبد، إن حفظ بنوه عهده.

هذا ما يشتهيه المؤمن الحقيقي، أن يرتبط بصداقة مع الرب إلهه، فيجد الرب راحته في قلب المؤمن كمسكنٍ له، ومن جانب الله، فهو يود أن يدخل به إلى خبرة الحياة الملوكية السماوية.

يرى البعض أن داود المرتل قام بتسجيله بروح الله بمناسبة إحضار تابوت العهد إلي المدينة المقدسة (2 صم 6: 14. 15). وأنه مزمور نبوي مسياني. بلا شك بقيت اللحظات التي عاشها داود مع كل أورشليم حين أحضر تابوت العهد لا تفارق عينيه. إنها لحظات مفرحة، بل كانت مصدر تعزية مستمرة له حتى وسط ضيقاته. لقد اهتز كل كيانه، فرقص أمام تابوت العهد كطفلٍ صغيرٍ، وأنشدت فرق المسبحين الترانيم المقدسة، مستخدمين كل أنواع الآلات الموسيقية في ذلك الحين (2 صم 6).

يرى آخرون أن واضع المزمور سليمان الحكيم الذي دعاه الرب لبناء الهيكل خلال وعده لأبيه داود (2 صم 7: 13). فهو يسجل مجهودات أبيه وتهليل بهذا الحدث الفريد، مع الكشف عن شوقه وجهاد لبناء بيت للرب. أراد سليمان أن يتذكر الشعب على الدوام وعد الله لداود أبيه بخصوص اقامة مسكن الله.

ويرى فريق ثالث أنه وُضع في نهاية السبي البابلي حيثُ عيد بناء الهيكل ووُضع فيه تابوت العهد.

هذا المزمور هو أحد المزامير التي نسبح بها في "تسبحة النوم"، حيث نعلن أننا لن نستريح، وننعم بنومٍ مملوءٍ سلامًا ما لم يسكن الله في قلوبنا، كما نطلب من الله أن يجد فينا قدسه، موضع راحته.

كان يُسبح به في موكب ليتورجي مفرح، في طريق تابوت العهد إلى الهيكل. الالتصاق بالرب يجعل من صهيون مركزًا للبركة الإلهية، والحياة الخصبة والفرح والأمان بالنسبة للمتكلين عليه.

في هذا المزمور يذكر المرتل الشعب بوعود الرب العظيم لداود أنه يحكم في صهيون، وكيف نذر داود أن يبني بيتًا للرب [1-5]. وأعلن عن وعد الرب لداود أنه يبارك نسله [10-13]، ويجعل من صهيون عاصمة له [14-18].

يقول Gabelein إنه ليس من حاجة للقول بأن المزمور يتطلع إلى ذلك الذي هو أعظم من سليمان، هذا الذي صار ملكًا في صهيون، ابن داود وربه[1].

1. شوق لبناء بيت للرب 1-5.
2. نزول الكلمة ليسكن بيننا 6-10.
3. يقيمنا ملوكًا 11-13.
4. راحته في راحتنا ونصرتنا 14-18.

1. شوق لبناء بيت الرب

إحضار داود النبي والملك لتابوت العهد إلى أورشليم هو إعلان عن شوق عملي صادق ورغبة أكيدة حارة أ ن يقيم للرب بيتًا له، وقد أقسم للرب ونذر للقدير إله يعقوب أن هلن يستريح حتى يتمم هذا. وقد تحدث داود مع ناثان النبي في هذا الأمر (2 صم 7: 1-2).

إن كان هذا هو شوق داود النبي من جهة إقامة مبنى كبيتٍ للربِ، فكم يكون شوقه أن يصير الإنسان مسكنًا للرب؟ فقد تحقق هذا لا بدخول التابوت إلى أورشليم، بل بنزول كلمة الله متجسدًا إلى عالمنا ليسكن فينا.

❖ يقول داود هنا: لست أطلب موضعًا لراحتي سوى المسيح الذي يولد من نسلي، هذا الذي تسبحونه، وهو من ثمرة بطني[2].

القديس جيروم

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ
اُذْكُرْ يَا رَبُّ دَاوُدَ كُلَّ ذُلِّهِ [1].

---

[1] *Gabelein, p. 464.*
[2] *Homilies on Psalms, homily 44.*

يجيب **القديس يوحنا الذهبي الفم** على المتسائلين كيف يُقال عن داود " **وكل دعته** "، مع أنه رجل حرب، وكيف يُقال عن موسى: "كان حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض (عد 12: 3)، بالرغم من موقفه مع فرعون خاصة في حدوث الضربات العشرة، وموقفه مع المصري الذي كان في نزاع مع يهودي... يجيب بأن من وداعة موسى أنه لم يدافع قط عن نفسه، ولم يحمل عداوة شخصية، ولا طلب انتقامًا لمن أخطأ إليه شخصيًا. ونفس الأمر بالنسبة لداود النبي.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن سرّ وداعة داود النبي ليس فقط سلوكه وتعامله مع الذين أساءوا إليه، وإنما ما هو أهم أمران: الأول أنه **كان يخاف الله ويرتعد من كلمته** ، أي أن كلمة الله كانت نصب عينيه وعلة تقواه، والأمر الثاني مع **اشتياقه لبناء الهيكل** والإعداد له وبناء أورشليم مدينة الله. كان مهتمًا بالتجديد في الحياة الروحية بروح الوداعة والتواضع، يربط بين الهيكل الخارجي وهيكل النفس الداخلي.

❖ داود بحسب واقع التاريخ كان ملك إسرائيل، ابن يسى. بالحق كان وديعًا كما تشهد الأسفار المقدسة نفسها... كان وديعًا فلم يرُد الشر بالشر لمضطهده شاول. احتفظ أمامه بتواضعٍ شديدٍ، حيث تحدث معه كملكٍ، وحسب نفسه كلبًا، ولم يُجب على الملك بتشامخ أو فظاظة، مع أنه أكثر منه في القوة بالرب. إنما سعى أن يسترضيه بالتواضع، ولا يثيره بالكبرياء. لقد سُلِّم شاول له تحت سلطانه من قِبَل الرب الإله، ليفعل به كما يشاء، وإذ لم تصدر إليه وصية بقتله قدَّم له الرحمة التي قدمها الله له[1].

القديس أغسطينوس

❖ التحدث عن وداعته يقتضي ذكر قصصه فيما فعله مع شاول ومع إخوته ويوناثان، وصبره على الجندي الذي صب له شتائم بلا حصر (2 صم 16: 5-13)، وأمور أخرى أكثر أهمية من هذه، قادته إلى فكره الرئيسي (منهجه) على نقطة حساسة كانت واضحة في غيرته. والآن لماذا فعل هذا؟ لسببين:

الأول: مسرة الله الخاصة به. يقول الكتاب: أُذكر إلى من أنظر، إن لم يكن للوديع والهادئ الذي يرتعد من كلامي (راجع إش 66: 2).

الثاني: دافعه الرئيسي نحو إقامة الهيكل وبناء المدينة وإصلاح الطريق القديم للحياة،

---

[1] *On Psalm 132 (131).*

الأمور التي وجه إليها اهتمامه[1].

❖ يا لعظمة هذا الرجل! ويا لسمو روحه! هذا الذي كان الناموس يطالبه "**عين بعين وسن بسن**" (تث 19: 22) فإنه لم يبلغ إلى هذه الدرجة فحسب بل نال درجة عالية من الحكمة. ولم تقف حكمته في عدم قتل شاول الخصم العنيف، بل ولم ينطق بكلمة غير لائقة ضده، مع أنه لو تكلم ما كان شاول يسمعه. أما نحن فكثيرًا ما نتكلم بالشر حتى ضد أصدقائنا عندما يكونون غائبين.

يا لحنان روحه! إنه بحق قد تبرر كما جاء في القول: "**أذكر يا رب داود وكل دعته (وداعته)**" (مز 132: 1).

لنقتدِ به فلا ننطق بكلمة ضد عدونا ولا نصنع به شرًا بل نقدم له الخير قدر المستطاع، فإننا بهذا نصنع خيرًا مع أنفسنا أكثر مما نصنعه معهم. فقد أمرنا أن نغفر لأعدائنا فتغفر خطايانا (مت 6: 14)[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الودعاء هم اللطفاء، والمتواضعون لا يبالون بالمظاهر، بسطاء في الإيمان، وصبورون في مواجهة أية إهانة. إذ يتشربون بوصايا الإنجيل يتشبهون بوداعة الرب القائل: "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب" (مت 11: 29). وجد موسى أعظم نعمة لدى الله، لأنه كان وديعًا. "وأما الرجل موسى فكان حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد 12: 3)[3].

الأب خروماتيوس

كَيْفَ حَلَفَ لِلرَّبِّ،
نَذَرَ لِعَزِيزِ يَعْقُوبَ: [2]

لم نسمع عن هذا النذر الذي أقامه داود بخصوص بناء بيت للرب إلا في هذا الموضع، إنما نسمع عن غيرته المتقدة بخصوص العبادة الجماعية، وأيضًا اشتياقه لبناء بيت الرب لكي تستقر هذه العبادة.

---

[1] *On Ps. 132.*

[2] رسالتك في الحياة للقديس يوحنا الذهبي الفم تعريب القمص تادرس يعقوب ملطي.

[3] *Tractate on Matthew 17: 4: 1-2.*

تارة يفترض **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن واضع المزمور هو داود النبي وأخرى سليمان بن داود، فيطلب من الرب أن يحقق ما وعد به أباه.

❖ نذر داود كما لو كان الأمر في قدرته، وصلى إلى الله حتى يتمم نذره. بنذره أوجد تكريسًا، وبصلاته تواضعًا. ليته لا يظن أحد أنه يتمم ما نذره بقوته. الذي يحثك على النذر، هو نفسه يساعدك على التنفيذ.

القديس أغسطينوس

لاَ أَدْخُلُ خَيْمَةَ بَيْتِي.
لاَ أَصْعَدُ عَلَى سَرِيرِ فِرَاشِي [3].

لاَ أُعْطِي وَسَنًا لِعَيْنَيَّ
وَلاَ نَوْمًا لأَجْفَانِي [4].

بقوله هذا يُعلن أنه لا يريد أن يعبر يوم ما في حياته دون أن يعمل بكل جدية وفي غيرة متقدة لبناء هيكل الرب.

المؤمن الحقيقي حريص على الجدية في تمتعه بسكنى الله في قلبه، ناميًا في هذه الخبرة الحية كل يومٍ دون تراخٍ أو تأجيل للغد.

❖ حقًا لن نكف عن السهر والصلاة والجهاد والعمل حتى يُسر الرب بنفوسنا، ويختارها مسكنًا يقيم فيها، قائلاً: "**هذا هو موضع راحتي إلى دهور أبدية. ههنا أسكن، لأني اشتهيتها**[1]"

الأب مرتيروس السرياني

❖ يرشد الله الكل بعمل نعمته، فلا تملّوا ولا تخر قلوبكم، بل اصرخوا إليه ليلاً ونهارًا لتقتنوا حنو الله فيعلمكم من الأعالي ما يجب أن تفعلوه.

لا تعطوا لأعينكم نومًا، ولا لأجفانكم نعاسًا (مز 4:132) حتى ترفعوا نفوسكم ذبائح محرقات طاهرة، وتعاينوا الله. لأنه بدون قداسة لا يقدر أحد أن يعاين الله كقول الرسول (عب 4:12)[2].

القديس أنبا أنطونيوس الكبير

---

[1] *Book of Perfection.*

[2] رسالة 5.

❖ **قال الأب كرونيوس:** "لو لم يقُدْ موسى النبي غنمه إلى جبل سيناء لما رأى النار في العليقة". فسأله أخٌ: "ما الذي تشير إليه العليقة؟ فقال له: "العليقة تشير إلى تعب الجسد، لأنه مكتوبٌ: "يُشبه ملكوت السماوات كنزًا مُخفيٍ في حقل" (مت 13: 44). فقال الأخ للشيخ:"إذًا، فالإنسان لا يصل إلى أيّ مكافأة بدون ضيق الجسد! فقال له الشيخ: "حقًا إنه مكتوبٌ: "ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليبٌ"(عب 12: 2)، وداود النبي أيضًا قال:"إنِّي لا أدخل إلى مسكن بيتي ولا أصعد على سرير فراشي إلى أن أجد موضعًا للربٌ" (مز132: 4)."

فردوس الآباء

❖ عندما يأتي الله الكلمة وينتهي تقدم هذه الحياة، فإنه يجمع ذاك الذي لا يعطي نومًا لعينيه ولا نعاسًا لأجفانه (مز 132: 4)، وحفظ وصايا ذاك الذي قال: "اسهروا... في كل حين" (لو 21: 36) .

العلامة أوريجينوس

أَوْ أَجِدَ مَقَامًا لِلرَّبِّ،
مَسْكَنًا لِعَزِيزِ يَعْقُوبَ [5].

❖ أين بحث عن موضع للرب؟ إذ كان وديعًا بحث عن الموضع في نفسه. إذ كيف يكون الشخص موضعًا للرب؟ اسمع النبي: "أين تستريح روحي؟ على المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي" (راجع إش 66: 2). أتريد أن تكون موضعًا للرب؟ كن مسكينًا بالروح، ومنسحقًا، ومرتعدًا من كلمة الله، وعندئذٍ تصير أنت ما تطلبه .

❖ اطلب صداقة المسيح بدون خوف، فإنه يريدك أن تستضيفه في بيتك، أعدد له موضعًا. ماذا يعني أن تعدد له موضعًا؟ لا تحب ذاتك، حبه هو. فإن كنت تحب ذاتك تغلق الباب أمامه. إن كنت تحبه، تفتح الباب له. وإن فتحت يدخل، ولا تضيع أنت بحبك لذاتك، إذ تجد نفسك معه، مع ذاك الذي يحبك[3].

القديس أغسطينوس

---

[1] *Commentary on Matt., 56.*
[2] *On Psalm 132 (131).*
[3] *On Psalm 132 (131).*

❖ يستطيع الإنسان أيضًا أن يحصّن نفسه بعوارض حينما يرتبط بوحدة المحبة.

ويمكنه أن يقف على الأسس الفضية عندما يتأسس في ثبات كلمة الله النبوية والرسولية.

يمكنه أن يزيّن رؤوس الأعمدة بتيجان إذا كان ت تيجانه هي الإيمان بالمسيح، لأن "رأس كل رجل هو المسيح" (1 كو 3:11).

ويمكن للإنسان أن يقيم في نفسه عشرة ديار، وذلك حينما يتعمق لا في كلمة أو اثنتين أو ثلاث كلمات من الشريعة، ولكن يتمتع باتساع المعنى الروحي للوصايا العشر للناموس وعندما يثمر ثمر الروح: فرح، سلام، طول أناة، وداعة، لطف، تعفف، إيمان، صلاح، وبالأخص عندما تتضاف المحبة فوق كل تلك الثمار. لتكن هذه النفس يقظة: "لا تعط ي نعاسًا لعينيها ، ولا نومًا لأجفانها ، ولا راحة لصدغها" حتى تجد مسكنًا لإله يعقوب (مز 132:4-5)[1].

العلامة أوريجينوس

❖ اختر لك عملاً تدوم فيه إلى النهاية. ضع يدك على المحراث ولا تلتفت إلى الوراء، بل ثبِّت اهتمامك بما هو أمامك وأنت تصرخ قائلاً: "لا أعطي لعينيَّ نومًا، ولا لأجفاني نعاسًا، ولا راحة لصدغي، إلى أن أجد موضعًا للرب، ومسكنًا لإله يعقوب" (مز 132: 4-5). لأن الإنسان الذي يطلب الله لا يجد راحةً حتى يستجيب له الله. فكما هو مكتوب: "هذا المسكين صرخ، والرب اسمعه ومن كل ضيقاته خلَّصه" (مز 34: 6).

القديس إسطفانوس الطيبي

❖ لنقف ضد الشرير محصنين بهذه الأشياء لتكون كدروعٍ لا تنهزم، متيقظين ومستعدين وكأنه نهار. دعونا نطعنه بسهام كلمات الروح ونقطع عنه كل أمله... لأننا أقسمنا لله وأخذنا عهدًا لإله يعقوب بأن "**لا أعطى وسنا لعيني ولا نوما لجفني أو أجد مقاما للرب ومسكنا لعزيز يعقوب**" (مز 132: 4-5) ليسكن داخل قلوبنا. بالتأكيد لن نكف عن السهر والصلاة والاجتهاد إلى أن يسر الله بأرواحنا ويختارها كمسكنٍ له قائلين: "**هذه هي راحتي إلى الأبد، ههنا أسكن، لأني اشتهيتها**" (مز 132: 14)[2].

---

[1] *Origen: In Exod. hom.9:4 (Ronald E. Heine).*

[2] كتاب الكمال، 72.

مارتيريوس – Sahdona

❖ لا تتبع راحة الجسد، ولكن صلِ وصلِ بجد واهتمام حتى ولو كنت طول النهار تكد وتتعب. لا تكن مهملاً في الصلاة المقدسة، بل انتصب وقل صلاتك من قلبك حتى نهايتها، لأنها واجب عليك نحو الله. "لا أصعد على سرير فراشي، ولا أعطي لعيني نومًا، ولا أجفاني نعاسًا، ولا راحة لصدغي، إلى أن أجد موضعًا للرب (مز 132) أما إذا سمحت لنفسك أن تصلي بدون اعتناء، وليس من كل قلبك، فلن تجد راحة في صلاتك أو بعد صلاتك، فإن أردت أن تستريح حقًا، فاغسل خطاياك بالدموع أمام الله. "أعوم كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي" (مز 6). إذن احترس أن لا تمدد جسدك أمام الله، وتزدري بالصلاة من أجل راحة الجسد.

القديس مار إسحق السرياني

❖ يقول: لأنني من نسله، وأنت قبلته من أجل غيرته، وقلت أنك تثبت نسله ومملكته، لهذا الآن نسألك تحقيق هذا الاتفاق. لم يقل: "حتى أبني (الهيكل)"، وإنما حتى "**أجد مقامًا للرب ومسكنًا**" [5]... إنه يذكِّره بأنه هو نفسه الباني أكثر منه أنه الابن... لاحظوا حماسته: إنه لم يقل فقط أنه لا يدخل البيت ولا يصعد على سرير فراشه، إنما ولا يجد راحة للتمتع بهذه الأمور الصادرة عن ضرورة الطبيعة، ما لم يجد مقامًا ومسكنًا لإله يعقوب. لاحظوا مرة أخرى غيرته وانسحاق قلبه: الملك المُسلط على كل شيء يقول: إلى أن أجد مقامًا ومسكنًا لإله يعقوب. لم يهدف فقط نحو البناء، بل في إيجاد مقام لائق ومناسب للهيكل، الأمر الذي يحتاج إلى بحث؛ وكانت نفسه يقظة لهذا الأمر [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2. نزول الكلمة ليسكن بيننا

هُوَذَا قَدْ سَمِعْنَا بِهِ فِي أَفْرَاتَةَ.

وَجَدْنَاهُ فِي حُقُولِ الْوَعْرِ [6].

هذه ربما كانت كلمات داود النبي وأصدقائه الأتقياء الذين سمعوا عن تابوت العهد حين كانوا في أفراتة أو بيت لحم ووجدوه في قرية يعاريم (1 صم 7: 1؛ 2 صم 6: 3-4)،

---

[1] *On Ps. 132.*

ومن هناكُ أصعد إلى صهيون.

تشير الآيتان 6–7 إلى التابوت فعلاً الذي أُخذ من إسرائيل وسقط المنتصرين في قرية يعاريم، وظل هناك عشرين سنة (1 صم 7).

يفسر البعض "أفراته" أنها بيت لحم، لكن لم يكن التابوت هناك أبدًا. غير أن هـمن المحتمل أن أفراته هو اسم منطقة "قرية يعاريم"، ومما يؤكد هذا الرأي أن هذا الموضع كان يخص كالب أفراته (1 أي 2: 24).

❖ يمكننا أن نفهم ببساطة أن أفراته تُقال عن بيت لحم. وقد وُلد المسيح في بيت لحم. مبارك بالحق الموضع الذي فيه تم الاحتفال به زمانًا طويلاً بهذا المزمور الذي للأنبياء قبل حلول وقت (تجسده). حقًا كل الأماكن مقدسة ومكرمة حيث وُلد المسيح، وحيث صلب. لكن هذا الموضع بالحق له كرامة أعظم. تأملوا رأفة الله الحانية! هناك وُلد طفل فقير صغير، ووُضع الطفل في مزود، لأنه لم يكن لهما موضع في المنزل (لو 2: 7)[1].

القديس جيروم

يرى **القديس أغسطينوس** أن كلمة أفراتة تعني مرآة، وكأننا قد سمعنا عنه في نبوات الأنبياء كما في مرآة، لكننا وجدناه في حقول الوعر، أي في الأمم التي تركت الوثنية وآمنت به. لقد قدَّم الأنبياء السيد المسيح كما في مرآة، أما الأمم فحلَّ بالإيمان في قلوبهم.

❖ يقول: "**هوذا قد سمعنا به في أفراته**"، أي أخبرنا آباؤنا بهذا. تعلمنا هذا بسماع الأذن، أنه كان يتحرك هناك في الحقول والسهول، وأخيرًا جاء إلى الراحة. ليحدث هذا الآن أيضًا[2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لِنَدْخُلْ إِلَى مَسَاكِنِهِ.

لِنَسْجُدْ عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ [7].

لقد اشتهى الابن الضال أن يترك بيت أبيه ولا يسكن فيه، وظن في ذلك أنه يتمتع بالحرية، ويكون سيدًا لنفسه، فبدَّد ماله. أما المرتل فاشتهى أن يدخل إلى مسكن أبيه السماوي، ويعمل حسب إرادة أبيه.

السجود عند قدمي الرب علامة التسليم الكامل بفرحٍ، ليعمل إرادة المخلص لا إرادته

---

[1] *Homilies on Psalms, homily 44.*
[2] *On Ps. 132.*

الذاتية

❖ ألا ترون عظمة دقة التعبير الذي يستخدمه بخصوص مسكن الله: الموضع الذي تطأه قدماه. هذا كله يشير إلى موضع التابوت حيث كانت أصوات مرعبة تصدر لليهود تحل ألغاز ونبوات مستقبلية[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ الذين يجوبون العالم ويكرزون بالإنجيل يشهدون بأقدام الرب، الذي يتنهأ عنهم الروح القدس في المزمور: "**لنسجد عند موطئ قدميه**"، أي حيث الرسل، قدماه، قد بلغوا، لأنه كرز بهم، وبهم جاء إلى أقاصي الأرض[2].

القديس إكليمنضس السكندري

في حديث **الأب يوحنا الدمشقي** عن السجود وأنواعه، يوضح بصورة قاطعة التمييز بين السجود للعبادة، وهذا خاص بالله وحده، والسجود للتكريم كما سجد يشوع بن نون ودانيال للملاك، وداود أمام تابوت العهد **(عند موطئ قدميه)** والسجود للاحترام والشكر، كما فعل إبراهيم أمام بني حث، حين قدموا له أرضًا لدفن سارة زوجته.

❖ السجود هو الوسيلة التي عن طريقها نظهر البرّ والتكريم. دعنا نفهم أن هناك درجات مختلفة من السجود. أول شيء يوجد السجود، الذي نقدمه لله المستحق وحدة للعبادة، وبعد ذلك من أجل من هو مستحق للعبادة بطبيعته، نكرم أصحابه وشركاءه، مثلما سجد يشوع بن نون ودانيال للملاك، أو كما بجّل داود أماكن الله المقدّسة، عندما قال: " **لندخل إلى مساكنه. لنسجد عند موطئ قدميه** " (مز 132: 7). أو مثلما قدم شعب إسرائيل التقدمّه والعبادة في خيمته، أو عندما أحاطوا بالمعبد في أورشليم، مثبتين نظرهم عليه من كل ناحيّة، ومتعبدين كما أمرهم الملك، أو كما سجد يعقوب إلى الأرض أمام عيسو، أخيّة الأكبر، وأمام فرعون صاحب السلطة المعطاة له من الله (تك 47: 7). وإخوة يوسف وقعوا أمامه إلى الأرض (تك50: 18). سجود آخر يُقدّم للتعبير عن الاحترام، كما كان الحال مع إبراهيم وبني حث. فإما أن نلغي السجود بالكامل أو أن نقبله بالأسلوب والاحترام المناسب[3].

---

[1] *On Ps. 132.*
[2] *Paedagogus 2: 8.*
[3] عن الصور المقدّسة، الدفاع الأول، 14.

القدّيس يوحنا الدمشقي

قُمْ يَا رَبُّ إِلَى رَاحَتِكَ،
أَنْتَ وَتَابُوتُ عِزِّكَ [8].

استخدم سليمان نفس العبارات عند تدشين الهيكل (2 أي 6: 41-42).

تنطبق أيضًا هذه العبارة على اليهود في عودتهم من السبي، واشتهوا بناء الهيكل لكي يعلن الله مجده هناك.

إنها أيضًا صرخة كل مؤمنٍ تخرج من أعماق قلبه يوميًا، مشتهيًا أن يعلن الرب مجده فيه، وأن يستريح الرب في أعماقه، فقد سبق فقال السيد المسيح: "ليس لابن الإنسان أين يسند رأسه".

تشير كل الأمور نبويًا إلى ذاك التجديد العظيم الآتي الذي حققه ابن داود الحقيقي، الرب الممسوح يسوع المسيح.

"**قم أيها الرب** ": تكرر تسبحة الاحتفال في الموكب المتقدم في (عد 10: 35؛ مز 168: 1). إن كان ثمة لغة عسكرية يتردد صداها في العبارة " **تابوت عزك**" إنما لتوحي بالثقة المتناهية في الملك داود كما في التابوت المقدس.

❖ أنتم تعرفون مَنْ الذي نام، والذي قام... إنه رأسنا، تابوته هو كنيسته. قام أولاً، وكنيسته ستقوم أيضًا. ما كان يمكن للجسد أن يجسر ويعد نفسه بالقيامة ما لم يقم الرأس أولاً. جسد المسيح الذي وُلد من مريم يفهمه البعض أنه تابوت القدس، وكأن الكلمات تعني: قم بجسدك، حتى لا يُحرم الذين يؤمنون (من القيامة) [1].

القديس أغسطينوس

❖ تعالوا أنتم أيضًا أيها الأحبّاء الأعزّاء نتغنّى بالأنشودة التي تعلّمنا إيّاها قيثارة داود الملهمة قائلة: "قم يا رب إلى راحتك، أنت وتابوت موضع قدسك" (مز 132: 8). فالعذراء القديسة هي بحق تابوت. مغشّى بالذهب من الداخل والخارج، إذ قبلت كنز القداسة الكامل.

"قم يا رب إلى راحتك". قم من أحضان الآب (دون أن تنفصل قط عنه) حتى تقيم جنس البشر الساقط (يو 16: 28).

---

[1] *On Psalm 132 (131).*

القديس غريغوريوس صانع العجائب

❖ أعطى الله شهادة عن عظمة قوته بهذه الوسيلة، مرة ومرتين وعدة مرات، مثلما حدث عندما أسره شعب أشدود (1 صم 5: 1-8)... الآن ماذا يعني: **قم إلى راحتك؟** ضع حدًا للتجول، ولحمل التابوت، فيستقر على الدوام[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

كَهَنَتُكَ يَلْبِسُونَ الْبِرَّ،
وَأَتْقِيَاؤُكَ يَهْتِفُونَ [9].

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن ما كان يشغل ذهن المرتل ليس إقامة المبنى لبيت الرب، ولا إعداد الأواني الثمينة اللائقة به الخ.، وإنما بالأكثر نقاوة قلب الكهنة والشعب. فيلتحف الكهنة بالبرّ، ويسبح الشعب بروح الهتاف والتهليل الخارج من أعماق القلب.

ويرى **العلامة أوريجينوس** أن البرّ الذي يلتحف به الكهنة هو السيد المسيح الذي صار لنا برًّا، به نقف أمام الآب فنتبرر.

إذ يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا، تمتلئ نفوسنا فرحًا، وتهتف أعماقنا بالتهليل!

يتسربل الكهنة بالثياب الليتورجية أو ملابس الخدمة الكنسية (زك 3: 4-5)، لكن يليق بهم أن يتسربلوا بالبرّ، بالقداسة الشخصية التي هي هبة إلهية للجادين المخلصين، حتى يتأهلوا بقيامهم بالوساطة في تحقيق العهد بين الشعب والله. وقد دُعيت هذه الثياب بثياب الخلاص في (إش 61: 10).

يرتدي الكهنة ثياب البرّ، ويقدم الكل – كهنة وشعبًا – ذبيحة التسبيح كأتقياء الرب أو كقديسي الرب الذين لا يكفو ن عن الهتاف الروحي. يشترك الشعب كله في موكب النصرة في الرب.

❖ العبارة صادرة عمن يصلي، لا عمن يروي أو يطلب اقتناء فضيلة. يعطي اسم "**البرّ**" هنا للطقس والكهنوت والعبادة والذبائح والتقدمات وطابع الحياة في صحبة هذه كلها، حيث أن هذه طلبة قدمت من أجل الكهنة.

"**وأتقياؤك يفرحون**"، وقد حدث فعلاً. لاحظوا أنه لا يتطلع إلى إنشاءات مباني، ولا إلى وفرة من الأواني، ولا إلى شكل آخر من أشكال الترف، وإنما إلى شكل الهيكل واستقرار

---

[1] *On Ps. 132.*

التابوت، وكمال عدد الكهنة والطقوس والعبادة والكهنوت [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ولهذا قيل لموسى إنه يجب أن يتأكد من أن الكاهن حينما يدخل خيمة الاجتماع يجب أن يكون محاطًا بأجراس صغيرة (خر 28: 33)، للدلالة على أن الكاهن يجب أن يكون موهوبًا في الوعظ، لئلا يستوجب بسكوته دينونة الله الذي يرى من فوق. لأنه مكتوب: "**ليسمع صوتها عند دخوله إلى القدس أمام الرب، وعند خروجه، لئلا يموت**". (خر 28: 35) يقع حكم الموت على الكاهن إذا لم يُسمع صوته عند دخوله أو خروجه، وهذا يعني أن الكاهن يثير غضب الديان غير المرئي إذا لم يتكلم بالوعظ والتبشير.

ولقد ثبتت الأجراس الصغيرة في الملابس. وماذا تعني ملابس الكاهن إلا أعماله الصالحة! يشهد النبي بذلك حينما يقول: " **كهنتك يلبسون البرّ، وأتقياؤك يبتهجون**" (مز 132: 9). فهذه الأجراس الصغيرة أو الجلاجل كانت تثبت في الملابس لكي ما تعلن عن أعمال الكاهن بصوتٍ عالٍ عن طريق حياته وفي كلامه [2].

الأب غريغوريوس (الكبير)

❖ هذه هي العناصر التي تُصنع منها خيمة الاجتماع، ويكتسي بها الكهنة ويتزين بها رئيس الكهنة.

ويتحدث المرنم عن تلك الثياب في موضع آخر قائلاً: "**كهنتك يلبسون البرّ، وأتقياؤك يهتفون**" (مز 131 (132):9)، فكل هذه الثياب هي ثياب العدل. ويقول بولس الرسول "البسوا كمختاري الله أحشاء رأفات" (كو 12:3). وهي أيضًا ثياب الرحمة. ويضيف الرسول قائلاً عن ثياب أكثر عظمة وفخامة: "**البسوا الرب يسوع المسيح**، ولا تصنعوا تدبيرًا للجسد لأجل الشهوات" (رو 14:13)، هذه هي الثياب التي تتحلّى بها الكنيسة [3].

العلامة أوريجينوس

❖ الثوب المطلوب هو في القلب، لا على الجسم، لأنه لو أُرتدي من الخارج، لن يمكن أن يُخفض حتى من الخدم. لكن ما هو ثوب العرس الذي يلزم ارتداؤه؟ نتعلم من هذه الكلمات: "**كهنتك يلبسون البرّ**" (مز 132: 9). عن ثوب البرّ هذا يتحدث الرسول عندما يقول: "وإن

---

[1] *On Ps. 132.*
[2] *Pastoral Care, 2:4.*
[3] *In Exod. hom.9:3 (Ronald E. Heine).*

كنا لابسين لا نُوجد عراة" (2 كو 5: 3). بهذه الطريقة انفضح الإنسان غير المستعد وذلك بواسطة رب الوليمة، واُستجوب، وقُيد، وطُرح خارجًا، وهو واحد من بين كثيرين [1].

القديس أغسطينوس

مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِكَ،

لاَ تَرُدَّ وَجْهَ مَسِيحِكَ [10].

يرى البعض أن سليمان يطلب من الرب أن يستجيب طلبته ولا يرده مخزيًا، متشفعًا بأبيه المحبوب لديه.

يرى **القديس أغسطينوس** أن الحديث موجه لله الآب بخصوص مسيحه، كلمة الله المتجسد، وقد صُلب وهم في ثورة ضده. لكنهم عادوا فرأوا المعجزات تتحقق باسم يسوع المصلوب. يشير المرتل هنا إلى البقية التي آمنت بالسيد المسيح بعد قيامته.

❖ إنه يقول: ليس فقط من أجل فضيلته، ولا غيرته على إقامة الهيكل، وإنما أيضًا لأجل العهد معه. "**من أجل داود عبدك، لا ترد وجه مسيحك**". أيّ وجه يشير إليه؟ ذاك الذي مُسح في ذلك الوقت كمرشدٍ وقائدٍ للشعب [2].

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. يقيمنا ملوكًا

أَقْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ لاَ يَرْجِعُ عَنْهُ:

مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ [11].

يرتبِ ملك الملوك أن يقيم شعبه ملوكًا وكهنة لله أبيه (رؤ 1: 6). هنا يقسم الرب لداود بالوعد أن يقيم من نسله ملوكًا.

في قرية يعاريم حلف (أقسم) داود للرب ألا يستريح حتى يجد مسكنًا للرب وسط شعبه [2]. هنا تبدأ الاحتفالات في أورشليم بقسم الرب لإقامة ملك من نسل داود.

ورد في الكتاب المقدس ثلاثة أقسام (جمع قسم) هامة:

أ. أقسم الرب لإبراهيم أن يكثر نسله (تك 22: 15-18).

ب. أقسم الرب لإسرائيل بامتلاك الأرض (خر 6: 8).

ج. اقسم لداود ليقيم ملوكًا من نسله، إن حفظوا العهد الإلهي عمليًا. هنا نتذكر صلاة

---

[1] *Sermon 90: 4.*

[2] *On Ps. 132.*

سليمان الطويلة عند تكريس الهيكل، مذكرًا الله بوعوده لداود (1 مل 8: 25–26)، تأكيد تمتع الشعب بالبركات الإلهية إذا "**جاء وصلى في هذا البيت**" (1 مل 8: 42).

وعد الرب داود أن يقيم من ثمرة بطنه من يجلس على كرسيه، وقد تحقق ذلك بتجليس سليمان ملكًا. وإذ جاء كلمة الله متجسدًا من العذراء مريم ابنة داود جلس ملكًا على القلوب، ويجلس في ملكوته أبديًا، فهو ابن داود وربه في نفس الوقت.

❖ ماذا يعني "أقسم"؟ لقد ثبَّت وعده بنفسه. ماذا يعني "لا يرجع"... لقد وعد بهذا على أنه لا يغير ما وعد به.

القديس أغسطينوس

❖ لقد ترك متى كل الأسماء ليذكر داود وإبراهيم (مت ١: ١)، لأن الله وعدهما وحدهما (بصراحة) بالمسيح (تك ٢٢: ١٨؛ مز ١٣٢: ١١) [1].

القديس چيروم

❖ قال الرب لليهود "ماذا تظنون في المسيح"؟ (مت 22: 42) أجابوه: "ابن داود" (مز 110: 1). لأنهم عرفوا ذلك بسهول ة إذ تعلموه من الأنبياء. بالحقيقة كان من نسل داود ولكن "حسب الجسد" من العذراء مريم التي كانت مخطوبة ليوسف. عندما أجابوه أن المسيح ابن الله قال لهم "فكيف يدعوه داود بالروح ربًا ، قائلاً: "قال الرب لربي اِجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئًا لقدميك " (مت 22: 44). "فإن كان داود يدعوه ربًا فكيف يكون ابنه " (مت 22: 45). فلم يستطع اليهود أن يجيبوه. هذا هو ما نجده في الإنجيل. إنه لم ينكر بنوته لداود حتى وإن كانوا لم يستطيعوا أن يدركوا ربوبيته لداود أيضًا. إنهم أدركوا في المسيح ما قد صار بحسب الزمن، لكنهم لم يدركوا ما هو بحسب سرمديته. فبينما كان يرغب في تعليمهم عن لاهوته بسط لهم سؤالاً يخص تأنسه، كأنه يريد أن يقول : "أنتم تعرفون أن المسيح ابن لداود. أخبروني كيف هو رب له أيضًا؟ وإذ ينبغي أن لا يقولوا : "إنه ليس رب داود" جاء بشهادة داود نفسه. ماذا يقول داود؟ إنه يقول الحق. لأنكم تجدون الرب يحدث داود في المزامير قائلاً: "من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك " (مز 132: 11). فهذا هو ابن لداود. ولكن كيف يكون ابن داود ربًا له؟ "قال الرب لربي اجلس عن يميني" (مز

[1] *In Matt. 1:2.*

110: 1). هل تتعجبون من أن يكون ابن داود إلهًا له عندما ترون مريم أمًا لربها؟ إنه رب داود بكونه إلهًا، رب داود بكونه رب الكل، وابن داود بكونه ابن الإنسان هو رب وابن في نفس الوقت. إنه رب لداود "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله" (في 2: 7)، وابن داود بكونه "أخلى نفسه آخذا صورة عبد" (في 2: 7)[1].

القديس أغسطينوس

❖ تخاطب العروس بنات أورشليم السمائية. تعبر بواسطة تشجيعهن على هيئة قسم بأن الحب قد يتضاعف ويزيد باستمرار حتى يتمم إرادة ذاك الذي يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (1 تي 2: 4). ويقول النص: " **أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألاّ تُيْقِظن ولا تُنبِّهن الحبيب حتى يشاء**". فالقسم هو ما ينطق مع ضمان صدقه. ويعمل بطريقتين: فإمَّا إنه يؤكد الحقيقة لمن يسمعه، أو يُلزم الشخص الذي أقسَم بأن لا يكذب. وكما تقول المزامير: "أقسَم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه. من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك" (مز 132: 11). في هذه الحالة يتأكد صدق الوعد بالقَسَم[2].

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

❖ إذ وُهب النبي معرفة مسبَّقة باستنارة علويَّة، قدَّم نبوَّة واضحة عمَّا سيحدث. فقد قيل في وقت معاصر للطوباوي داود بواسطة الله رب الكل: "من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك" (مز 132: 11). إذ يعرف (الله) كل الأشياء غرس في الأنبياء القدِّيسين سابق معرفة لما سيحدث، معلنًا بواسطتهم، أن السرّ يُشهد له من كل الاتجاهات، فيؤمنون بأنَّه حقيقة واقعة. هكذا يقول أن **قضيبًا** يبرز من أصل يسَّى، وتنبت **زهرة**. (إش 10: 33-34 *LXX*)[3].

القديس كيرلس الكبير

❖ عرفنا أن الرب يولد من عذراء، بقي لنا أن نعرف عائلة هذه العذراء. "أقسم الرب لداود بالحق ولن يندم، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك". وأيضًا "وأجعل إلى الأبد نسلهوكرسيهمثل أيام السماوات". وأيضًا "حلفت بقدسي إني لا أكذب لداود. فله إلى الدهر يكون وكرسيهكالشمس والقمر أمامي" (مز 132: 11؛ مز 89: 29؛ مز 89: 35)[4].

---

[1] *Sermon on NT Lessons, 1:20.*

[2] عظة 4 على نشيد الأناشيد ترجمة الدكتور جورج نوّار.

[3] *Is 2:4 PG 70:309C-D.*

[4] مقال 12: 23.

القديس كيرلس الأورشليمي

إِنْ حَفِظَ بَنُوكَ عَهْدِي وَشَهَادَاتِي الَّتِي أُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا،
فَبَنُوهُمْ أَيْضًا إِلَى الأَبَدِ يَجْلِسُونَ عَلَى كُرْسِيِّكَ [12].

نال داود عهدًا خاصًا باستمرارية ملكه في عهده وفي عهد أبنائه، لكنه كان عهدًا مشروطًا، ألا وهو حفظ أبنائه للعهد والشهادات التي يعلمهم الرب إياها.

لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ صِهْيَوْنَ.
اشْتَهَاهَا مَسْكَنًا لَهُ: [13].

شتان ما بين أن يُنقل تابوت العهد من موضع إلى آخر، وبين أن نسمع "**الرب قد اختار صهيون، اشتهاها مسكنًا له**" . إنه اختارها بنفسه واشتهاها ليسكن فيها، وهو خالق السماء والأرض. ما هي صهيون إلا رمز لكنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته (1 تي 3: 15).

يا لمحبة الله الفائقة، يريد أن يقيم من كل نفسٍ مدينة له، يسكن فيها ويشتهيها، يجعل منها ملكوته، ويعلن مجده في داخلها!

هكذا يليق بكل مؤمنٍ أن يتطلع إلى نفوس إخوته بكل وقارٍ وتقديرٍ، فالله يطلب أن يقيم فيها كمسكنٍ له.

4. راحته في راحتنا ونصرتنا!

هَذِهِ هِيَ رَاحَتِي إِلَى الأَبَدِ.
هَهُنَا أَسْكُنُ لأَنِّي اشْتَهَيْتُهَا [14].

إن كان الله يشتهي أن يقيم شعبه ملوكًا، ف إنه وهو يهب هذه العطية المجانية يجد مسرته كأب يفرح بفرح أولاده، ويستريح براحتهم. هكذا يعلن الله عن شهوته أن يسكن في وسط شعبه، يهبهم شبعًا ومجدًا وتهليلاً وقوةً واستنارةً ونصرةً.

يبدأ المزمور بأنين داود الذي كان في مذلة [1]، لكنه ينال الوعد بقسمٍ في ابنه الملك، ليس سليمان بل المسيا ابن داود الذي بشر بمولده رئيس الملائكة جبرائيل: " **ها أنتِ ستحبلين وتلدين ابنًا وتسمينه يسوع ... ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية** " (لو 1: 32-33). بهذا الوعد ينتهي المزمور إلى الأفراح

والأمجاد على مستوى سماوي.

كثيرًا ما نتحدث عن عظمة الله القدير، وأيضًا عن عدله ومحبته لكن لا نجسر على التحدث عن تواضعه. أي تواضع أعظم من قوله عن سكناه في داخلنا: " **هذه هي راحتي، ههنا أسكن لأني اشتهيتها**". لم نسمع أن يشتهي أن يسكن في أحد الطغمات السماوية المحبوبة جدًا لديه، الطاهرة والنقية، لكنه يشتهي أن يقيم منا مسكنًا له.

❖ هذه هي كلمات الله: " **هذه هي راحتي**"، إنني أستريح هناك. يا لعظمة محبة الله لنا أيها الإخوة، فحيث نحن نستريح، يقول إنه هو أيضًا يستريح. لأنه لا يضطرب أحيانًا ولا يستريح مثلنا، إنما يقول إنه يستريح هناك، لأننا سنجد راحتنا فيه. "**ههنا أسكن، لأني اشتهيتها**" [1].

القديس أغسطينوس

طَعَامَهَا أُبَارِكُ بَرَكَةً.

مَسَاكِينَهَا أُشْبِعُ خُبْزًا [15].

يحل الله في نفس المؤمن فتصير أشبه بفردوس يمتلئ بثمر الروح، وتحل البركة، ويفرح السمائيون. لم يعد بها مساكين، إذ تفيض في داخلها أنهار مياه النعمة الإلهية.

❖ انظروا كيف حل الرخاء في كل الجوانب معًا، ليس من نقصٍ في الضروريات (الخبز)، يعيش الكهنة في أمان، والشعب في سعادة، والملك في قوة. يقصد **بالسراج** [17] هنا الملك أو الدفاع أو الخلاص أو النور. فإن أفضل شكل للرخاء هو الارتباط بهذه. ما هذا؟ فإن الأعداء يصيرون في خزي [18]، ولا يصيبه الأذى بهذه الأمور .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ "**مساكينها أشبع خبزًا** ". ماذا يعني هذا أيها الإخوة؟ لنكن مساكين عندئذٍ نشبع. كثيرون يثقون في العالم وهم متكبرون، هم مسيحيون؛ إنهم يعبدون المسيح، لكنهم ليسوا شباعى، إذ هم مكتفون بكبريائهم ولديهم فائض... إنهم يعبدون المسيح، ويكرمونه، ويصلون إليه، لكنهم ليسوا شباعى بحكمته وبرِّه. لماذا؟ لأنهم ليسوا مساكين. فإن المساكين أي المتواضعون في القلب كلما جاعوا يأكلون، وكلما فرغوا من العالم يصيرون بالأكثر جائعين...

الله نفسه خبزهم. نزل الخبز إلى الأرض لكي يصير لبنًا لنا، ويقول لخاصته: "أنا هو

---

[1] *On Psalm 132 (131).*
[2] *On Ps. 132.*

الخبز الحي النازل من السماء" (يو 6: 15) [1].

القديس أغسطينوس

❖ لماذا تُعتبر الكنيسة أرملة؟ إذ غاب عنها المسيح عريسها. تلك العروس التي يقول عنها الرسول: "**خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح** "، "**ليحب كل رجلٍ امرأته كما أحب أيضًا المسيح الكنيسة**".

ولماذا تعد الكنيسة فقيرة؟ إذا لم تضع لكل رجائها في كرامة وثروة هذا العالم لا في الرب الإله وحده. عن هذا نقرأ: "**طوبى للمسكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات**".

ولماذا تُشبه الكنيسة باليتامى؟ يقول ربنا ومخلصنا نفسه: " **لا تدعوا لكم أبًا على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماء**". ليت من ليس لهم أب أن يظهروا متواضعين [2].

الأب قيصريوس أسقف آرل

كَهَنَتَهَا أُلْبِسُ خَلاَصًا،
وَأَتْقِيَاؤُهَا يَهْتِفُونَ هُتَافًا [16].

صورة مبهجة لكنيسة العهد الجديد التي صارت مسكنًا لله، يستريح فيها، ويفيض بنعمته عليها، ويُشبع مساكينها ويزين كهنتها بلباس الخلاص، حيث يلبس المعمدون المسيح ويستترون فيه، وتصير لغتهم هي لغة الفرح والتهليل الذي لا ينقطع.

❖ من هو خلاصنا إلا مسيحنا؟ إذن ماذا يعني: "**كهنتها ألبس خلاصًا**"؟ ذلك كما أن الكثيرين منكم إذ اعتمدوا في المسيح لبسوا المسيح (غل 3: 27)[3].

القديس أغسطينوس

هُنَاكَ أُنْبِتُ قَرْنًا لِدَاوُدَ.
رَتَّبْتُ سِرَاجًا لِمَسِيحِي [17].

يشير القرن إلى القوة. وما هي قوة داود التي نبتت إلا تجسد كلمة الله، الذي جاء من نسل داود حسب الجسد. هذا الذي أضاء المسكونة بنور صليبه، معلنًا حبه العملي للعالم.

لم يأتِ مجيئه فجأة بلا تهيئة، فقد بعث في كل الأجيال رجال الله والأنبياء يشهدون

---

[1] *On Psalm 132 (131).*
[2] *Sermons 49: 1.*
[3] *On Psalm 132 (131).*

له، وأخيرًا أرسل القديس يوحنا المعمدان يهيئ له الطريق، ويشهد له علانية. إنه السراج الذي سبق مجيء السيد المسيح مباشرة، وشهد له، قائلاً: "هذا هو حمل الله الذي يحمل خطية العالم".

❖ يوحنا المعمدان كان السراج الذي سبق المسيح. لقد تحدث الله أيضًا عنه بطريقة مشابهة: "رتبت سراجًا لمسيحي" (مز 132: 17) [1].

القديس كيرلس الكبير

❖ لم يُدعَ يوحنا ملاكًا للمسيح فحسب، وإنما يُدعى بالحري سراجًا أشرق أمام المسيح، لأن داود يتنبأ: "**رتبت سراجًا لمسيحي**" [2].

العلامة ترتليان

❖ كان المعمدان سراجًا يسبق المسيح، للذين هم تحت الناموس، الساكنين في اليهودية. هكذا قال عنه الله قبلاً: " **رتبت سراجًا لمسيحي** " [17]. أيضًا الناموس يُرمز له بالسراج، الذي أُوصى أن يظل مشتعلاً دائمًا. لكن اليهود بعدما سروا به زمانًا مسرعين إلى معموديته، ومُعجبين بأسلوب حياته، سرعان ما قتلوه، باذلين أقصى ما وسعهم لإطفاء السراج المضطرم أبدًا. لهذا السبب يتحدث المخلص أيضًا عنه إنه كان سراجًا مشتعلاً مضيئًا: "**وأنتم أردتم ألا تبتهجوا بنوره زمانًا**" (يو 5: 35) [3].

القديس كيرلس الكبير

❖ عندما جاء المسيح رفضه اليهود، بينما اعترفت به الشياطين.

داود جده لم يجهله عندما قال : "رتبت سراجًا لمسيح ي" (مز 132:7)، هذا السراج الذي فسره البعض أنه بهاء البنوة (2 بط 1:19)، وفسره البعض أنه الجسد الذي أخذه من العذراء...

لم يجهل النبي أمر المسيح إذ قال : "وأعلن بين البشر بمسيحه His Anointed" (عا 4:13 الترجمة السبعينية).

موسى أيضًا عرفه، وإشعياء، وإرميا. لم يجهله أحد من الأنبياء، بل حتى الشياطين

---

[1] *Commentary on Luke.*
[2] *An answer to the Jews, 9.*
[3] *Comm. On Luke, ch, 1.*

عرفته إذ انتهرها...

رئيس الكهنة لم يعرفه، والشياطين اعترفت به.

رئيس الكهنة لم يعرفه، والسامرية أعلنت عنه قائلةً: "انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت، ألعل هذا هو المسيح؟!" (يو 4:29)[1]

القديس كيرلس الأورشليمي

❖ "أية امرأة لها عشرة دراهم إن أضاعت درهمًا واحدًا ألا توقد سراجًا وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده؟" (لو 15: 8) من هي المرأة؟ إنها جسد المسيح. ما هو السراج؟ "هيأت سراجًا لمسيحي" (مز 132: 17)، لذلك كان يُبحث عنا حتى نوجد، وإذ نوجد ننطق. ليتنا لا نفتخر، لأننا قبلاً لم نكن موجودين، بل كنا نبقى هكذا مفقودين لو لم يُبحث عنا[2].

القدِّيس أغسطينوس

أَعْدَاءَهُ أُلْبِسُ خِزْيًا

وَعَلَيْهِ يُزْهِرُ إِكْلِيلُهُ [18].

جاءت كلمة "**إكليله**" في بعض النسخ "عليه تزهر قداستي".

يختم المرتل المزمور بصورة مبهجة، فإن كان عدو الخير لا يكف عن المقاومة واضطهاد كنيسة الله، إنما ليمتلئ كأس شره ويرتدي الخزي أبديًا، ويتزكى أولاد الله ويزدهرون بإكليل القداسة خلال النعمة الإلهية.

من وحي المزمور 132

لتقم يا رب في داخلي

❖ إلهي، أنت هو حياتي وراحتي وسلامي!

لتقم يا رب في أعماقي، فتستريح نفسي بك.

مع كل صباح أدعوك أن تعلن ذاتك في أعماقي.

وطول النهار ينشغل قلبي وفكري بك.

لا يعبر يوم دون أن أتمتع بخبرة جديدة معك.

---

[1] مقال 10: 15.

[2] *In Luc 12: 8-10.*

❖ لا تستريح نفسي إلا في أحضانك.
ينام جسمي، لكن نفسي تناجيك.
لأسترح أنا في أحضانك،
ولتقبل أن تستريح في أعماقي.
قم يا رب في أعماقي إلى راحتك،
أنت وتابوت عزك.

❖ هب لي مع كل يومٍ خبرة جديدة،
حيث تعمل نعمتك فيّ،
ولا أكف عن الجهاد المستمر،
لكي تتجلى في داخلي.
لأحيا في جدية بلا تواكل.
فلا يضيع يوم واحد من حياتي.
فإن أيامي قليلة،
بخار، سرعان ما يضمحل.

❖ لتزين هيكلك فيّ ببرّك، فالتحف به.
ولتهبني مخافتك فأحيا بروح التقوى.
حلولك يملأ أعماقي بالبهجة والجمال الروحي.
حلولك ينير أعماقي ببهائك.

❖ لن يكف عدو الخير عن المقاومة.
لكن كيف يقف أمامك؟
بمقاومته يلبس الخزي،
وتتمجد أنت في أبنائك.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ

الصداقة الإلهية والحب الأخوي

في المزمور السابق كشف المرتل عن الصداقة مع الله، إذ يختارنا الله ليسكن فينا، يستريح حين نستريح نحن فيه. أما في هذا المزمور، فيكشف المرتل عن هذه الصداقة التي لن تحقق ما لم نحمل روح الحب والوحدة الصادقة مع بعضنا البعض. لا يستطيع المؤمن أن يتذوق عذوبة الحب الإلهي ما لم يتسع قلبه بالحب لإخوته. وكما يشتهي الله السكنى في قلوبنا، يليق بنا أن نشتهي السكنى بروح الحب مع إخوتنا. أما سرّ الاتحاد فهو ليس مجرد اللقاء الجسدي، إنما اللقاء معهم في الله خلال نقاوة القلب والحياة الطاهرة المقدسة فيه.

1. **عذوبة السكنى معًا**
2. **وحدة في المسيح**
3. **الوحدة والحياة الأبدية**

غالبًا ما يُدعى "**مزمور حكمة**"، لا ليعلمنا الحكمة، وإنما ليعلن بروح التسبيح ما بلغنا إليه ببركة الرب ونعمته الفائقة علينا [1]. الآن إذ نأتي إلى المزمور قبل الأخير من مزامير المصاعد، يتحدث عن الحب الأخوي الحامل رائحة المسيح الذكية في هدوء وسكون كالندى العامل في جبل صهيون.

❖ الحب هو الباب الذي يدخل بنا إلى السماء عينها .

القديس يوحنا الذهبي الفم

1. عذوبة السكنى معًا

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ. لِدَاوُدَ

هُوَذَا مَا أَحْسَنَ وَمَا أَجْمَلَ

أَنْ يَسْكُنَ الإِخْوَةُ مَعًا! [1]

يرى البعض أن هذا المزمور يتغنى به الكهنة واللاويون حين يجتمعون في الخدمة معًا في بيت الرب. كما يُسر الله بلقاء المؤمن بالله على مستوى شخصي في علاقة حب خفية

---

[1] *Cf. The Collegeville Bible Commentary, 1989, Ps. 133.*

[2] *On Ps. 133.*

سرية، يُسر أيضًا باجتماع الكل معًا في وحدة الحب للتسبيح معًا.

كم يكون لقاء كل المؤمنين معًا من آدم إلى آخر الدهور على السحاب مع السيد المسيح مبهجًا حتى للسمائيين، الذين طالما ينتظرون هذا اليوم العجيب.

❖ توجد أمور كثيرة حسنة (صالحة)، لكن تنقصها البهجة (الجمال). من جهة أخرى توجد أمور تهب شبعًا، لكن ينقصها الصلاح. إنه ليس بالأمر السهل أن يجتمع الاثنان معًا... لاحظوا أنه لم يشر إلى مجرد السُكنى، ولا المأوى في موضع واحدٍ، إنما السكنى في وحدةٍ، أي في تناغم وحبٍ، هذا يجعل الشعب بروحٍ واحدةٍ[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن اتحاد الصداقة الأكيد الذي لا ينحل هو الذي يكمن بين المتشابهين في الصلاح وحده... بهذا يكون الحب غير مغشوش بين من لهم هدف واحد وفكر واحد ليشاءوا أو يرفضوا نفس الأمور معًا.

إن أردتم أن تحفظوا هذا الحب غير المنكسر يجدر بكم أن تكونوا حريصين أولاً أن تتخلصوا من أخطائكم، وتميتوا شهواتكم بغيرةٍ مشتركةٍ وهدفٍ متحدٍ، مجاهدين في تحقيق ما يُبهج النبي على وجه الخصوص القائل: "هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معًا" (مز 133:1). لأنه أي شيء يُظهر وحدة الروح مثل السكنى معًا في مكان واحد؟! غير أن مختلفي الشخصية والهدف عبثًا يحاولون السكنى معًا في سكنٍ واحدٍ، ولا يعوق البعد المكاني الوحدة بين المتأسسين على صلاحٍ متساوٍ. **لأن الاتحاد يتم بالله وليس بالمكان...** ولا يمكن للسلام الثابت أن يبقى متى اختلفت الإرادة بين الناس[2].

الأب يوسف

❖ كتب الرسول: "إنّ الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحًا (هو نفسه أيضًا) يكمِّل إلى يوم يسوع المسيح" (في 1: 6). وقال أيضًا معلمنا لذاك الذي جاء إليه: "كل واحدٍ منكم لا يترك جميع أمواله (وأسرته) ولا يُبغض ... حتى نفسه أيضًا، فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا " (راجع لو 14: 33 و26). بل إنّ الله يستطيع أن يحقِّق فينا هذا القول: "هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معًا " (مز 133: 1). بل إنني أصلِّي أن تبلغ إلى قياس ما هو مكتوب في

---

[1] *On Ps. 133.*
[2] *Cassian, Conferences 16:3.*

سفر الأعمال أنّ: "كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل" (أع 4: 34-35).

القديس برصنوفيوس

2. وحدة في المسيح

مِثْلُ الدُّهْنِ الطَّيِّبِ عَلَى الرَّأْسِ،
النَّازِلِ عَلَى اللِّحْيَةِ،
لِحْيَةِ هرُونَ النَّازِلِ إِلَى طَرَفِ ثِيَابِهِ [2].

لا تتحقق الوحدة المفرحة إلا باتحاد الكل معًا في رئيس الكهنة السماوي، ربنا يسوع المسيح، كأعضاء في جسده، يحملون رائحته الذكية.

❖ "مثل الدهن الطيب على الرأس النازل على اللحْية لحْية هرون النازل إلى طرف ثيابه" (مز 133: 2). ماذا يقصد بهرون؟... كاهن! **ومن هو كاهن غير ذاك الكاهن وحده (السيِّد المسيح) الذي دخل إلى قدس الأقداس؟**

من هو هذا الكاهن سوى ذاك الذي هو ذبيحة، وفي نفس الوقت كاهن؟ **ذاك الذي لما لم يجد شيئًا طاهرًا في العالم ليقدِّمه قدَّم نفسه؟!**

إن الدهن الطيب على رأسه، لأن السيِّد المسيح واحد ، تتَّحد به الكنيسة، لكن الدهن الطيِّب يأتي من الرأس. رأسنا هو المسيح مصلوبًا ومدفونًا ومُقامًا وصاعدًا إلى السماء، والروح القدس جاء من عند الرأس.

إلى من جاء؟ إلى اللحْية. تشير اللحْية إلى الشجعان، الناضجين، الغيورين، العاملين، النشيطين. فعندما نشير إلى مثل هؤلاء نقول عنهم إنهم ذوو لحْية.

هكذا نزل الدهن الطيب إلى الرسل أولاً، نزل على أولئك الذين احتملوا أولاً مقاومة العالم.

القدِّيس أغسطينوس

❖ بعد هذا تصعدون إلى الكاهن (السيد المسيح). لاحظوا ما تبع هذا. أليس هو ما يتحدث عنه داود: "مثل الدهن على الرأس، النازل على اللحية، لحية هرون" (مز 133: 2). هذا هو الدهن الذي تكلم عنه أيضًا سليمان: "اسمك دهن مهراق، لذلك أحبتك العذارى اجذبني" (نش 1: 3-4). كم نفس تجددت هذا اليوم وقد أحبتك أيها الرب يسوع، وهي تقول: "اجذبنا

وراءك، فنجري وراء رائحة ثيابك"، لكي يشربوا من رائحة ثيابك"، لكي يشربوا من رائحة قيامتك.

تأملوا الآن لماذا يحدث هذا، لأن "عيني الحكيم في رأسه" (جا 2: 14). لذلك يفيض الدهن على اللحية، حتى نصير نحن أيضًا جنسًا مختارًا، كهنوتًا، ولنا تقديرنا لأننا قد مُسحنا بالنعمة الروحية لنشارك في ملكوت الله والكهنوت (العام).

القديس أمبروسيوس

❖ كما أن الثوب الذي يفسده العث لا يعود ذا قيمة تجارية أو ذا نفع على الإطلاق، وكذلك الحال مع الخشب الذي يفسده السوس لا يعود صالحًا للاستعمال حتى في بناء عادي، بل يلزم أن يصبح طعامًا للنار، كذلك أيضًا النفس التي تقع فريسة لنوبات الاكتئاب الملحة المهلكة، تصبح غير أهل لذلك الثوب الكهنوتي الذي هو وفقًا لنبوة داود البار، طيب الروح القدس النازل من السماء، أولاً على لحية هارون، ثم على هُدب ثوبه، كما جاء بالمزمور: "مثل الطيب على الرأس النازل على اللحية، لحية هارون النازل إلى طرف ثوبه" (مزمور 133: 2).

القديس يوحنا كاسيان

❖ يستحيل على النفس غير النقية – مهما بلغت أشواقها نحو القراءة – أن تحصل على معرفة روحية. لأنه لا يقدر أحد أن يسكب دهنًا طيبًا أو عسلاً جيدًا أو أي سائل قيم في إناء قذر كريه الرائحة. لأن الإناء الممتلئ بروائح كريهة يُفسد ما يوضع فيه أكثر مما يتأثر هو من الشيء الصالح، لأن ما هو نقي يفسد بسرعة أكثر من تأثير النقي على الفاسد. هكذا ما لم يتنقَ إناء صدرنا من وصمات الخطية الفاسدة، لا يستحق أن يتقبل الدهن المبارك الذي تحدث عنه النبي قائلاً: "مثل الدهن الطيب على الرأس النازل على اللحية ، لحية هارون النازل إلي طرف ثيابهِ" (مز 2:133). "لأنهُ أيَّة خلطةٍ للبرّ والإثم؟! وأيَّة شركةٍ للنور مع الظلمة؟! وأيُّ اتفاقٍ للمسيح مع بليعال؟! وأيُّ نصيبٍ للمؤمن مع غير المؤمن؟!" (2 كو 14:6، 15).

الأب نسطور

---

[1] *On the Mysteries 6: 29-30..*
[2] *De institutis caenoborum, Book 9:3.*
[3] *Cassian, Conferences 14:14.*

❖ كل زيوت المسحة مختلفة، كل واحدة لها معناها الرمزي الروحي... ليس شيء يصير مقدسًا إلا بالمسحة. بهذه النظرة تقول العذارى في نشيد سليمان: "اسمك دهن مهراق، نجري وراءك بأدهانك الطيبة" (راجع نش 1: 3-4)[1].

القديس جيروم

❖ إنه يقارن الحب بالدهن الطيب والندى، يُظهر بالأول العبير الطيب، وبالأخير الهدوء وبهجة المنظر .

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ ليس عند الله شيء أفضل من السلام الأخوي، وليس ما هو أفضل من الاجتماع والتوافق كما هو مكتوب: "هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معًا" (مز 133: 1)[2].

الأب خروماتيس

3. الوحدة والحياة الأبدية

مِثْلُ نَدَى حَرْمُونَ النَّازِلِ عَلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ.
لأَنَّهُ هُنَاكَ أَمَرَ الرَّبُّ بِالْبَرَكَةِ حَيَاةٍ إِلَى الأَبَدِ [3].

حيث يوجد الحب والاتفاق والوحدة توجد بركة الرب والحياة الأبدية.

جبل صهيون هنا ليس الذي في أورشليم بل في حرمون، يتسم بالندى الغزير، يعطيه خصوبة. وكأنه يليق بوحدتنا معًا أن تكون مثمرة بالأعمال الصالحة خلال ندى النعمة الإلهية.

❖ يوجد من يمدح (الحب) بالكلمات: "الحب بين الإخوة والاتفاق بين الإخوة، والتصاق الزوج والزوجة الواحد مع الآخر" (راجع سي 25: 1). يشير آخر بطريقة غامضة إلى قوته بالكلمات: "إن اضطجع اثنان يكون لهما دفء، والخيط المثلوث لا ينقطع سريعًا" (جا 4: 11، 14). هنا يؤكد كلا من البهجة والقوة... وأيضًا "الأخ الذي يعين أخًا يشبه مدينة منيعة" (راجع أم 18: 19). وقال المسيح: "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم" (مت 18: 20).

الآن، الطبيعة نفسها تتطلب هذا. لذلك حتى في بداية تكوين الجنس البشري، قال

---

[1] *On Psalms, homily 45 (Ps, 132).*
[2] *On Ps. 133.*
[3] *Chromatius: Tractate on Matt. 59: 1.*

الله: "ليس جيدًا أن يكون الإنسان وحده" (راجع تك 2: 18)...

"**حياة إلى الأبد** ". جيد أنه أضاف هذا. فحيث توجد المحبة يوجد الأمان العظيم، وتوجد نعمة كثيرة من الله. إنها والدة الخيرات، أصل وينبوع، نهاية للحروب، واختفاء للعداوة. لذلك ليشير إلى هذا أضاف: " **حياة إلى الأبد** "، فإن الخلاف والعداوة يسببان الموت، الموت قبل الأوان. هكذا أيضًا المحبة والاتفاق يسببان السلام والانسجام. وحيث يوجد السلام والانسجام تُمارس الحياة في أمان وضمان كامل. ولماذا نشير إلى الحاضر، فإنها فوق الكل تهيئنا للسماء والصالحات التي لا توصف، وهي ملكة الفضائل. لنهتم بهذه، ونسعى نحوها باجتهاد فننعم بالصالحات الحاضرة والعتيدة[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ في بيت الله، في كنيسة المسيح، يسكن البشر بفكرٍ واحدٍ، يستمرون في انسجام وبساطة[2].

القديس كبريانوس

من وحي المزمور 133

فيك نجتمع معًا بروح الحب

❖ إذ نلتصق بك نجتمع معًا، تضمنا إليك بروحك القدوس.
تقيم منا أعضاءً في جسدك المقدس.
فتفوح منا رائحتك الذكية.

❖ تُرى متى تأتي، فتجتمع كل كنيستك معك على السحاب.
تجتمع من آدم إلى آخر الدهور. تهتز السماء فرحًا بالعروس السماوية.
يدخل بنا السمائيون في موكب عجيب.

❖ نعم، هبنا القلب المتسع بالحب للجميع.
هب لنا نعمتك، فنحمل ثمر الروح.
لتعمل نعمتك فينا، وتهيئنا للقاء معك!

---

[1] *On Ps. 133.*
[2] *Treat. 1 : 8.*

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ

الدخول إلى المقادس الإلهية

الآن وقد بلغنا قمة السلم، أو المزمور الأخير من مزامير المصاعد، يرتفع قلبنا كما إلى السماء عينها، لندخل إلى حضن الآب، ونشترك مع الطغمات السمائية في التسبيح الدائم بفرحٍ وتهليلٍ. كل ما يشغلنا هو التمجيد من أجل بركة الرب الحالة علينا. كأننا نمارس الحياة السماوية المتهللة، في بيت الرب الأبدي.

يمكن القول بأن هذا المزمور هو تسبحة كنسية ليتورجية، يقدمها المؤمنون في السماء عينها، كتسبحة شكر لبلوغهم المقادس الإلهية.

يرى البعض أنه إذ يبلغ القادمون إلى الهيكل للعيد في آخر النهار وتبدأ خدمة المساء، يترنم رئيس الكهنة طالبًا من الكهنة واللاويين أن يسبحوا الرب مع جميع الشعب [1-2].

إن كان الكهنة واللاويون الذين عليهم حراسة الهيكل حتى لا يحدث أي خلل في النظام، فلا يقترب أحد من موضعٍ غير مسموح له بالاقتراب إليه، ومراعاة نار المذبح ألا تنطفئ، وأيضًا سرج المنارة الخ. لكن الكل من كهنة ولاويين وشعب يلزمهم أن يسبحوا الرب ويمجدوه، إذ فتح لهم بيته كي يدخلوا إليه ويتمتعوا بالحضرة الإلهية.

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

هُوَذَا بَارِكُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ عَبِيدِ الرَّبِّ

الْوَاقِفِينَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ بِاللَّيَالِي [1].

❖ بهذا يختم مزامير الدرجات مقدمًا مقاله النهائي الرائع، تسبحته وبركته. الآن يريد من عبيد الرب ألا يحتفظوا فقط بتعاليمه، وإنما أيضًا بنفس طريقة الحياة. لهذا يضيف: "... **الواقفين في بيت الرب، في ديار إلهنا** ". إنه ليس من اللائق للشخص الدنس والنجس أن يدخل الأماكن المقدسة. ومن كان مستحقًا للدخول، يكون مستحقًا للبركة. بيت الرب مثل السماء، وكما أنه لا يجوز للقوات المقاومة أن تدخل هناك، هكذا أيضًا بالنسبة لبيت الرب...

الآن كيف يمكنكم أن تظهروا هذه النقاوة؟ إن كنتم تستبعدون كل فكرٍ شريرٍ، إن كنتم تمجدون دخول أعمال الشيطان إلى مواضع في أذهانكم، إن كنتم تستمرون في تزيين

أذهانكم كما بالنسبة للهيكل المقدس. فوق هذا كله، إن كان في الهيكل اليهودي لا يفتح كل موضع لكل أحدٍ، إنما توجد أقسام كثيرة متنوعة – مكان للدخلاء وآخر للذين هم يهود منذ البداية، وآخر للكهنة، وآخر لرئيس الكهنة وحده، وهذا ليس في كل الأوقات إنما مرة واحدة في السنة – ضعوا في اعتباركم درجة القداسة المطلوبة من الشخص الذي ينال ما هو أعظم من الرمز، وأعظم من قدس الأقداس في ذلك الحين. ليس لكم الشاروبيم بل رب الشاروبيم نفسه يسكن في الداخل؛ ليس لكم وعاء المن أو لوحا الحجر، أو عصا هرون، بل جسد الرب ودمه، الروح عوض الحرف، والنعمة التي تفوق العقل البشري، وهبة لا تُوصف.

الآن أنتم تبدون أكثر استحقاقًا من الرموز العظيمة والأسرار المهوبة، يمكنكم بالأكثر أن تثبتوا قداسة أعظم، كما تنالون عقوبة أخطر إن كسرتم الوصايا [1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ نَحْوَ الْقُدْسِ
وَبَارِكُوا الرَّبَّ [2].

رفع الأيادي يشير إلى رفع القلب والفكر إلى الله الساكن في السماء. كما أن الأيادي تشير إلى العمل، وكأنه مع التأمل في محبة الله ونعمته ورعايته يليق بالمؤمنين أن يمارسوا ما يليق بهم، فتتناغم حياتهم مع تأملاتهم وصلواتهم وتسابيحهم. وكما يقول الرسول بولس: "فأريد أن يصلي الرجال في كل مكانٍ رافعين أيادي طاهرة بدون غضبٍ ولا جدالٍ" (1 تي 2: 8).

❖ "**بالليالي ارفعوا أيديكم نحو القدس، وباركوا الرب** " [2]. لماذا يقول: "بالليالي"؟ ليعلمنا ألا نقضي الليل كله في النوم، بل تظهر أن الصلوات أكثر نقاوة في ذلك الوقت، حيث يكون الذهن أكثر نقاوة، ووقت الفراغ أكثر إمكانية. الآن إذ كان من الضروري أن يجد الشخص طريقًا للقدس بالليل، فكروا ما هو العذر الذي يمكن أن يقدم من ذاك الذي لا يمارس واجب الصلاة في ذلك في الوقت في البيت؟. أقصد إن الكاتب المُوحى له يقوم من سريره ويسلك الطريق إلى الهيكل متجهًا إلى هناك ليقضي الليل، بينما فلا تفعل هذا وأنت مستريح في البيت .

القديس يوحنا الذهبي الفم

---

[1] *On Ps. 134.*
[2] *On Ps. 134.*

❖ ليت العريس (السيد المسيح) يجد كل عروس (النفس البشرية) تجدل خيوط الفضيلة الثمينة، ترفع يديها في الليالي (بالصلاة)، وتدبر عملها، وتزين عاداتها، وتنتظر مجيء عريسها متعجلة بشوق[1].

القديس أمبروسيوس

يُبَارِكُكَ الرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ،
الصَّانِعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ [3].

يرى البعض أن هذه الآية هي مرد الكهنة واللاويين على رئيس الكهنة الذي حثهم على أن يباركوا الرب في الليالي. ويرى آخرون أنها مرد الكهنة على كل الحاضرين، سائلين بركته على كل الشعب. كما جاء في سفر العدد: "كلم هرون وبنيه قائلاً هكذا: تباركون بني إسرائيل، قائلين لهم: يباركك الرب ويحرسك، يضيء، الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلامًا" (عد 6: 23-26).

يرى **القديس أغسطينوس** أن بركة الرب الصادرة إلى كثيرين تُقدم بصيغة المفرد، أي تصدر إلى واحدٍ، فإن من يرتبط مع إخوته ليصير معهم واحدًا يتمتع ببركة الرب.

❖ بعد أن قدم هذه النصيحة كأمرٍ ضروري، يختم كلماته بالصلاة. هذه كما ترون هي علامة معلمٍ سامٍ، يقوِّم سامعيه بالنصيحة، وينعشهم بالصلوات. ماذا يريد من إشارته بالقول " **من صهيون**"؟ هذا الاسم كان عزيزًا عليهم، وكل دائرة طقوسهم تتم هناك. لهذا يسألهم أن يتبنوا طريقة حياتهم السابقة وأن ينشغلوا بالطقس، ويتمتعوا بتلك البركة. عندئذ لكي يقودهم إلى فوق نحو التعاليم العلوية، يرشدهم أن الله وإن كان في كل موضع أعطاهم شرائع لبناء الهيكل لأجل محدودياتهم، كما يلزمهم أن يناشدونه في كل موضع، لهذا أضاف: " **الصانع السماوات والأرض** " مع هذا فإنهم وإن كانوا يناشدونه في ذلك الموضع، فبالنسبة لنا على عكس هذا يلزمنا أن نفعل هذا في كل موضع، وفي كل مكان: في البيت والسوق وعلى ظهر السفينة وفي البرية وأينما وُجدنا. ممارسة الصلاة لا يمكن بحالٍ من الأحوال يعوقها المكان، بشرط أن يكون الوضع لائقًا بالصلاة. بتأكيد هذا لنتوسل إلى الله في كل موضعٍ، وهو يستجيب، يقوم بدوره، فيجعل كل ما هو صعب سهلاً وبسيطًا بالنسبة لنا، ويبهجنا

---

[1] *In Luc. 16:16-18.*

بالخيرات العتيدة[1].

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي المزمور 134

هب لي عربون السماء!

❖ وعودك صادقة وأمينة.
نزلت إلى أرضنا لتهبنا عربون سماواتك.
هب لنا القلب السماوي المملوء حبًا،
فتسبحك أعماقنا، وتمجد اسمك.

❖ لنرفع أيادينا إليك نهارًا وليلاً.
نشكرك في النهار حيث الفرج، وبالليل وسط الضيق.
نسبحك من أجل كل أعمالك معنا.
فإنك الحب الكلي الحكمة.
لك المجد يا محب البشر!

[1] *On Ps. 134.*

المحتويات

جلسة سماوية في كل أمسية 7

مقدمة في مزامير المصاعد 8

أصل مزامير المصاعد، المعنى الروحي، مزامير المصاعد وأسفار موسى الخمسة، أولاً: ترتيب مزامير المصاعد عند القديس جيروم، ثانيًا: ترتيب مزامير المصاعد عند القديس أغسطينوس، ثالثًا: مزامير المصاعد عند القديس يوحنا الذهبي الفم، من أقوال الآباء عن مزامير المصاعد، طبيعتها، نظرة شاملة لمزامير المصاعد (120-134)، من وحي مزامير المصاعد، بين مزامير المصاعد وأسفار موسى.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْعِشْرُونَ: إلهي مخلصي من الموت والفساد! 25

1. صرخة طفل إلى أبيه المخلص، 2. الحوار المفسد مع إبليس، 3. الشعور بالغربة والاشتياق إلى السماء، 4. مرارة معاشرة الأشرار.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: سرّ سلامي: الالتصاق بالمخلص كلمة الله 41

1. كلمة الله جبال مقدسة، 2. الالتصاق بالحارس السماوي، 3. التمسك بالمسيح وكنيسته، 4. السلوك المقدس، 5. الشعور بالحضرة الإلهية.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالْعِشْرُونَ: الفرح ببيت الرب الأبدي 56

1. دعوة ملائكية للعبور إلى بيت الرب، 2. دعوة كنسية جماعية، 3. دعوة ملوكية، 4. سلام وراحة وفرح وصلاح.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّالِثُ وَالْعِشْرُونَ: التحرر من عبودية إبليس 66

1. العيون المرفوعة إلى السماء، 2. تحررنا من الذل والهوان.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ: الله قائد خلاصنا 75

1. الله يخلص من الزلازل، 2. الله يخلص من التيار الجارف، 3. الله يخلص من أنياب الوحوش المفترسة، 4. الله يخلص من فخ الصيادين، 5. الله الخالق هو المخلص .

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ: المسكن الأبدي 90

1. مسكن أبدي، 2. الرب حول شعبه، 3. مواطنون أحرار صالحون، 4. عزل الأشرار عن الصالحين.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ : عبادة مقدسة متهللة أو فرح سماوي مع نهر دموع مقدسة 101

1. حياة مفرحة فائقة، 2. عمل إلهي مفرح، 3. ينابيع مبهجة.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ عبادة الله باني البيت وحافظه **115**

1. الرب باني البيت وحافظ المدينة، 2. الرب واهب الراحة، 3. الرب واهب الأبناء الجبابرة.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ:عبادة الأسرة المباركة **128**

1. أعضاء الأسرة المطوّبة، 2. أسرة عاملة، 3. أسرة مثمرة، 4. حياة كنسية سماوية، 5. حياة ممتدة مملوءة سلامًا.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالتَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ: مع المسيح صُلبت **139**

1. الكنيسة المصلوبة، 2. المسيح المصلوب، 3. عشب السطوح.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّلاَثُونَ: الرجاء وسط الضيق **151**

1. الصليب وصرخة الأعماق، 2. الحاجة إلى المغفرة، 3. الرجاء وبهجة القيامة.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالْحَادِي وَالثَّلاَثُونَ: الفرح بالصليب واهب النضوج **160**

1. فطيم نحو أمه، 2. الرجاء الدائم.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالثَّلاَثُونَ: صداقة فريدة **166**

1. شوق لبناء بيت للرب ، 2. نزول الكلمة ليسكن بيننا ، 3. يقيمنا ملوكًا ، 4. راحته في راحتنا ونصرتنا.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّالِثُ وَالثَّلاَثُونَ: الصداقة الإلهية والحب الأخوي **189**

1. عذوبة السكنى معًا، 2. وحدة في المسيح، 3. الوحدة والحياة الأبدية.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالرَّابِعُ وَالثَّلاَثُونَ: الدخول إلى المقادس الإلهية **195**